

٢٤٤
٢٢٣٢١١
٢٠٠٠

رسالة ماجستير
٢٢٣٢١١

بمعاون

شعر الجهاد في عصر الموحدين

اعزاز

شفيق محمد عبدالرحمن الرقسي

١٩٧٨/١٩٧٩ م

اشراف

الاستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة

(قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول
على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب
في الجامعة الأردنية) .

مقدمة : -

الأحداث يذكر بعضها ببعض، إذا كان بينها روابط. فلا غرابة إذن أن يذكر
الغزو الصهيوني الاستيطاني لفلسطين بالهجمة الصليبية المعادية التي تعرضت لها
الأندلس، فما أشبه الليلة بالبارحة ! فكلا الغزوين انتهى باستيطان الفزاة، وتشريد
أهل البلاد الإسلامية، والسعي الدائب إلى تغيير الوجه الإسلامي لتلك البلاد.
وكلاهما وفد من الغرب الأوروبي : عليه يعتمد، ومنه يستمد أسباب قوته. وكلاهما
يقوم على ادعاءات فكرية مزعومة.

وقد استمر الصراع بين المسلمين والفرنجة على الأندلس حقبة طويلة، وكان لذلك
أصداء واضحة في الشعر. وتصفى هذه الدراسة الحديثة عن شعر الجهاد فسي
عهد الموحدين. وهو عهد متميز في التاريخ والشعر : فهو في التاريخ يتميز بقيام دولة
إسلامية فتية في المغرب، وهي دولة الموحدين، كان من أهدافها الأولى إعادة
الهيبة إلى الوجود الإسلامي في الأندلس الذي أخذ نجمه في الأفول. كما يتميز
الصراع في هذا العهد بحدته، وعنفه، ومواجهة الكنيسة في روما له، وإعلانها الحرب
الصليبية على مسلمي الأندلس، ودعوتها أمم أوروبا النصرانية إلى الاشتراك في هذه
الحرب. ولعل الأمر الذي يلفت النظر أن هذا الصراع الذي احتدم في الأندلس
وآفاقه صراع متماثل في انديار المقدسة.

وهذا العهد يتميز في الشعر بغزارة الإنتاج، وكثرة الشعراء الذين واكبوا
أحداث الصراع وسجلوها، فكان ذلك سببا في شهرتهم في المصادر الأندلسية.

ونهدف من دراسة شعر الجهاد في عهد الموحدين إلى تلخيص الأصداء التي
تركها الصراع فيه، وإبراز قيمته في الدراسات التاريخية والاجتماعية عن ذلك العهد،
وبيان الدور الذي اضطلع به الشعراء في تمبئة الأمة للوقوف في وجه العدوان، دون
أن نفصل الكشف عن النواحي الجمالية في ذاك الشعر، لعل ذلك يكشف عن حال غير
حال الجمود والانحطاط اللذين رمي بهما الشعر الأندلسي والمغربي في عهد
الموحدين.

ويقوم المنهج المتبع في هذه الدراسة على تحقيق النصوص من مصادرهما المختلفة،
والاستقراء الداخلي لها، واستخلاص النتائج منها، لذلك فإن أي تحويم حول تلك
النصوص، إن يتعدى كونه وسيلة من وسائل التفسير والتوضيح، ومن ثم كان على الدارس
أن يلم بالظروف التي أنتجت شعر الجهاد، ذلك أن شعرا قيل في ظروف تاريخية
محددة، لا بد أن يدرس في ضوء تلك الظروف.

وتتكون الدراسة من تمهيد وخمسة فصول وخاتمة : يدرس التمهيد الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية في دولة الموحدين ، ويدرس الفصل الأول النظرة الإسلامية للصراع ، ودور الشعر في التعبير عنها ، ويبحث الفصل الثاني في ((شخصية البطل في شعر الجهاد)) ، والدور الذي اضطلع به في الصراع ، ويتناول الفصل الثالث نظرة الشعراء إلى الصليبيين ، وموقفهم منهم ، والصورة التي قدموها لهم ، ويبحث الفصل الرابع في مواكبة الشعر لأحداث الصراع ، ومدى الاعتماد عليه مصدرا للمعلومات التاريخية عن تلك الأحداث ، ويتناول الفصل الخامس تقييم شعر الجهاد ، وسيكون هذا التقييم من إطارين كبيرين : — الدور الذي اضطلع به في الصراع ، والأداء الفني . وتنتهي الدراسة بخاتمة تتناول النتائج التي توصل اليها الدارس .

وسيرفق بالبحث فهرس عام للأعلام ، والقبائل والشعوب ، والأماكن .

وقد استقيت مادة هذه الدراسة من مصادر عديدة : بعضها يعود إلى عصر الموحدين ، مثل : الجزء الثاني من كتاب ((المن بالامامة)) . وهذا الكتاب من أهم المصادر التي وصلتنا من المرحلة الأولى من تاريخ الدولة الموحدية . فقد جسدت مادته تركيزا على أحداث الصراع بين المسلمين والصليبيين حتى سنة ٦٨٥ هـ . وقد كان مؤلفه معاصرا للأحداث التي يرويها فجاء الكتاب وصفا شافيا لها . كذلك يشتمل هذا الكتاب على مجموعة كبيرة من شعر الجهاد لا توجد في مصدر غيره . كما أن فيه مجموعة من الرسائل والوثائق الموحدية الصادرة عن الخلفاء أنفسهم ، وهي مفيدة لدراسة النظم الإدارية والمالية للدولة الموحدية .

ومن هذه المصادر : — كتاب ((أعز ما يطلب)) وهو مهم للباحث في الأسس الفكرية التي قامت عليها الدولة الموحدية ، ومما زاد من أهميته أن مؤلفه هو محمد بن تومرت القائم بأمر الدعوة الموحدية .

ومنها : — كتاب ((نظم الجمان)) لابن القطان . وهذا الكتاب ينفرد به شقيقتان هامتان عن الدولة الموحدية ، هما : — رسالة ((الكافية في براهين الإمام المهدي)) ، الثانية موجهة من عبد المؤمن إلى الطلبة والمشايع والأعيان في الأندلس . وهاتان الوثيقتان مفيدتان في دراسة الأسس الفكرية التي قامت عليها الدولة الموحدية ، وأثر ذلك في الحياة الاجتماعية . ومما تجدر الإشارة إليه أن ابن القطان من المؤيدين للموحدين ، الأمر الذي يجعلنا نأخذ روايته بحذر .

ومنها : — كتاب ((المعجب)) لعبد الواحد المراكشي . ونجد في هذا الكتاب حديثا مفصلا عن جهاد الموحدين في الأندلس ، وتصويرا لبعض النواحي الاجتماعية في تلك الدولة ، وخلال ذلك كان المؤلف يضمن كتابه شذرات شعرية تتعلق بأحداث الصراع . وقد ألف المراكشي كتابه هذا في المشرق ((بغداد)) بعيدا عن المؤثرات السياسية ، فزاد ذلك من أهميته ، حيث يهدو عنصر الحياء واضحا فيه .

ومنها : - كتاب ((التكملة)) لابن الأبار . وقد ترجم المؤلف في هذا الكتاب للمائة كبيرة من رجال الفكر والأدب في عصر الموحدين . وهو مفيد في تحقيق أسماء الأعلام التي ترد أثناء الدراسة ، ومعرفة الدور الذي اضطلعت به في الحياة الفكرية في ذلك العهد .

واعتمدت أيضا على مصادر قريبة من عهد الموحدين ، منها : - الجزء الثالث من كتاب ((البيان المغرب)) لابن عذارى المراكشي . وأهم ما يمتاز به هذا الجزء أنه ينقل شذرات عن مؤرخين معاصرين للدولة الموحدية لم تصلنا كتبهم ، أهمها السفسر الثالث من كتاب ((المن بالإمامة)) . وقد أورد ابن عذارى في كتابه هذا حديثا مفصلا عن صراع الموحدين مع الصليبيين ، ومجموعة شميرة كبيرة تتعلق بأحداث ذلك الصراع .

ومن هذه المصادر : - كتاب ((الأنيس المطرب بروض القرطاس)) لعلي بن أبي زرع الفاسي . وهذا الكتاب مهم في دراسة التاريخ السياسي لدولة الموحدين .

ومن المصادر المهمة التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة : - كتاب ((السروض المصطار)) لابن عبد المنعم الحميري . وهو مفيد في تحديد المواقع الجغرافية للمدن الأندلسية ، وضبط أسمائها ، ومعرفة التطورات التي مرت بها ، والأحداث التي تعرضت لها . ونجد خلال ذلك أحاديث مفيدة عن أوضاع هذه المدن خلال العهد الموحدي ، وما كانت تعانيه من اعتداءات الصليبيين . وقد أورد المؤلف خلال ذلك بعض الأشعار التي لم نجدها في مصدر غيره .

ومنها : - كتاب ((نفح الطيب)) للمقرئ . وهذا الكتاب موسوعة شاملة في تاريخ الأندلس وحضارتها . أمّا أهميته بالنسبة إلى هذه الدراسة فتهدو في احتفاظه بمجموعة كبيرة من المواد التاريخية والأدبية عن عصر الموحدين ، وخاصة المتعلقة بأحداث الصراع مع الصليبيين .

ونذكر بالإضافة إلى المصادر السابقة : - كتاب ((صلة الصلة)) وكتاب ((الذيل والتكملة)) ، وكتاب ((الحلة السيرا)) ، وكتاب ((المغرب في حلق المغرب)) ، وكتاب ((أعمال الأعلام)) ، وكتاب ((الاستقصا)) ، والأجزاء المخطوطة من كتاب ((الوافي بالوفيات))

ولا يفوتني أن أوجه الشكر الجزيل إلى استاذي الدكتور عبد الكريم خليفه،
الذي رعى هذه الدراسة منذ أن كانت فكرة، وأحاطها بكل رعايته وعنايته،
فكان لي نعم الموجه الأمين، والعالم المخلص، فأسأل الله أن يجزيه كل خير.

وأخيرا، فإني أحمد الله إن أصبت، وأعتذر للقارئ إن أخطأت، وما توفيقي
إلا بالله العلي العظيم، عليه توكلت وإليه أنيب.

شفيق الرقيب
الجامعة الأردنية
١٩٧٨/١٩٧٩ م

تمهيد

الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية على عهد الموحدين

- أ) الحياة السياسية
- ب) الحياة الاجتماعية
- ج) الحياة الفكرية

الحياة السياسية

كادت الأندلس في أواخر العهد المرابطي أن تمود إلى سيرتها الأولى أيام الطوائف (١) . فبعد وفاة الأمير علي بن يوسف بن تاشفين (٢) اندلعت في أنحاء الأندلس الثورات التي لم يستطع أبناؤه السيطرة عليها . فقد قامت ثورة في قرطبة (٣) ، و ثورة في غرناطة (٤) ، وأخرى في مالقة (٥) ، وأخرى في مرسية (٦) .

أما المغرب، فقد اختلت فيه أحوال الأمير علي اختلالاً شديداً، «فظمست في بلاد مناكير كثيرة، وذلك لاستيلاء أكابر المرابطين على البلاد، ودعواهم الاستبداد، وانتهبوا في ذلك إلى التصريح، فصار كل منهم يصحح بأنه خير من علي أمير المسلمين وأحق بالأمارة» (٧) .

كان لاضطراب الأحوال السياسية في أواخر عهد المرابطين أثر واضح في الحياة العامة، فقد غلت الأسعار بمراكزها وكثرت اللوازم على الرعايا بالمد وتيسر، وألح المد والنصراني الضربات على جميع جهات الأندلس حين علموا عجز الامصار في المغرب (٨) فاستولوا على كثير من البلاد والحصون (٩) .

- ١ - المحجب : ص ٢٧٧ هـ
- ٢ - ولي الأمير بعد وفاة أبيه يوسف سنة ٥٠٠ هـ : حسن الشيرة، مقيم للمعدل، زاهد متين . اضطربت أحوال دولته في أواخر عهده . توفي سنة ٥٣٧ هـ .
انظر : القرطاس : ص ٥٠ و ص ١٦٥ ، المحجب : ص ٢٣٤ - ٢٣٥ هـ
- ٣ - الحلة السيرة : ج ٤ ص ٢٠٦ ، بغية الملتص : ص ٢٧٦ ، الشكلة : ج ١ ص ٢٨٦ - ٢٨٧ هـ . وانظر عن قرطبة : الروض الممطر : مادة قرطبة ص ٤٥٦ هـ
- ٤ - الحلة السيرة : ج ٢ ص ٢١٢ ، رايات المبرزين : ص ٨٤ هـ . وانظر عن غرناطة : تقويم البلدان : ص ١٧٧ هـ
- ٥ - بغية الملتص : ص ٤٢ هـ . وانظر عن مالقة : تقويم البلدان : ص ١٧٥ هـ
- ٦ - المحجب : ص ٢٧٨ ، المن : ج ٢ ص ١١٥ ، بغية الملتص : ص ٤٣ هـ . وانظر عن مرسية : تقويم البلدان : ص ١٧٩ هـ
- ٧ - المحجب : ص ٢٤١ هـ
- ٨ - البيان المغرب : ج ٣ ص ١٢ - ١٣ هـ
- ٩ - المصدر نفسه : ص ١٣ هـ

وفي هذه الأثناء كان المغرب الاسلامي يشهد ميلاد حركة اصلاح تجديدية تهدف الى اعادة الهيبة للوجود الاسلامي في المغرب والأندلس، والصود بالاسلام الى مناهج الصافية الاولى (١) . وقد تزعم هذه الحركة محمد بن تومرت (٢) المسمى ادعى أنه من آل البيت النبوي .

وقد بدأ محمد دعوته آمرا بالمصروف، وناهيا عن المنكر (٣) ، واستطاع ان يستميل كثيرا من القبائل اليه (٤) . وألف لها عقيدة خاصة باللسان البربري (٥) ، وربها تربية اسلامية (٦) ، ومبها تحبشة شاملة ضد دولة المرابطين (٧) . وقد أطلق ابن تومرت على أتباعه "الموحدين" تمييزا بملتونة (٨) في أخذهم بالمدول عن القاييسل وصلهم الى التجسيم (٩) .

ولما استوثق أمر ابن تومرت بين القبائل ادعى أنه المهدي المنتظر الذي سيملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت ظلما وجورا (١٠) ، ونظم أصحابه تنظيما غريدا (١١) ، وخاض بهم

- ١ - أخبار المهدى : ص ٣ و ص ١٥ .
- ٢ - هو القائم بأمر الدعوة الموحدية سنة ٥١٥ هـ . رحل الى المشرق في طلب العلم . وقيل أنه التقى بالإمام الغزالي . اختلفت المصادر في نسبه ، فبعضها أقر له النسب النبوي الذي ادعاه ، وبعضها أنكر عليه ذلك . توفي سنة ٥٢٤ هـ .
- انظر : الحلل الموشية : ص ٨٤ ، نظم الجمان : ج ٦ ص ٣٤ ، أخبار المهدى : ص ٢١ ، تاريخ ابن خلدون : ج ٦ ص ٤٦٤ ، المعجب : ص ٢٤٥ و ص ٢٦٢ .
- صر المرابطين الموحدين : ج ١ ص ١٥٨ - ١٦٤ .
- ٣ - انظر : المعجب : ص ٢٤٦ - ٢٥٤ .
- ٤ - القرطاس : ص ١٧٦ - ١٧٩ .
- ٥ - المعجب : ص ٢٥٤ ، مخطوط الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية : ورقة ١٣ .
- ٦ - مجلة أبحاث ، الجامعة الأميركية ، بيروت ، كانون الأول ، سنة ١٩٧٥ ص ٦٧ - ٦٩ .
- ٧ - انظر : أمزما يطلبه : ص ٢٥٨ - ٢٦٦ ، أخبار المهدى : ص ٩ .
- ٨ - من القبائل البربرية . كان لهم دولتان عظيمتان : الزيريون باغريقية ، والمرابطون في المغرب والأندلس . انظر : -
- الاستقصاء : ج ٢ ص ٦٦ ، السنن : ج ٢ ص ١٧٩ .
- ٩ - تاريخ ابن خلدون : ج ٦ ص ٢٢٨ ، مخطوط الحلل السندسية : ورقة ١٣ .
- ١٠ - نظم الجمان : ج ٦ ص ٧٥ - ٧٧ ، القرطاس : ص ١٧٦ .
- ١١ - انظر : نظم الجمان : ج ٦ ص ٢٨ ، المعجب : ص ٢٥٥ .

ضد الموابطين عددا من الغزوات انتصر عليهم في معظمها (١) .

الآن الأجل لم يصل ابن تومرت طويلا ليرى نتيجة حركته ، فقد توفي سنسنة ٥٢٤ هـ (٢) ، غلقه تلميذه عبد المؤمن (٣) بن علي الذي لم يزل أمره يستتب ، ويزيد ظهورا ، حتى فتح البلاد ، ودخلت في دعوته الأقطار (٤) .

وبعد أن استتبحت أحوال الدولة في المغرب أخذت ملامحها في الظهور والاستقرار ، فقد أصبح على رأس الدولة خليفة يتولى أمورها ، ويمارسه في ذلك السادة من أبناءه وأقاربه الذين يستعظمهم على الأقطار ، وينوب عنه ولي للمعهد .

وقد وضع الخليفة عبد المؤمن الأسس العامة لسياسة الدولة وتنظيماتها الإدارية في رسالة وجهها إلى الطلبة (١) والأعيان والكافة في الأندلس ، وتنفرد هذه الأسس في وجوب مباشرة الولاة الأحكام بأنفسهم ، وألا يجعلوا بينهم وبين الرعية وساطة لأن في ذلك فسادا ، ولا يجتهدوا في شيء لا يعلمون فيه حكما . كما أمر الخليفة عبد المؤمن بوجوب التزام الدقة في تطبيق الأحكام الشرعية ، والكف عن اقتضاة أية مفارم أو مكسوس لا يبيحها الشرع ، وملاحقة المرتشين الذين يأخذون أموال الناس ، وعدم الحكم في موائد الحدود بالاعدام أو تنفيذه قبل الرجوع إلى الخليفة ليصدر قراره في ذلك ، وتحريم الخمر ، والتشدد في عطايتها ، ودراسة الأسباب التي تؤدي إلى تماطيها ، وحماية أموال المخزن وصونها ، وعدم التصرف بشيء منها دون استئذان الخليفة (٢) .

- ١ - أثبت البيهقي تسع غزوات تمت في حياة ابن تومرت . سبعا قافها بنفسه ، وواحدة وهي ثامنها بقيادة البشير ، والأخيرة بقيادة عبد المؤمن . أخبار المهدي : ص ٧٤ - ٧٨ ، وانظر القرطاس : ص ١٧٨ - ١٧٩ .
- ٢ - أعمال الأعلام : ج ٢ ص ٢٧٠ ، المبر في خبر من غير : ج ٤ ص ٥٥٧ .
- ٣ - هو أول خلفاء الموحدين ، التقى بأن تومرت بينما كان متجها - أي عبد المؤمن - إلى المشرق ، فأقنعه ابن تومرت بالمدول عن رحلته والانضمام إليه ، حاشي عبد المؤمن عند المهدي ، فأوصى له بالأمر بعد وفاته . استمرت خلافته من سنة ٥٢٤ - ٥٥٨ هـ . انظر : أخبار المهدي : ص ٥٥ - ٥٦ ، المصعب : ص ٢٦٤ - ٢٦٥ ، القرطاس : ص ١٧٦ .
- ٤ - رقم الحلل : ص ٥٥٨ .
- ٥ - السادة : هو لقب الأمراء الموحدين . النسخ : ج ١ ص ٤٤٥ .
- ٦ - الدلية : من الوحدات التي أقام عليها ابن تومرت ، تنظيمة ، ومهمتهم تبليغ الدعوة . القرطاس : ص ١٧٦ - ١٧٧ .
- ٧ - انظر : نظم الجمان : ج ٦ ص ١٥٦ - ١٦٦ .

وكان الخلفاء الموحدون الأول (١) حريصين على إقامة العدل وثوطينه بـ...
الرعية، وأكدوا ذلك على ولاتهم (٢)، لذلك لم يحجم أولئك الخلفاء عن الإيقاع بأي رال
أو مسؤول بدر منه ما يسوق إلى الرعية من قريب أو بعيد، فقد تشكى أهل المدونة (٣)
بمخال عبد السلام الكومي (٤) من حطهم على الرعية وظلمهم وتمديتهم، ووصفهم باحتجاب
الأموال في غامر الخليفة عبد المؤمن بجميع المشتكين، وسمع منهم، فتأثر لذلك، وأمسر
بقتل عبد السلام لأنه ضيع «المخازن والدين» (٥) .

وأشرف الخلفاء الموحدون الأول على الرعية بأنفسهم إشرافاً مباشراً، فقد كسان
الخليفة يعقوب المنصور (٦) «يقعند للناس عامة، لا يحجب عنه أحد من صغير ولا كبير...»
وكان قد أمر أن يدخل عليه أمناء الأسواق وأشياخ الحضر في كل شهر مرتين، يسألهم
عن أسواقهم وأسعارهم وحكامهم... وكان إذا وفد عليه أهل بلد، فأول ما يسألهم
عن عمالهم وقضايتهم وولايتهم (٧)، وكان يزور المرضى يسألهم عن القوة عليهم (٨) .

- ١ - وهم : عبد المؤمن، ويوسف بن عبد المؤمن، ويعقوب المنصور. انظر : القرطاس :
ص ١٨٢، ص ٢٥٥، ص ٢١٦ .
- ٢ - المص : ج ٢ ص ٣٠٤ .
- ٣ - أي عدوة المضرب .
- ٤ - هو عبد السلام بن محمد الكومي، وزير لعبد المؤمن سنة ٥٥٣ هـ، وكان مقرها منه،
الآن أنه عاد ففتك به عند ما رأى سوء تصرفه مع الرعية. انظر : المص : ج ٢
ص ١٧٣ - ١٨٥، أخبار المهدى : ص ١٤٧، الاستقصا : ج ٢ ص ١٢٥ .
- ٥ - المص : ج ٢ ص ١٧٨ - ١٧٩ .
- ٦ - هو يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، لقب بالمنصور، ثالث الخلفاء الموحدين .
ولي الخلافة سنة ٥٨٥ هـ. له مواقف مشهورة في جهات المدونة، وكانت أيامه
أيام دعة ورخاء وأمن، توفي سنة ٥٩٥ هـ. انظر : القرطاس : ص ٢١٦-٢١٧
و ص ٢٣٥، المحجب : ص ٣٣٦، مخطوط الحلال السندسية : ورقة ٤٦، مخطوط
الوافي بالوفيات : ج ٢٦ ورقة ٥٢ - ٥٤ .
- ٧ - المحجب : ص ٣٦٢ .
- ٨ - المحجب : ص ٣٦٥ .

وكان نظام الشورى من أروع ما عرف عن الخلفاء الموحدين . فقد كان من عادتهم ألا يبتأوا في أمر جليل إلا إذا جمعوا ((الهيئات))^(١)، المختلفة من أجل الاستشارة ، غم لا يقدمون على غزوة إلا بعد التفاوض ، ((مع من يجب من أهل البصائر بالحروب))^(٢) ، ولا يقومون بتشديد المنشآت في الدولة إلا بعد أخذ رأى الأعيان في ذلك^(٣) .

حرص الخلفاء الموحدون على اظهار أبهة ملكهم ، وقد نقل ابن صاحب الصلاة صورا حية للموكب الخليفي يحقب به الصبيد بثيابهم المصنعة الألوان ، وصفوف الفرسان والرجالة وقد حملوا الرايات والرماح والدروع من خلف الامام ، والموسيقى مع خاصية أصحابه من خلفه كذلك ، ووزيره لصق به طاشيا على قدميه يحدثه ، بينما يجعل الأمير على عاتقه رمحا طويلا (٤) .

وكان الخلفاء الموحدون يتخيرون لولاية العهد أنجب أبناءهم وأصلحهم ، وكانت هذه الولاية تخضع لشروطين : - الكفاية والمصالح ، لذلك لم يتردد أولئك الخلفاء في اقضاء ولي العهد ان ظهر أنه غير جدير بذلك ، فقد أسقط عبد المؤمن ابن محمد عن ولاية العهد ، عند ما رأى شرب الخمر منه ، وظهور السكر عليه (٥) .

١ - ورد في نظم الجمان أن الموحدين كانوا ((اذا قطعوا الأمور المظلم يخلون بالمشرة لا يحضر معهم غيرهم ، فاذا جاء أمر أهون أحضروا الخمسين ، فاذا جاء دون ذلك أحضروا السبعين رجلا)) . وقد امتاز نظام الموحدين بارتكازه على وحدات معينة ذات وظائف محددة ، وقد اختلفت المصادر في عدد هذه الوحدات . انظر : - وتوزيعها ووظائفها . والمشرة والخمسون والسبعون من هذه الوحدات . انظر : - نظم الجمان : ج ٦ ص ٢٩ ، رقم الحلل : ص ٥٧ ، الحلل الموشية : ص ٨٧-٨٩ ، الاستقصا : ج ٢ ص ٨٦ .

- ٢ - البيان المغرب : ج ٣ ص ١١٨ .
- ٣ - المن : ج ٢ ص ٥٤ ، وانظر كذلك : ص ١٣٨ و ١٧٧ .
- ٤ - المن : ج ٢ ص ٢٨٦ .
- ٥ - المن : ج ٢ ص ٥٢ و ٢١٦ ، وقارن بما ورد في أشباح : ص ٤٨٤ .

ظلَّ الخليفة عبد المؤمن وابنه يوسف (١) يقولان بمهدوية ابن تومرت وعصمته ،
ويدعوان له في الخطبة والمراسلات الرسمية ، وينعتانه بـ ((الامام المعصوم والمهدي
المعلم)) (٢) . الاَّ أنَّ الخليفة المنصور لم يكن يرى شيئاً صحيحاً مما ينسب الى ابن
تومرت ، وكان يستخفُّ عقول العامة الذين يقولون بمهدويته وعصمته (٣) .

وفي سنة ٦٢٧ هـ أصدر الخليفة المؤمن (٤) مرسوماً لحسن فيه المهدي ابن تومرت ،
وأمر بإزالة اسمه من الخطبة والسكة والمخططات الرسمية ، وأنكر عليه عصمته ووصفه
بـ ((النوري المذموم)) (٥) .

لم يفكر الموحِّدون في جعل الأندلس قاعدة لحكمهم ، بل لبثوا في إفريقيا ، وأرسلوا
من حضرة مراكش نواباً عنهم يقومون بالأمر فيها (٦) . وكان الخليفة يجتاز إليها بيسن
الفينة والفينة رغبة في الجهاد ، أو تفقداً لشؤون الرعية .

كانت الأندلس في هذه الفترة تتعرض لهجمة صليبية وافدة من أوروبا على غرار
تلك التي كان يتعرض لها المشرق الاسلامي . وقد آزرت الكنيسة هذه الهجمة
وأمدتها بالحدود والمدة (٧) .

لم تأل الدولة الموحِّدية جهداً في تعزيز القوى الدفاعية للأندلس في وجه
المدوان الصليبي ، يظهر ذلك واضحاً في البحوث العسكرية المتتالية التي وجهتها
الدولة للقيام بأعمال دفاعية أو هجومية .

١ - ثاني الخلفاء الموحِّدين ، ولي الأمر محمد وفاة والده عبد المؤمن سنة ٥٥٨ هـ
استشهد في معركة شنترين سنة ٥٨٠ هـ . مخطوط المغرب المسرع : ورقة : ٧٣ ،

وفيات الأعيان : ج ٣ ص ١٣٦ .

٢ - المعن : ج ٢ ص ٢٧٦ و ص ٣١٠ .

٣ - المحجب : ص ٣٦٨ - ٣٦٩ .

٤ - هو ابن يوسف بن يعقوب بن عبد المؤمن الملقب بالمؤمن . هو
بالخلافة سنة ٦٢٤ هـ ، الاَّ أنَّ الموحِّدين الذين بمراكش نقضوا بيعته ، فاستعان
بملك قشتالة لاضاع الناكثين ، توفي سنة ٦٣٩ هـ . انظر : -

الاعانة : ج ١ ص ٤٠٦ - ٤١٦ ، القرطاس : ص ٢٤١ - ٢٥٤ .

٥ - القرطاس : ص ٢٥١ .

٦ - الحرب في أسبانيا : ص ١٧٧ .

٧ - أعلن البابا انوسنت الثالث (١١٩٨ - ١٢١٦ م) أنَّ الحرب الدائرة بين
المسلمين والنصارى في الأندلس حرب صليبية مقدسة . وسأتي الى تفصيل
ذلك . انظر : -

وكان الخليفة الموحد في غالبا ما يرأس تلك البعثات. ففي عام ٥٥٥ هـ توجهه الخليفة عبد المؤمن إلى الأندلس على رأس جيش ضخم ليتفقد شؤونها، وأقام في جبل طارق، وهناك اجتمع بالسادة الموحدين والقادة الأندلسيين، وتدارس معهم كيفية تدعيم القوى الدفاعية للمدن الأندلسية، وغزو الصليبيين المباشين في نواحيها (١). كذلك عزم الخليفة عبد المؤمن على تسيير جيش كبير آخر للجهاد في الأندلس، فاستنفر الناس، وحشد الحشود، إلا أن الموت عاجله سنة ٥٥٨ هـ (٢).

تسلم الخليفة يوسف الحكم بعد وفاة والده، وكان الخليفة الجديد ذا روح جهادية عالية (٣)، توجه بمحوشا عسكرية مختلفة للجهاد في الأندلس.

ففي عام ٥٦٠ هـ وجه حملة عسكرية إلى الأندلس لتدعيم القوى الدفاعية لمدينتي اشبيلية وفقرطبة «ودفع الأعداء الروم والأشقياء عن مملوكتهم» (٤)، بل إن الخليفة نفسه جاز إلى الأندلس مرتين: ففي سنة ٥٦٦ هـ توجه بقوات ضخمة من مراكش إلى الأندلس لافتتاح مدينة وبدة (٥) * مكث الخليفة في الأندلس خمسة أعوام أشرف خلالها على العمليات العسكرية التي كانت تقوم بها الجيوش الموحدية (٦)، ثم عاد إلى مراكش سنة ٥٦٩ هـ (٧)، وبدأ يمدد المدينة لحملة عسكرية أخرى. وفي سنة ٥٨٠ هـ عبر الخليفة بقواته إلى الأندلس واتجه صوب مدينة شنترين (٨) * *

- ١ - المن : ج ٢ ص ١٤٧-١٥٠، المصجب : ص ٢٨٢.
- ٢ - المن : ج ٢ ص ١٢٧، المصجب : ص ٣٠٦.
- ٣ - مخطوط المغرب المسرع : ورقة ٧٣.
- ٤ - المن : ج ٢ ص ٢٥١، البيان المغرب : ج ٣ ص ٦٣.
- ٥ - المن : ج ٢ ص ٤٩٢، البيان المغرب : ج ٣ ص ١١١.
- * وبدة : - حصن على واد بقرب أقليم يقع في الشمال الغربي لمدينة قونكة. الروني المصطار : مادة وبدة ص ٦٠٦.
- ٦ - البيان المغرب : ج ٣ ص ١١٩ و ١٠٣ - ١٠٤، المن : ج ٢ ص ٥١٨.
- ٧ - المصجب : ص ٣٢٤.
- ٨ - انظر أخبار هذه المعركة مفصلة في : - البيان المغرب : ج ٣ ص ١٢٨-١٣٨، القرطاس : ص ٤٥، صفة جزيرة الأندلس : ص ١١٤، وفيات الأعيان : ج ٢ ص ١٣٦، مخطوط المغرب المسرع : ورقة ٧٣.
- * * - شنترين : - حصن عظيم على جبل شاهق من أعمال بعلبكوس. مخطوط الحلل السندسية : ورقة ٢٥.

لم تسفر المعارك التي خاضتها جيوش الموحدين في عهد الخليفة يوسف عن نتائج مجدية؛ فقد أختلق المسلمون في معركة بيدة، وتحطمت جيوشهم أمام أبواب مدينة شنترين، واستشهد الخليفة نفسه في المعارك التي دارت حول تلك المدينة إثر إصابته بسهم (١).

تردى الوضع في الأندلس بعد وفاة الخليفة يوسف؛ فقد نازل ابن الرنق (٢) صاحب قلْمُرِيَّة * وما إليها من غرب الأندلس (٣) مدينة شَلْب * * فاحتلها (٤). كذلك وصلت غارات القشتاليين إلى أحواز اشبيلية (٥).

امتعض الخليفة المنصور الذي تسلم الخلافة بعد والده يوسف عندما سمع نبأ احتلال مدينة شَلْب؛ فاستنفر الناس واستعد الأسلحة، وفتح باب التطوع للانضمام إلى الجيش الموحدى. وفي شهر محرم سنة ٥٨٦ هـ تحرك الخليفة بقواته وجاز البحر إلى الأندلس.

قامت الجيوش الإسلامية بعدد من الحملات العسكرية في مناطق متعددة أسفرت عن استعادة مدينة شَلْب، وقاعدة قصر الفتح ((قصر أبي دانس)) (٦) * * * عاد الخليفة بعد ذلك إلى المغرب وأخذ يعدّ العدة لحملة عسكرية كبرى. وفي سنة ٥٩٠ هـ تسلم الممهور إلى الأندلس، واتجهت الجيوش الموحدية صوب موضع ((الأرك)) (٧)، وهناك

- ١ - مخطوط المغرب السريع : ورقة ٧٣.
- ٢ - هو شائع الأول ملك البرتغال . توفي سنة ٦٠٨ هـ . المعجب : ص ٤٠٠ ، التاريخ الأندلسي : ص ٤٦٧ .
- * - من بلاد البرتغال ، تقع في أقصى غرب الأندلس شمال شنترين . الروى المصنوع : مادة قلْمُرِيَّة : ص ٤٧١ .
- ٣ - الروى المصنوع : مادة قلْمُرِيَّة : ص ٤٧١ .
- * * - من بلاد البرتغال ، تقع في نهاية ولاية الغرب الجنوبية على مقربة من المحيط الأطلسي . مخطوط الحلل السندسية : ورقة ٣١ .
- ٤ - البيان المغرب : ج ٣ ص ١٧٥ .
- ٥ - البيان المغرب : ج ٣ ص ١٧٥-١٧٦ .
- ٦ - المعجب : ص ٣٥٦ ، الحلة السيرة : ج ٢ ص ٢٧٢-٢٧٣ ، وقارن بما ورد في الذيل والتكلة : ج ٥ ص ١٩١ .
- * * * - نسبة إلى بانية بني دانس ، حصن غربي الأندلس ، يقع على بعد ١٤ كم جنوب شرق أشبونة . جمهرة انساب العرب : ص ٥٠١ ، الحلة السيرة : تعليق رقم (١) ج ١ ص ٢٧٢ .
- ٧ - حصن منيع من قلعة رباح ، الروى المصنوع : مادة الأرك ص ٢٦ .

دارت رحى معركة عنيفة أحرز فيها الموحّدون نصراً مؤزراً (١) .

كان هذا النصر عظيماً أحرزه المسلمون بقيادة الموحّدين ، وكان من نتائجه
أن كُتبت تلك قشتالة . إلاّ أنّ هذا النصر العظيم لم تلبث أن محت آثاره معركة
العقاب سنة ٦٠٩ هـ (٢) على عهد الخليفة الناصر (٣) .

تمتّعت الأندلس في عهد الخلفاء الثلاثة الأول ، وصدر حكم رابعهم الخليفة
الناصر بمستوى عال من القوة . وقد أدّى ذلك إلى تدعيم الوجود الإسلامي فيها
فترة من الوقت ، وعند ما زالت تلك القوة بدأ الخطر يهدّد الأندلس .

كانت معركة العقاب نذيراً بانتهاء سلطان المسلمين في الأندلس . وقد وصفت
بعض المصادر تلك المعركة بالهزيمة العظمى (٤) التي لم تستقلّ الأندلس بعد هذا
المعركة (٥) .

شجّعت هزيمة العقاب الطموحين بالقيام على الدولة الموحّدية في الأندلس
وخلع طاعتها . فقام محمد بن يوسف بن هود الجذاني في مرسية (٦) ، وقام في الوقت
نفسه محمد بن يوسف بن نصر الذي اصطلح بابن هود وقضى على حركته (٧) .

- ١ — البيان المغرب : ج ٣ ص ١٩٤ — ١٩٥ .
- ٢ — البيان المغرب : ج ٣ ص ٢٤٠ — ٢٤١ .
- ٣ — ولي الخلافة سنة ٥٩٥ هـ بعد وفاة أبيه المنصور . كان غلبته الحجاب ،
مستعبداً في أموره . توفي سنة ٦١١ هـ . انظر : القرطاس : ص ٢٣١ و ص ٢٤١ .
- ٤ — الحلل الموشية : ص ١٣٤ .
- ٥ — أعمال الأعلام : ج ٣ ص ٢٧٥ .
- ٦ — تاريخ ابن خلدون : ج ٦ ص ٣٦١ — ٣٦٥ ، أعمال الأعلام : ج ٣ ص ٢٧٥ ، البيان
المغرب : ج ٣ ص ٢٧٦ . وانظر ترجمة ابن هود في : المغرب : ج ١ ص ٢٥١ —
٢٥٢ ، الإحاطة : ج ٢ ص ١٢٨ — ١٣٢ .
- ٧ — الإحاطة : ج ٢ ص ٩٤ ، البيان المغرب : ج ٣ ص ٢٧٩ ، تاريخ ابن خلدون :
ج ٦ ص ٣٦٦ ، نهاية الأندلس : ص ٣١ — ٣٣ . وانظر ترجمة ابن نصر
في : المغرب : ج ٢ ص ١٠٩ .

أما مراكش فقد توالى على الخلافة فيها مجموعه من الخلفاء الضعاف الذين
شغلوا بصراع مرير على السلطة . أغرى ذلك بعض الشخصيات بالتفكير في الشورى
والانفصال عن الدولة الموحدة وتشكيل دولة مستقلة . فقامت دولة الحفصيين
في تونس (١) ، وإمارة بني زيان في تلمسان (٢) . إلا أن أخطر هذه الحركات
الانفصالية كانت حركة بني مرين في المغرب الأقصى (٣) .

كان اضطراب أحوال الأندلس فرصة سانحة للصليبيين الذين أخذوا يسيطرون
أيديهم على المدن الإسلامية فيها وانتهت الأمور بسقوطها كلها ماعدا غرناطة
التي استطاع ابن نصر أن يؤسس فيها دولة .

ظلت الخلافة في مراكش تصارع سلطان بني مرين الزاحف ، وقد انتهت
هذا الصراع بسقوط دولة الموحدين ومقتل آخر خلفائهم سنة ٦٦٨ هـ (٤) . وبذلك
انتهت الدولة الموحدة التي حكمت المغرب والأندلس زهاء قرن ونصف من الزمان
من سنة ٥٢٤ هـ وحتى سنة ٦٦٨ هـ .

-
- ١ - البيان المغرب : ج ٣ ص ٢٧١ - ٢٧٦ ، تاريخ ابن خلدون : ج ٦ ص ٥٩١ .
والحفصيون : - نسبة إلى جدّهم أبي حفص عمر بن يحيى ، الذي كان تلميذا
أثيرا لابن تومرت . انظر : أخبار المهدي : ص ٣٢ - ٣٣ . البيان
المغرب : ج ٣ ص ٢٧١ .
 - ٢ - تاريخ ابن خلدون : ج ٧ ص ١٥٤ و ص ١٦٢ . ونو زيان : - نسبة إلى
يخمراسن ابن زيان مؤسس الدولة الصبد الوادية بتلمسان سنة ٦٣٣ هـ انظر .
القرطاس : ص ٢٥٢ .
 - ٣ - الذخيرة السنّية : ص ٢٨ . ونومرين : فخذ من زناته يسكنون بلاد
القبلة من زاب أفريقيه إلى ساجلماسه ، ويتنقلون في تلك البراري انظر :
القرطاس : ص ٢٨١ - ٢٨٢ .
 - ٤ - القرطاس : ص ٢٥٩ . الذخيرة السنّية : ص ١١٨ .

الحياة الاجتماعية

كان أثر الدعوة الموحّدية في الحياة الاجتماعية بارزاً، يظهر ذلك في انقسام الشعب إلى طبقتين متميزتين هما : — الفئة الحاكمة و من التحق بها ((الموحّدون)) وعامة الشعب ((الرعية))، وقد أشار عبد الواحد المراكشي في كتابه المعجب إلى ذلك. فيجد أن أورد أسماء قبائل الموحّدين (١) علّق عليها بقوله : « فهذه جملة قبائل الموحّدين المستحقين لهذا الاسم عند هم، والذين يأخذون العطاء، وتجمعهم الجيوش وينفرون في المعوث، وغير هؤلاء القبائل من المصاندة رعية لهم » (٢).

والتقسيم السابق لفئات المجتمع قائم على أساس عقائدي ولذلك فإن الفئة الأولى لم تشمل إلا القبائل السبع التي سارحت إلى الانضمام للمدعوة الموحّدية. وقد استأثرت تلك الفئة بميزات خاصة لم يستأثر بها أحد غيرها، فابن تومرت اختصهم « بكثير من الاختصاص » وعقد لهم من البر والتكرمة ما أنبئهمهم (٣)، ومنهم اختار أعضاء حكومتهم (٤) أمّا عبد المؤمن فقد أنشأ لأبنائها مدرسة خاصة في مراكش وزع خراجها على مناصب الدولة (٥).

وقد بلغ سلطان قبائل الموحّدين درجة عالية، إلى حدّ أن صوتها علا — أحياناً — فوق صوت الخليفة نفسه. فحين قتل ابن أحمد صحابة المهدي أخا عبد المؤمن، طالب عبد المؤمن بالقصاص من القاتل، إلّا أن رجال القبائل الموحّدية أجبروه على التنازل عن دم أخيه لأن القاتل ابن أحمد صحابة المهدي (٦).

وقد عاش في الأندلس عناصر سكانية متباينة، فهناك : — العرب، والبربر، والأندلسيون وأهل الذمة. وقد كانت قبائل العرب أكثر تلك العناصر تأثيراً على تجربات الأمور في الدولة وذلك لما طبعوا عليه من الخروج من رتبة الحكم، وعدم الانقياد للسياسة... فغاية الأحوال العادية عند هم الرحلة والتخلف (٧)، لذلك فقد تألفهم الموحّدون،

١ — وهذه القبائل هي : — هرقة وهنغارة وتينمل وجنفس، ووركة وهزرجة وجد عيوقة.

انظر : المعجب : ص ٤٢٣ — ٤٢٤.

٢ — المعجب : ص ٤٢٤.

٣ — نظم الجمان : ج ٦ ص ٨٠ — ٨١.

٤ — بعد أن أعلن ابن تومرت أنّه المهدي المنتظر وبايعه أصحابه على ذلك، شرع في بناء حكومته. وقد قامت هذه الحكومة على وحدات مختارة من أتباعه. انظر : نظم الجمان : ج ٦ ص ٢٩، رقم الحلل : ص ٥٧، الحلل الموشية : ص ٨٧ — ٨٩.

الاستقصا : ج ٢ ص ٨١.

٥ — الحلل الموشية : ص ١٢٥.

٦ — أخبار المهدي : ص ١٠٤، البيان المشرب : ج ٣ ص ٢٤.

٧ — مقدمة ابن خلدون : ص ١١٨.

مكتبة

وبالغوا في استمالتهم، آمليين أن يخلدوا إلى الهدوء، وأن يلتحقوا بالجيش الموحدية المجاهدة في الأندلس (١)، إلا أن الموحدون لم يتهاونوا معهم إذا حاولوا العبث والخروج. وقد سجلت المصادر عددا من وقائع الموحدون ضدّهم (٢).

نجحت سياسة الاستمالة التي اتبعتها الموحدون مع القبائل العربية، إذ استطاعوا أن يوثلّوا أبنائها، وأن يكسبوا كثيرا منهم جنودا في الجيش الموحد، وألقوا منهم قوة عسكرية مميزة ظهرت في عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن (٣).

وكان أهل الذمة يشكلون فئة ليست قليلة في الدولة الموحدية. وكان الخلفاء الموحدون صارمين في التعامل معهم، فلم تنعقد لهم عندهم ذمة. فعندما فتح الخليفة عبد المؤمن تونس سنة ٥٥٤ هـ عرض على من بها من اليهود والنصارى الاسلام؛ فمن أسلم سلم، ومن أبى قتل، فأسلم عدد منهم (٤).

لم يكن أهل الذمة الذين أسلموا، وخاصة اليهود، مخلصين في اسلامهم. فهم لم يكتفوا من أذى المسلمين والتجسس عليهم (٥). لذلك عمل الخليفة المنصور على تمييز اليهود، على الرغم من اسلامهم، بأن جعلهم يرتدون زيا خاصا بهم. وكان ذلك الزي على أهنج صورة. والذي حمل الخليفة المنصور على فعل ذلك باليهود ((شكة في اسلامهم)) (٦) وتردّد في أمرهم. وقد توسّل اليهود إلى الخليفة الناصر لتفجير ذلك الزي، فأبدلهم أياها بثياب صفر وعمام صفر (٧).

إلا أن أهل الذمة نالوا قسطا من الحرية في عهد الخليفة المأمون الذي استنجد بالفرنجة لكي يقضي على خصومه في عاصمة بلاده، فقد أباح للنصارى بناء كنيسة في مراكش، كما سمح لليهود ببناء مدارس خاصة بهم (٨).

وقد عملت دولة الموحدون جاهدة على بناء مجتمع إسلامي خال من العوائق الاجتماعية الفاسدة. فقد حذر ابن تومرت أتباعه من المداهنة ((وسوء السيرة، وجميع عوائد الجاهلية، واللهو والنيافة والسخط عند المصائب)) (٩)، ومخالطة أهل الفساد، وشرب الخمر.

- ١ - المنّ ج ٢، ص ١٧٢ و ص ٤٣٦.
- ٢ - الحلل السندسية في الأخبار التونسية ج ١ ق ٢ ص ٤٧٨، رحلة التجاني ص ٤٤٤.
- ٣ - المنّ ج ٢ ص ٤١٧، البيان المغرب ج ٣ ص ٩٢، الاستقصا ج ٢ ص ١٤٩.
- ٤ - الاستقصا ج ٢ ص ١٣٧، تاريخ الحكماء ج ٣ ص ٣١٨.
- ٥ - المنّ ج ٢ ص ١٨٧.
- ٦ - المعجب ج ٣ ص ٣٨٣.
- ٧ - المعجب ج ٣ ص ٣٨٣.
- ٨ - الإحاطة ج ١ ص ٤٦٩، البيان المغرب ج ٣ ص ٢٦٥، الاستقصا ج ٢ ص ٢٣٩.
- ٩ - أخبار المهدي ج ٨.

توالت الرسائل من الخلفاء الموحدين إلى ولائهم في الأمصار يظهر فيها تشددهم في محاربة ألوان الفساد الاجتماعي . ففي سنة ٤٣ هـ وجه عبد المؤمن رسالة إلى الطلبة والأعيان والكافة أمرهم فيها بإزالة الخمر، وكسر دنانها، والبحث عن الأسباب التي تؤدي إلى التمكن منها، وعدم التهاون في إيقاع أقصى العقوبة بكل من يشربها أو يتجر بها . كما أمر بملاحقة المرتشدين الذين يأكلون أموال الناس، والتوقف عن بيع السبايا حتى يخاطبوه بأحوالهم، لأن كثيرا من الناس يبيعونهم دون استئذان * (١)

وقد نشط الخليفة المنصور في مطاردة مظاهر النساء التي بدت في الحضرة الموحدية غداة استلم الخلافة . فقد أغضبه انغماس الناس في الدعة، وانهماكهم في ضروب اللهو، ورواج سوق الخمر والقيان والفانيات، فأمر بإزالة المسكرات وقطعها، والتحذير بعقاب الموت على استعمالها، وأنفذ المخابرات بذلك إلى ولائه في الأمصار، فأريق منها في البلاد ما يساوي أموالا جمّة . وضمت الكتب النافذة بذلك فصولا في بسط العدل، والتشديد على العمال والولاة بتأنيب الرعية، وتوخي رضاها في اقتضاها حقوقهم، وكف أيدي الظالمين عنهم، وإباحة جواز البحر للمشتكين . كذلك أمر المنصور بمنع لبس الثياب الحريرية الثمينة، وضع النساء من الطرز الحفيل على ثيابهن والاكتفاء منه بالسأج، وأخرج ما كان في المخازن من ضروب ثياب الحرير والديباج المذهيب، فبيعت منه ذخائر لا تحصى بأثمان باهظة، ثم أمر صاحب الشرطة بقطع الطهين ومن شهر من المفلسين، فشققت من وجد منهم بكل مكان (٢).

كان لممارسات الخلفاء الموحدين تلك آثار واضحة في الحياة الاجتماعية . فقد انحسرت — إلى حين — أسباب اللهو وتواديده، (٣) يهتد سوق القيان (٤)، واستبدل ذلك بمجالس العلم والرياضات العقلية والجسدية (٥).

أعجب الرحالة ابن جبير، المجتمع الموحدي الذي استمد منهج حياته من قواعد الإسلام، فقد قال في معرض حديثه عن دولة الموحدين: «أند لا إسلام إلا بلاد المغرب، لأنهم على جادة واضحة لا بنيات لها» (٥).

- ١ — نظم الجمان: ج ٦ ص ٥٥ (١٦٧ هـ).
- * الاستبراء: انتظار المرأة حتى تحيض، ليتأكد من عدم حملها أو تلد إن كانت حاملا.
- ٢ — البيان المغرب: ج ٣ ص ١٤٣—١٤٥، رسائل موحدية: ص ١٦٤—١٦٧ هـ.
- ٣ — البيان المغرب: ج ٣ ص ١٤٥ هـ.
- ٤ — المعجب: ص ٢٧ هـ.
- ٥ — الهكيات: بضم الهاء وفتح النون، الطرق الصغيرة المتفرعة . لسان العرب: مادة «بنى».
- ٥ — رحلة ابن جبير: ص ٥٥ هـ.

وقد اعتنى الخلفاء الموحدون الأول بالرعاية عناية بالغة، فبنوا المستشفيات، وأنفقوا على الأيتام، وقضيت مسائل الناس وحوائجهم ومطالبهم، وأنصف المظلوم من الظالم (١). فقد كان الخليفة المنصور «كأن دخلت السنة يأمر أن يكتب له الأيتام المنقطعون، فيجمعون إلى موضع قريب من قصره، فيختنون، ويأمر لكل صبي منهم بمشقال وثوب...» (٢).

وحرصت الدولة على حقوق المواطنين، فلم تكن تبخسهم أشياءهم. فقد أمر الخليفة يوسف بتقدير أراضي أحد سكان مدينة إشبيلية وتعميده أرضاً بدلاً منها، لأن الخليفة أراد أن يبني قصوره فيها (٣). كما أمر الخليفة نفسه بتقدير قيمة المنشآت التي هدمت في إشبيلية لتوسيع أحد المساجد فيها، ودفع تعويض عنها (٤).

وقد قوى اقتصاد الدولة الموحدية في عهد الخلفاء الأول، يظهر ذلك في كثرة المصانع التي أنشأتها الدولة في المغرب والأندلس. فقد كان في مدينة فاس وحدها اثنا عشر مصنعا لسبك النحاس، وثلاثة آلاف مصنع للنسيج، وسبعة وأربعون مصنعا للصابون، وأحد عشر مصنعا للزجاج، وأربعمئة مصنع للكاغذ (٥).

وقد ازدهرت التجارة في دولة الموحدين، ووصلت تجارتهم إلى غانة (٦). فقد ورد صاحب النسخ جذاذات من رسالة بعثها المنصور إلى ملك غانة يعاتبه فيها على احتباس التجار المغاربة، ومنصهم من التصرف (٧).

لذلك شهد الشعب في المغرب والأندلس في عهد الخلفاء الأول فترة رخاء عظيمة. فقد كثرت الأرزاق في عهد عبد المؤمن (٨)، وزادت المخازن في عهد الخليفة يوسف، ونمت الأرزاق، وعمرت الأسواق بالبيع والتجارة الراححة، ودرت على الناس الخيرات درورا... وكثر المال في الأيالي (٩)، واتصل الأمن والعدل والفضل بحيث يسير

١ - المعجب: ص ٢٩٦، ٣٣٣، ٣٥٤.

٢ - المعجب: ص ٣٦٤.

٣ - المن: ج ٢ ص ٢٨٦.

٤ - المن: ج ٢ ص ٢٨٥.

٥ - زهرة الآس: ص ٤٤.

٦ - غانة: من بلاد السودان، بينها وبين سجلماسة مسيرة شهرين، أهلها

صليمن، واليهما يقصد المياسير من سائر بلاد المغرب الأقصى. الروض المعطار:

مادة غانة ص ٤٢٥.

٧ - النسخ: ج ٣ ص ١٠٥.

٨ - المن: ج ٢ ص ٢١٤ - ٢١٥.

٩ - المن: ج ٢ ص ٣٤٧.

الراكب حيث شاء من بلاد العدو آمناً على نفسه لا يخاف إلا الله (أو الذيب) (١) . ولم تزل أيامه — أي يوسف — « أعياداً وأعراساً ومواسم كثيرة خصب ، وانتشار أمن ، وديور أرزاق ، واتساع معاش » (٢) ، واستمر هذا صدراً من إمارة الخليفة المنصور ، لذلك فقد شبه أهل التواريخ أيام الخليفة يوسف بأيام الخليفة عثمان بن عفان : كثيرة خير ، وسماحة وبذلاً (٣) .

نتج عن هذا الرخاء الاقتصادي ترف في الذوق الاجتماعي ، ورافق ذلك ضعف سورة الفكر الذي أقام عليه ابن تومرت دعوته ، وعمل عبد المؤمن على تأكيد . ولعل أبرز مظاهر ذلك الترف تلك المنشآت العمرانية الضخمة التي أنشأها الخلفاء الموحدون ، وأنفقوا عليها أموالاً طائلة لإظهار لا بهمة ملكهم . فقد بنى عبد المؤمن في جبل طارق قصوراً عظيمة أنفق عليها أموالاً باهظة ، وكذلك في مراكش (٤) . وبنى الخليفة المنصور مقصورة في جامع المتصل بقصره في حضرة مراكش ، وكانت قد وضعت على حركات هندسية ترفع بها لخروجه ، وتخف لده خوله (٥) . كما بنى السيد أبو يحيى بن أبي يعقوب — بن عبد المؤمن — والي قرطبة قصراً على متن النهر الأعظم تحمله أقواس عجيبة (٦) . أما الخليفة المستنصر (٧) فقد أقام لنفسه بستاناً في غاية الحسن كأنه الجنة (٨) .

وأقيمت المتنزهات العامة التي كان الشعب يخرج إليها (٩) . وقد كان الشمراء يقصدون هذه المتنزهات ، ويتهاون في قرض الشمر فيها على شكل الإجازة الشعرية ، فاستمرت ظاهرة الارتجال في الشعر الأندلسي . فقد ذكر صاحب النفح أن عدداً من الأرباء اجتمعوا بمدينة سبتة (١٠) سنة ٥٨١ هـ ، فتذاكروا محبوباً لهم يسكن الجزيرة الخضراء (١١) ، أماهم فقالوا : — ليقبل كل واحد منكم شيئاً فيه . ثم أورد صاحب النفح ما قاله كل واحد منهم (١٢) .

- ١ — المن : ج ٢ ص ٢٨٦ .
- ٢ — المعجب : ص ٣٣ .
- ٣ — المن : ج ٢ ص ٢٣٧ .
- ٤ — المعجب : ص ٢٨٢ ، ص ٢٩٦ .
- ٥ — النفح : ج ٣ ص ٤٢٠ .
- ٦ — النفح : ج ١ ص ٢٧٠ .
- ٧ — أحد أبناء الخليفة الناصر ، اسمه أبو يعقوب يوسف . ببيع بعد وفاة أبيه سنة ٦١٠ هـ . استمرت خلافته حتى سنة ٦٢٠ هـ . انظر : — البيان المغرب : ج ٣ ص ٢٤٣ .
- ٨ — النفح : ج ٣ ص ٥٢٨ .
- ٩ — النفح : ج ١ ص ٤٧٤ .
- ١٠ — سبتة : من أقاصي المغرب ، وهي مورد البحرين : بر المدوة وبر الاندلس . تقويم البلدان : ج ٣ ص ١٣٣ .
- ١١ — الجزيرة الخضراء : — مدينة أمام سبتة من بر الاندلس الجنوبي . تقويم البلدان : ص ١٧٣ .
- ١٢ — النفح : ج ٤ ص ٨ .

وقد انحسرت — كما أشرنا — بعض مظاهر الفساد الاجتماعي في عهد الخلفاء الأول نتيجة ملاحقتهم إياها، إلا أنهم لم يستطيعوا القضاء عليها، فقد تذر عبد المؤمن من عدم ارتداع الناس عن الانغماس في الطذات والدعة (١). وعند ما ولي المنصور الخلافة كانت مراكش وغيرها من المدن تعج بأسواق الخمر والقيان... إلا أن المنصور — بادر إلى التصدي لها، فاختفت،

إلا أنه بعد وفاة المنصور عادت تلك المناكير إلى الظهور. وقد نقل صاحب النسخ صوراً عن المنتزهات الخاصة التي كان يقيمها بعض الأئمة لخلواتهم وطلداتهم مع ندامتهم، وقد زودت تلك المنازة بكل ما يحتاج إليه هؤلاء اللهو. وكان يجري فيها من ضروب اللهو والمجون والخلاعة ما يحتشم عن ذكره (٢).

ويبدو أن بعض القضاة في نهاية العهد الموحدى كانوا يتهاونون في إقامة الحد على شارب الخمر، وقد قال في ذلك أحد المرسيين: —

الحمد لله بلغنا المنسى لا حد في الخمر ولا في الفنى

قد حل القاضي لنا زوا وذا وإن شكرناه أحل الزنى (٣)

بل أن بعض الخلفاء الذين تولوا الحكم في عصور متأخرة انغمسوا في اللهو والطذات. فقد كان الخليفة المستنصر ميّالاً إلى حياة الدعة والبطالة، مشتغلاً عن تدبير الأمور بما تقتضيه نوازع الشباب (٤).

أما المرأة فقد حظرت عليها ابن تومرت مفادرة بيتها، ومخالطة الرجال في الأماكن العامة، وأخذ عليها إسفارها عن وجهها (٥). إلا أن خلفاءه التالين أذعنوا للمرأة قسطاً واغرا من الحرية. فقد جعل عبد المؤمن التعليم إجبارياً على كل مكنتة منهن (٦). وهناك ما يشير إلى أن المرأة الموحدية قد خرجت إلى الحياة العامة، وشاركت فيهما. فعند ما دخل الخليفة يوسف مرسية سنة ٥٦٧ هـ، خرجت النسوة لاستقباله «بيديهن أصواتهن بالفرح، وينطقن بألسنتهن بكل لفظ منشرح» (٧). وعند ما زار الخليفة المنصور قبر

١ — أخبار المهدى: ص ١٦.

٢ — انظر النفخ: ج ٤ ع ١٨٥.

٣ — المغرب: ج ٢ ص ٣٨٦.

٤ — تاريخ ابن خلدون: ج ٦ ص ٢٥٠، القرطاس: ص ٢٤٣، مخطوط الوافي بالوفيات:

ج ٢٦ ورقة ١٢٦.

٥ — أخبار المهدى: ص ٥٢، أعز ما يطلب: ص ٢٥٩.

٦ — رسائل موحدية: ص ١٣١—١٣٧.

٧ — المن: ج ٢ ع ٥١٩.

المهدي خرجت النساء لاستقباله ((يولولن ويغزبن بالدفوف)) (١).

وظهر في هذا العصر عدد من النسوة المشهورات. منهن : أم المجد مرهم بنت أبي الحسين الفافقي الشاري، درست الحديث، ووصفتها المصادر بـ ((المعجزة المسندة)) (٢). ومنهن : أم السعد بنت عصام الحميري، تعرف بسعدونه، (نسبها رواية عن أبيها وجدها وغيرهما) (٣). ومنهن : أم الهناء بنت القاضي أبي محمد بن عبد الحق بن عطية، من شاعرات قرطبة، (سميت أباها، وكانت حاضرة النادرة، وسريعة التمثل، من أهل العلم والفهم والخلق) (٤) ولها تأليف (٥).

ومن النساء المشهورات في هذا العصر حفصة بنت الحاج الركونية المشهورة بالجمال والحسب والمال، وعشيقة أبي جعفر بن سميد (٦). وكانت حفصة على زمانها مثل ولادة في قرطبة على زمانها أيضا، بل أنها كانت أكثر جرأة في الهجوم على معانسي المشرق والإثارة والخيرة من ولادة (٧).

وكان بعض القضاة يأخذ برأي زوجته في الأحكام، فقد ذكر صاحب النفح أن أحد قضاة لوشة (٨) كانت له زوجة غاقت الطام في معرفة الأحكام والنوازل، وكان قبل أن يتزوجها ذكر له وصفها وفسمى إليها؛ وكان في مجلس قضائه تنزل به النوازل، فيقوم إليها فتشير عليه بما يحكم به (٩).

كان للصراع الذي خاضته دولة الموحدين ضد الصليبيين في الأندلس آثار واضحة في الحياة العامة. فقد كانت الدولة تُقيم احتفالات ذميمة ضمة احتفاءً بالانقصارات التي كان يحرزها المسلمون، وبالتالي في ذلك. وقد نقل ابن صاحب الصلاة صوراً حية عنها، حيث يجلس الخليفة ليقول الدعائي، وتسير الطبول، وتخرج المواكب، وتسير الرسائل، وتخرج الدفقات، وتوزع البركات، ويطلع الناس وينشد الشعراء (١٠).

- ١ - المعجب : ص ٣٦٨.
- ٢ - اختصار الآثار : ص ٢٣ و ص ٣٠. وانظر صلاة الصلاة : ص ١٤٩ - ١٥٣.
- ٣ - النفح : ج ٤ ص ١٦٦.
- ٤ - النفح : ج ٤ ص ٢٩٢.
- ٥ - الكاشح : ج ٤ ص ٢٩٢.
- ٦ - هو أبو جعفر أحمد بن عبد الطاك بن سميد، أحد مصنفين كتاب المغرب، وزير لعثمان ابن عبد المؤمن، وقتله ابنه إياه في هوى حفصة السذكورية أعلاه. انظر : المغرب : ج ٢ ص ١٦٤، الرايات : ص ١٩٦.
- ٧ - انظر : المغرب : ج ٢ ص ٣٨ - ١٣٩، الإحاطة : ج ١ ص ٤٩١ - ٤٩٤، الرايات : ص ٩٢ - ٩٣.
- ٨ - لوشة : من أقاليم البيرة. الروض المحطار : مادة لوشة ص ٥١٣.
- ٩ - النفح : ج ٤ ص ٢٩٤.
- ١٠ - انظر : المن : ج ٢ ص ١٢٥ و ص ٢٥٣.

عانى الشعب في الأندلس من هجمات الصليبيين عليهم . فكثيرا ما دمرت مدن ، وأهلكت نفوس ، وانتسفت زروع ، فقد ترك المد ، وأهل مدينة قونكة (١) « وكأنهم نشروا من كفن ، وخرجوا من جدث » (٢) . وفي سنة ٥٥٤ هـ هاجم الأعداء قرطبة ، ود مروا زروعها ، وعقوا رهوعها (٣) . وفي العام نفسه لقيت إشبيلية ((عظيم الخطب ، وجماع الرعب ، وحل بها وبأهلها كبري حرب)) (٤)

لذلك فقد شاعت ظاهرة الجلاء . وقد عبرت أعداد كبيرة من المهجرين إلى المغرب . (٥)

اهتم الموحدون بأعمار المدن المنكوبة وإغاثة أهلها ، فقد رعى الخليفة يوسف مدينة قونكة وأمدّها بالموث والأسلحة (٦) . وأمد مدينة بطليوس (٧) بميرة كبيرة من القمح والشعير وآلات الحرب . . بما أبهت الناظرين (٨)

وقد اعتنى الموحدون بالسهاجرين وأسكنوهم ، فقد أسكنوا أهل مدينة بلنسية وجزيرة شقر (٩) وشاطبة (١٠) ، وغيرهم من بلاد الشرق ، ووهبوا لهم الأرض ، ووسع عليهم ، وأتمح لهم التملك بالمغرب (١١) . كما اعتنوا بالأسرى وافتدوهم ، وسيلوا عليهم الخيل بسروجها ولجمها وآلات الحرب لها ، وجبروهم ، وكسوهم ، وواسوهم (١٢)

١ — قونكة وتكتب قونكة ، مدينة من أعمال كورة شنتيرية ، وهي من أمتع حصون الشفر الأدنى . الحلة السيرا : ج ٢ ص ٢٢٨ .

٢ — المن : ج ٢ ص ٥٥٥ .

٣ — المن : ج ٢ ص ١١٦ .

٤ — المن : ج ٢ ص ١١٨ — ١٢٠ .

٥ — انظر : — المن : ج ٢ ص ٢٠٥ ، الحلة السيرا : ج ٢ ص ٣٠٣ ، عصر المرابطيين والموحدين : ج ٢ ص ٧٣٧ .

٦ — المن : ج ٢ ص ٥٥٥ — ٥٥٦ .

٧ — بطليوس : — مدينة عظيمة من غرب الأندلس ، بينها وبين قرطبة ستة أيام . تقويم البلدان : ص ١٧٣ .

٨ — المن : ج ٢ ص ٤٥٧ — ٤٦٣ .

٩ — شقر : بفتح الشين وسكون القاف ، جزيرة في شرقي الأندلس ، بينها وبين بلنسية ثمانية عشر ميلا . معجم البلدان : مادة شقر .

١٠ — شاطبة : مدينة جليلة في الأندلس ، تقع في الجنوب الغربي لبلنسية . الروض المعطار : مادة شاطبة ، ص ٣٣٧ .

١١ — انظر ظهير الخليفة الرشيد في ذلك في كتاب عصر المرابطيين والموحدين : — ج ٢ ص ٣٣٧ .

١٢ — المن : ج ٢ ص ٢٨٦ .

وبعد وأن فترة الرفاه الاجتماعي التي عاشها الشعب في المغرب والأندلس كانت مقصورة على عهد الخلفاء الأول . فبعد وفاة الناصر توالى على الخلافة عـدد من الخلفاء الضعاف الذين انشغلوا بالصراع على السلطة ، وأهبطوا الرعية ، فاشتد الخوف ، وكثر اعتداء الأقوياء على الضعفاء ، وكسدت التجارة ، وغلت الأقوات ، وارتفعت الأسعار ، وطافت بالأندلس والمدة شدة عنيفة (١) .

١ — الذخيرة السنية : عر ٣٥—٣٦ ، القرطاس : عر ٢٥٥ .

الحياة الفكرية

استمرت الحركة الفكرية في المغرب والأندلس في عهد الموحدين بالنمو والازدهار في كل ميدان، وظهر العلماء في كل فن، فشهدت الدولة الموحدية حركة فكرية نشطة.

وقد ساعد على ذلك طبيعة الدعوة الموحدية التي شجعت العلم، وحثت عليه. فقد أبدى ابن تومرت حماسة واضحة للعلم في مطلع كتابه ((أعز ما يطلب))، حيث جعل ((أعز ما يطلب، بأفضل ما يكتسب، وأنفس ما يذخر، العلم الذي جعله الله سبب الهداية الى كل خير)) (١). لذلك فقد هاجم ابن تومرت دولة المرابطين بسبب الحجر الفكري الذي كانت تمارسه كما يذم (٢).

وكان أمراء الموحدين أنفسهم علماء محبين للعلم، فقرّبوا أهل العلم، وشجعوهم، وأكرمهم، وأغدقوا الصلات عليهم. فقد كان ابن تومرت أحد علماء عصره المجتهدين في طلب العلم، حيث ارتحل إلى المشرق طلباً للعلم، واستفرت رحاته خمسة عشر عاماً، وعاد منها ((بحراً منفجراً من العلم، وشهيداً واريماً من الدين)) (٣). وقد جلس ابن تومرت لتدريس العلم، ففي تونس جلس إليه مجموعة من الفقهاء يأخذون عنه (٤)، وفي المهدية (٥) قرأ عليه الناس كتباً من أصول الدين (٦).

ولم يكن خلفاء ابن تومرت أقل تشجيعاً للعلم منه. فعبد الموحدين بدأ حياته طالب علم طموحاً، وقد دفعه طموحه للسفر إلى المشرق طلباً للعلم، إلا أن ابن تومرت شق عزمه عن ذلك (٧)، وعندما ولي الخلافة لم تشغله أمور الحكم عن رعاية العلم والعلماء. فقد كان موثقاً لأهل العلم، محسناً إليهم، يستدعيهم من البلاد، ويجري عليهم الأرزاق الواسعة، ويظهر التقويه بهم، والإعظام لهم، وكان يحقد ندوات علمية أسبوعية في قصره (٨).

- ١ - أعز ما يطلب : ص ٣ .
- ٢ - المعجب : ص ٢٣٦-٢٣٧ .
- ٣ - تاريخ ابن خلدون : ج ٦ ص ٤٦٥ .
- ٤ - أخبار المهدى : ص ٥٥ .
- ٥ - المهدية - نسبة الى عبيد الله المهدى الذي بناها على شاطئ القيروان سنة ٣٠٠ هـ . معجم البلدان : مادة المهدية .
- ٦ - وفيات الأعيان : ج ٥ ص ٤٧ .
- ٧ - أخبار المهدى : ص ٥٥-٥٦ .
- ٨ - المعجب : ص ٢٦٩ ، نظم الجمان : ج ٦ ص ٥٣ ، مخطوط الاغبطا بتراجم أعمال الرباط : ج ١ ورقة ٢١٥ .

كذلك كان الخليفة يوسف بن عبدالمؤمن أحسن الناس ألفاظا بالقرآن، وأسرعهم نفوذ خاطر في غامض مسائل النحو، وأحفظهم للغة العربية (١). ولم يزل يوسف ههنا يجمع الكتب من أقطار الأندلس والمغرب، ويبحث عن العلماء، وخاصة أهل علم النظر، إلى أن اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك قبله ممن ملك المغرب. ومن بين هؤلاء العلماء ابن طفيل (٢) الذي كان صديقا حميما له، شديد الشغف به، فقد كان يقيم في قصره أياما ليلا ونهارا لا يظهر (٣). ولم يزل ابن طفيل يجلب العلماء له، ويحضره على إكرامهم، ومن بينهم أبو الوليد بن رشد (٤). *

وكان الخليفة المنصور من حقاظ الحديث، محبا للعلماء والأدباء، محسنا إليهم، مقربا لهم، مصفيا إلى المديح، مشيا عليه. وكان محبا للفلسفة، فبعد اضطهاده للفيلسوف ابن رشد عاد واستدعاه، واستخلصه لنفسه بطلعه على أسرار صناعة الصنائع (٥).

وقد بلغ من اعتناء الموحدين بالعلماء أن قسم وهم طائفتين؛ ((فقد جرت عاداتهم بالكتب إلى البلاد واستجلاب العلماء إلى حضراتهم على أهل كل فن، وخاصة أهل علم النظر. وسموهم طلبة الحضر، فهم يكثرون في بعض الأوقات ويقلون. وصنف آخر ممن عني بالعلم من المصاندة يسمون طلبة الموحدين، ولا بد في كل مجلس عام أو خاص يجلسه الخليفة منهم)) (٦).

والحق أن الدولة الموحدية شجعت العلم والعلماء، وأباحوا للتفكير حرية، وحررتهم من القيود. وقد شجع هذا الجو العلمي العلماء والأدباء على الإنتاج والإبداع في كل ميدان.

- ١ — المعجب: ص ٣٠٩
- ٢ — من وادي أش، وهو من مشاهير الأطباء وأهل الحلق والنظر توفي سنة ٥٨١ هـ. الاحاطة: ج ٢ ص ٤٧٨ — ٤٧٩.
- ٣ — المعجب: ص ٣١٢، المعبر في خبر من غير: ج ٤ ص ٢٤٠.
- ٤ — المعجب: ص ٣١٤.
- * — هو الفيلسوف المشهور محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي. انظر ترجمته في التكملة: ج ١ ص ٥٥٣ — ٥٥٥.
- ٥ — المعجب: ص ٣٨٥.
- ٦ — المعجب: ص ٣٤٢.

وقد تعددت مظاهر النشاط الفكري في الدولة الموحّدية . ومن هذه المظاهر —
الرحلة في طلب العلم . وهي نوعان : — داخلية وخارجية ، أمّا الداخلية فكانت إلى المراكز
العلمية المنتشرة في أنحاء الدولة . فقد كان كثير من العلماء المفاربة يمهرون إلى
الأندلس للدراسة والسّماع . وكان العلماء الأندلسيون يفدون على المغرب ويستقرون
بمدنه (١) . وقد ساعد ذلك على الامتزاج الثقافي بين المغرب والأندلس .

وأما الرحلة الخارجية فكانت غالباً إلى المشرق . وقد أوردت كتب التراجم أسماء
كثير من المفاربة والأندلسيين الذين رحلوا إلى المشرق طلباً للعلم (٢) . وبذلك استمر
الاتصال الثقافي بين مشرق العالم الإسلامي ومشرقه في عهد الموحّدين .

ومن مظاهر النشاط الفكري في دولة الموحّدين : — اقتناء الأصول القديمة
والمنالية بها . فقد كان للشيخ أبي حفص بن عمر الهنتاني (٣) همّة عالية في مطالعة
الكتب ((واقتنائها وانتساخها حتى اجتمعت له منها خزانة عظيمة عالية الفنون)) (٤) .
وقد تحصل عند أبي الحسن الشاذلي (٥) ((من الأعلّاق النفيسة ، وأسماء الدواوين —
الملقّية ما لم يكن عند أحد من أبناء عصره ، ولا تحصل عند كثير من تقدّمة)) (٦) . وقد
اقتنى أبو الخطاب أحمد بن واجب القيسي (٧) ((من الأصول المتيقة ، والدفاتر النفيسة
كثيراً ، وربما سافر في تحصيلها ، وهي كانت جلّ ما أورد)) (٨) . وقد بلغت قيمة
الكتب التي اقتناها أبو الصّباس أحمد بن يحيى العبدي (٩) ستة آلاف دينار (١٠) .

١ — أوردت المصادر أسماء كثير من المفاربة والأندلسيين الذين تنقلوا في أنحاء
الدولة الموحّدية . ونكتفي هنا بالإشارة إلى بعض المواطنين التي ورد فيها ذلك .

انظر : صلة : ص ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٨ ، ٥٠ .

٢ — انظر التكملة : ج ٢ ص ٨١٦ ، ٨٣٥ ، ٨٤١ ، ٨٥٠ ، ٨٥٦ ، ٨٧٥ .

٣ — من أبرز خاصّة المهدي ، وإليه يرجع الفضل في تثبيت مركز الدولة . وهو بطـ
مركة السهطاط سنة ٥٦٨ هـ . انظر : — اخبار المهدي : ص ٣٣ ، المصن :

ج ٢ ص ٢٩٩ .

٤ — المصن : ج ٢ ص ٢٩٩ .

٥ — ترجمته في صلة : ص ١٤٩ — ١٥٣ .

٦ — صلة : ص ١٥٢ .

٧ — ترجمته في التكملة : ج ١ ص ١٠٦ — ١٠٨ .

٨ — التكملة : ج ١ ص ١٠٨ .

٩ — ترجمته في التكملة : ج ١ ص ٩٤ .

١٠ — التكملة : ج ١ ص ٩٤ .

وقد كانت تلك الكتب المقتناة مشرقية في معظمها ، مما يدل على وحدة الفكر والثقافة في مشرق المالم الإسلامي ومفره آنذاك . ويدافع الحمر صر على التراث فقد شمس الأندلسيون كثيرا من تلك الكتب وعلقوا عليها . ومن هذه الكتب المشروحة : — كتاب الأمالى ، وكتاب الكامل ، وكتاب الجمل ، وديوان المتنبي (١) .

ومن هذه المظاهر : المدارس وحلقات التدريس التي كان يعقدها العلماء ، ويقصدها الطلاب من كل فج . ويدرس في هذه الحلقات عدد من الطلاب على شيخ واحد يأخذون العلم عنه . ومن هؤلاء الشيوخ : أبو الحسن علي بن محمد الشار ، السالف الذكر . وقد بنى أبو الحسن هذا في بلده مدرسة () وقف عليها من الكتب ما يحتاج إليه ، وشرع في تكميل ذلك على السنن الجارى بالمدارس ببلاد المشرق (٢) . وقد أخذ عن أبي الحسن جلة من العلماء .

ومنهم : — علي بن مؤمن بن محمد بن مصفر . أقرأ ببلده اشبيلية مدة ، ثم خرج منها وجال ببلاد الأندلس ، وكان يقيم في كل بلد أشهراً يتصدّر للاقراء ، وكسبان الطلبة يقبلون عليه في كل بلد ينزل فيه (٣) .

ومنهم : — أبو الحكم عمرو بن زكريا البهراني (٥) . () رحل الناس إليه من كل مكان ، وأخذ عنه القراءات عالم كثير (٦) . ومنهم : — أبو الحسن علي بن يوسف بن علي (٧) ، وقد () كان معلّم كتاب (٨) .

وقد كانت المناظرات العلمية مظهراً آخر من مظاهر النشاط الفكرى في دولة الموحدين . وكان الخلفاء الموحدون أنفسهم يشتركون في تلك المناظرات . ومن هؤلاء : الخليفة عبد المؤمن والخليفة المنصور . وقد كان هذان الخلفيتان يلقيان المسائل

- ١ — التكملة : ج ١ ص ١٣٠ .
- ٢ — صلة الصلة : ص ١٥٢ .
- ٣ — ترجمته في صلة الصلة : ص ١٤٢ .
- ٤ — صلة الصلة : ص ١٤٢ .
- ٥ — ترجمته في صلة الصلة : ص ١٥٧ .
- ٦ — صلة الصلة : ص ١٥٧ .
- ٧ — ترجمته في صلة الصلة : ص ١٤٤ .
- ٨ — صلة الصلة : ص ١٤٤ .

بأنفسهما على المشتركين في المجالس العلمية (١). ومن تلك المناظرات : — المناظرات اللغوية التي كانت تدور بين علي بن خروف (٢) وأبي زيد السهيلي (٣) وأبي محمد القرطبي (٤) . وقد قيد أبو علي عمر بن عبد المجيد الرندي (٥) جزءاً غيماً جرى بين ابن خروف وبين الأستاذ أبي محمد القرطبي سماه بـ ((الخبّي في أغاليط القرطبي)) (٦) .

ومن مظاهر النشاط الفكري في دولة الموحدين : ازدهار الوراقة . فقد كان غسي مدينة فاس وحدها أربع مائة مصنع للورق (٧) . وقد نبغ في هذا العهد عدد من الورّاقين المفارمة والأنداسيين الذين كتبوا بخطوط مختلفة مذكر منهم : — أبا محمد عبد الله بن سليمان بن حوط الله الأنصاري (٨) ، وأبا محمد عبد الوالي بن محمد البتي (٩) ، وأبا المعبّس أحمد بن محمد البكري البطليوسي (١٠) ، وعيسى بن محمد بن شعيب الفافقي (١١) .

وكان من الخلفاء الموحدين أنفسهم من يجيد الكتابة بأكثر من خط . وكان بعضهم يوقع الرسائل الرسمية بيده بخط الثلث المشرقي ، وبالمداد الأحمر المعروف لهم (١٢) . ومن الطبيعي أن يكثر التأليف في دولة بلغ ذبها النشاط الفكري مدى بمسدا ، لذلك فقد كثرت في دولة الموحدين المصنفات التي تهت في مختلف العلوم والفنون ، ونبغ فيها عدد كبير من العلماء .

١ — المصجب : ص ٣٤٢ .

٢ — ترجمته في فوات الوفيات : ج ٢ ص ١٦٠ ، مخطوط الوافي بالوفيات : ج ٢ ورقة ٦ .

٣ — ترجمته في بغية المطعس : ص ٣٦٧ ، مخطوط الوافي بالوفيات : ج ١٦ ورقة ٨٩ — ٩٠ .

٤ — لم نهتد الى ترجمته .

٥ — ترجمته في صلة الصلة : ص ٦٧ — ٦٨ .

٦ — صلة الصلة : ص ٦٨ — ٦٩ .

٧ — زهرة الآس : ص ٤٤ .

٨ — ترجمته في التكملة : ج ٢ ص ٨٨٣ — ٨٨٥ .

٩ — ترجمته في الذيل والتكملة : ج ٥ ص ٧١ .

١٠ — ترجمته في الذيل والتكملة : ج ٥ ص ٢٢ .

١١ — ترجمته في الذيل والتكملة : ج ٥ ص ٥٠٦ ، صلة الصلة : ص ٤٩ .

١٢ — البيان المصفر : ج ٣ ص ٣٢٠ ، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين : ص ٢٧٠ .

ففي مجلال العلوم النقلية اهتم الموحّدون بعلمي التفسير والقراءات؛ فازدهرا، وذلك بسبب دعوتهم للرجوع إلى الكتاب والسنة، والأخذ بظاهرها (١). فقد رأى الخلفاء الموحّدون أن المسلمين قد شغلوا عن كتاب الله وسنة رسوله بكتب الفروع التي لاقت سوقا رائجة في دولة المرابطين. لذلك عملوا جاهدين للقضاء على تلك الكتب، فأحرق منها على عهد الخليفة المنصور أعداد هائلة (٢).

وقد ظهر في هذا العهد علماء كثيرون نبهوا في علمي التفسير والقراءات، نذكر منهم:- أبا عبد الله محمد بن علي بن العباد الأنصاري (٣)، وألف ((في تفسير الكتاب العزيز، وشرح الأسماء الحسنى، وقسّر كلّ مشكل الكتاب والسنة في سفر متوسط، وألف كتابه المسّى بشعب الإيمان)) (٤).

ومنهم:- أبو الحسن علي بن جابر الدّباح (٥) ((كان حسن السّمت والهدى... مقرأً مجوداً... عكف على اقراء القرآن وتدرّس العربية والأدب نحو خمسين سنة... وكتب بخطه الرائق الكثير، وأتقن ضبطه وتقييده)) (٦).

ومنهم:- الفقيه المحدث المفسّر محمد بن يوسف بن سماعة الذي برع في علوم الدين (٧).

وقد عني الموحّدون بالحديث عناية فائقة، فقد كان الخليفة المنصور من حفاظ الصحيحين كما ذكرنا. واشتهر في الحديث وعلومه عدد من الرجال نذكر منهم:- أبا محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأشبيلي (٨)، ((له تواليف حسان)) (٩)، وقد صنّف في الأحكام نسختين كبرى وصغرى، وله كتاب في المعتلّ من الحديث. توفي سنة ٥٨٢ هـ (١٠).

١ - أخبار المهدي: ص ٢ و ص ٣ و ص ٨.

٢ - المجيب: ص ١٨٤.

٣ - ترجمته في صلة الصلة: ص ٣٠ - ٣١.

٤ - صلة الصلة: ص ٣١.

٥ - ترجمته في الذيل والتكملة: ج ٥ ص ١٩٨ - ٢٠١.

٦ - الذيل والتكملة: ج ٥ ص ١٩٩.

٧ - ترجمته في التكملة: ج ١ ص ٥٠٥ - ٥٠٧.

٨ - ترجمته في بغية الملتقى: ص ٢٩١.

٩ - بغية الملتقى: ص ٢٩١.

١٠ - مخطوط الوافي بالوفيات: ج ١٦ ورقة ٥٥٥.

ومنهم : — عبد الرحمن السهيلي الأندلسي المالقي الأعشى المتوفى سنة ٥٨١ هـ .
تصدر للإقراء والتدريس ، وبعد صيته ، وجل قدره ، واستُدعي إلى مراكش وحظي فيها (١) .

ومنهم : — ابن الفخار علي بن إبراهيم (٢) ((كان له في الفقه ومناحي الحديث تمكن مكان)) (٣) .

ومنهم : — الشهيد أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي . أريت مؤلفاته على
المشرين ، كان ((حافظا للحديث ، صغرا في نقده ، تام المعرفة بطرقه ، ضابطا لأحكام
أسانيد ، ذا كرا لرجاله وتواريخهم وطبقاتهم)) (٤) ، استشهد في معركة أنيش سنة
٦٣٤ هـ (٥) .

وقد شجع الموحدون علمي الأصول والكلام ، فنبغ فيهما عدد كثير من العلماء
المفاربة إلى درجة كانت تشد الرحلة إلى المغرب لطلبهما . فقد أجاز عبد الله بن باديس
المحسبي (٦) البحر إلى مدينة فاس وتبحر على علمائها في علم الكلام (٧) ومن العلماء
الذين اشتهروا بعلمي الأصول والكلام : — محمد بن عبد الكريم الفندلاوي (٨) . كان إماما
في علم الكلام وأصول الفقه ، وقد عكف على تدريسهما طوال حياته (٩) .

ومنهم : — أبو الحسن علي بن محمد بن خليل المعروف بابن الإشبيلي (١٠) ،
((كان أصوليا ماجرا ، متكلميا حازقا ، وهو الذي قرر علم الأصول وعلم الكلام بمدينة
فاس)) (١١) .

-
- ١ — المغرب : ج ١ ص ٤٤٨ ، بغية المتيقن : ج ٣٦٧ ، مخطوط الوافي بالوفيات : ج ١٦ ورقة ٥٥ .
 - ٢ — من أهل مالقة ، كان صدرا في حفاظ الحديث ، توفي سنة ٦٤٢ هـ . انظر : — صلة
الصلة : ص ١٣٥ ، الذيل والتكملة : ج ٥ ص ١٨٥ — ١٨٦ .
 - ٣ — صلة الصلة : ج ١٣٥ ، وانظر : الذيل والتكملة : ج ٥ ص ١٨٥ — ١٨٦ .
 - ٤ — مخطوط الوافي بالوفيات : ج ١٣ ورقة ١٥٩ .
 - ٥ — انظر : — الذيل والتكملة : ج ٤ ص ٨٩ — ٩٠ ، الخلة السيرا : ج ٢ ص ١٠٢ ، إعتاب
الكتاب : ص ٢٤٩ .
 - ٦ — هو عبد الله بن باديس بن عبد الله بن باديس المحسبي ، من أهل جزيرة شقر .
توفي سنة ٦٢٢ هـ . انظر : التكملة : ج ٢ ص ٨٩٣ .
 - ٧ — التكملة : ج ٢ ص ٨٩٣ .
 - ٨ — من أهل مدينة فاس ، توفي سنة ٥٩٦ هـ . انظر التكملة : ج ٢ ص ٦٨١ .
 - ٩ — التكملة : ج ٢ ص ٦٨١ .
 - ١٠ — توفي سنة ٦٧٧ هـ . انظر : صلة الصلة : ص ١٠١ — ١٠٢ .
 - ١١ — صلة الصلة : ص ١٠١ .

وقد ازدهرت علوم اللغة العربية في هذا العصر، ووجدت مدارس نحوية تفردت بآراء خاصة في مسائل الإعراب وغيره، ((فهذه مدرسة فارس التي يختلف أهلها عن مدرسة تلمسان في مسألة صرف أبي هريرة، وهذه مدرسة سبته التي تخالف الجمهور في ضم النكرة المقسودة إذا نوت اضطراباً، وهذه مدرسة طنجة التي توجه أسئلة نحوية إلى مدرسة إشبيلية...))^(١).

وظهر في هذا العصر أشهر علماء النحو واللغة في الأندلس والمغرب. منهم : علي بن محمد المغربي، ويعرف بابن خروف. برع في العربية، وانقطع لها، وأصبح من أئمتها البارزين، وتصدر لإقراءها طول حياته، وتفوق بالأخص في شرح كتاب سييويه، وألف شرحه المشهور عليه، ويقال أنه حمل منه نسخة إلى الخليفة الناصر بمراكش، فوصله بألف دينار^(٢).

ومنهم : — ابن عصفور النحوي الإشبيلي، ((حامل لواء العربية، في الأندلس، لازم ابن علي الشلوين نحواً من عشرة أعوام إلى أن ختم عليه كتاب سييويه... توفي بتونس سنة ٦٦٣ هـ))^(٣).

وأشهر النحويين الذين ظهروا في الأندلس أبو علي عمر بن محمد الشلوين. غلبت عليه دراسة العربية، ونبغ فيها حتى غدا إمامها الذي لا يبارى. وكانت تشد إليه الرحال من سائر الآفاق للأخذ عنه. وكان إمام العربية بالشرق والمغرب... توفي سنة ٦٤٥ هـ^(٤).

ومن اللغويين المشهورين أبو الخطاب عمر بن الحسن بن بركة الكلي. ((كان من أحفظ أهل زمانه باللغة حتى صار حوشي اللغة عنده مستعملاً، غالباً عليه))^(٥). ومن هؤلاء اللغويين السهمي المالقي السالف الذكر، فقد عمد في كتابه ((الرّوض الأنف))

- ١ — النبوغ المغربي : ج ١ ص ٢٦، وانظر : التكملة : ج ٢ ص ٥٣٨.
- ٢ — انظر : — فوات الوفيات : ج ٢ ص ١٦٠، صلة الصلة : ج ١ ص ١٤٢، بغية الوعاة : ص ٣٥٧، مخطوط الوافي بالوفيات : ج ٢٠ ورقة ٦.
- ٣ — مخطوط الوافي بالوفيات : ج ٢٠ ورقة ٥٢، وانظر : — صلة الصلة : — ص ١٤٢، فوات الوفيات : ج ٢ ص ١٨٤، بغية الوعاة : ص ٣٥٧.
- ٤ — انظر : — وفیات الأعيان : ج ٣ ص ٤٥٢، الذيل والتكملة : ج ٥ ص ٤٦٠—٤٦٤، المغرب : ج ٢٠ ص ١٢٩.
- ٥ — وفیات الأعيان : ج ٣ ص ٤٤٨، وانظر : بغية الوعاة : ص ٣٦٠.

الى إيضاح ما في سيرة ابن هشام ((من لفظ غريب، وأعراب فاض، أو كلام مستفلق)) (١).

وقد ازدهر الأدب في هذا العصر. فقد اعتنى الموحّدون به، ونال عند م. مكانة سامية، ويتجلى ذلك في التشجيع المادّي والمعنوي للأدباء. فقد وهب عبد المؤمن أحد الشعراء ألف دينار على بيت واحد أنشده آياه (٢). وهب المنصور ابن منقذ (٣) رسول صلاح الدين أربعين ألف دينار على قصيدة مدحه بها، ألف دينار على كل بيت (٤).

كذلك كان الخلفاء الموحّدون يقيمون الندوات الشعرية التي يشترك فيها كثير من الشعراء. فقد أقام عبد المؤمن ندوة أدبية ضخمة في جبل طارق، واستدعى لها الشعراء، وكان لا يستدعيهم قبل ذلك، واجتمع على بابها منهم عدد كبير (٥).

ونضيف إلى رعاية الخلفاء وتشجيعهم، الأحداث الكبرى التي ألمّت بالمسلمين في الأندلس. فقد أذكت عواطف الشعراء، وألهبت مشاعرهم.

ومن أشهر الشعراء المغاربة أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي ((كان عالما بالأدب، حافظا بليغ اللسان، شاعرا مطلقا)) (٦). وهو ((أديب المصرب على الإطلاق في زمانه مع ماله من اعتداد بالنفس.)) (٧).

ومنهم: — أبو عبد الله محمد بن حسين بن عبد الله بن حبّوس الفاسي. ((كان عالما محققا، وشاعرا مطلقا، يتقدّم في ذلك أهل زمانه)) (٨). وقد جمع شعره فسي ديوان حافل (٩).

-
- ١ — الروض الأنف: ص ٣.
 - ٢ — وفيات الأعيان: ج ٣ ص ٢٣٩.
 - ٣ — هو مرهف بن أسامة بن منقذ، صاحب كتاب ((الاعتبار))، له علم بالأدب والشعر. انظر: تهذيب تاريخ ابن عساكر: ج ٢ ص ٤٠٠—٤٠١.
 - ٤ — الاستقصا: ج ٢ ص ١٦٤.
 - ٥ — المن: ج ٢ ص ١٥٠.
 - ٦ — التكملة: ج ١ ص ١٢٨—١٢٩.
 - ٧ — الفصوص المانعة: ص ١٠٢، وانظر: ذكريات مشاهير رجال المصرب، عدد ٦، ص ٧ وما بعدها.
 - ٨ — التكملة: ج ٢ ص ٦٧٧.
 - ٩ — التكملة: ج ٢ ص ٦٧٧.

ومن الشعراء الأندلسيين المشهورين الذين ظهروا في هذا العصر: أبو عبد الله محمد بن غالب البلسني المعروف بالرّصافي . ((كان شاعر وقته المعترف له بالإجازة)) (١) . مدح عبد المؤمن وهو — أي الشاعر — لم يزل صبيّا يافعا ، ((وشعره مدون بأيدي الناس ، متنافس فيه . وقد حمل عنه وسع منه)) (٢) .

ومضهم — أبو الحسن علي بن حزمون ، ((صاعقة من صراغق الهجاء)) (٣) ، أكثر قوله في طريقة التوشيح ، لم يدع موشحة تجري على ألسنة الناس إلا أعدل في عروضها ورويتها موشحة أخرى (٤) .

ومضهم : — أبو بكر يحيى بن مجبر ، ((أديب شاعر متقدم في طريقة الشعر ، سرع فيها وفاق أهل زمانه)) (٥) .

وقد أشارت المصادر إلى كثير من الدواوين الشعرية لشعراء وجدوا في عصر الموحدين . نذكر منها ديوان أبي بكر بن المنخل الشلبي (٦) ، وديوان ((نورا الكمايم)) (٧)

-
- ١ — التكملة : ج ٢ ص ٥٢٠ .
 - ٢ — التكملة : ج ٢ ص ٥٢٠ . وانظر : وفيات الأعيان : ج ٢ ص ٤٣٢ — ٤٣٣ ، الرّايات : ص ١١٨ .
 - ٣ — المضرب : ج ٢ ص ٢١٤ .
 - ٤ — زاد المسافر : ص ٦٤ ، المضرب : ج ٢ ص ٢١٤ ، النّفح : ج ٧ ص ٩ .
 - ٥ — بغية الطّمس : ص ٥٠٨ . وانظر : الرّايات : ص ١١١ ، والمبر في خبر من غير : ج ٤ ص ٢٦٧ .
 - ٦ — التكملة : ج ٢ ص ٢٩٧ ، والشاعر : هو أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنخل ، من أهل شلب ، شاعر مجود ، توفي في حدود سنة ٥٦٠ هـ . انظر : التكملة : ج ٢ ص ٢٩٦ — ٢٩٧ ، الرّايات : ص ٥٧ ، المضرب : ج ١ ص ٣٨٧ .
 - ٧ — التكملة : ج ٢ ص ٥٥٧ .

لأبي القاسم الهمداني (١)، وديوان ابن سيد الاشيلي (٢)، وديوان أبي العباس الصدفي (٣)، وديوان أبي العباس الجراوي (٤).

أما النشر الفني فقد أشارت المصادر إلى كثير من أعلامه الذين انتظم بعضهم في كتاب الدولة الموحدية. منهم — أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن عبد الله بن عياش التجيبي. كان ((رئيساً في صناعة الكتابة، خطيباً مصقفاً، بليفاً مفوهاً)) (٥)، استكتبه المنصور ونال عنده دنيا عريضة. وقد حفظت المصاحف بعض رسائله التي ظهر فيها روعة أسلوبه، ورشاقة قلعه (٦).

ومنهم : — أبو الفضل محمد بن علي بن طاهر بن تميم القيسي، ويعرف بابن محشرة. كان عالماً متمكناً، وأديباً بارعاً، وكاتباً مجيداً. استدعاه الخليفة يوسف ليتولى كتابته السر، فظهر في هذا المنصب بمقدرته، وروعة أسلوبه، وبانتهال

على أن أهرع كتاب هذا المعسر هو أبو المطرف بن حميرة المصنوعي. ظهر في أواخر دولة الموحدين، وشاهد محنة المسلمين في الأندلس. تفتن في العلوم ونظر في العقليات وأصول الفقه، ومال إلى الأدب، فبرع فيه براعة عد بها من كبار مجيدي النظم. أما الكتابة ((فهو علمها المشهور، وواجهها الذي عجزت عن ثانيه الدهور)) (٨). وقد صدرت عن ابن حميرة مجموعة من الرسائل صورت محنة مسلمي الأندلس، وكشفت

- ١ --- هو أبو القاسم محمد بن علي الهمداني، من أهل وادي آش. شاعر مطبوع، له مشاركة في الطب. توفي سنة ٩٦ هـ. انظر : — التكملة : ج ٢ ص ٥٥٦ — ٥٥٧.
- ٢ --- التكملة : ج ١ ص ٨٠، والشاعر هو أحمد بن علي بن سيد الاشيلي، يعرف باللقب لإغارته على الأثيمار. توفي سنة ٥٥٧ هـ أو ٥٧٨ هـ. انظر : — التكملة : ج ١ ص ٨٠، النفح : ج ٤ ص ٢٠٣، المغرب : ج ١ ص ٢٠٢، الرأيات : ص ٤٨.
- ٣ --- التكملة : ج ١ ص ٩٨، والشاعر هو أبو العباس أحمد بن يعيش الصدفي، من أهل شريش. توفي سنة ٦٠٥ هـ. انظر : التكملة : ج ١ ص ٩٧ — ٩٨.
- ٤ --- التكملة : ج ١ ص ١٢٨.
- ٥ --- التكملة : ج ٢ ص ٦٠٦.
- ٦ --- انظر : رسائل موحدية : ص ٢٢٨ — ٢٥٩.
- ٧ --- عنوان الدراية : ص ٣٠.
- ٨ --- الإحاطة : ج ١ ص ١٧٤، وانظر : مخطوط الاغتباط بتراجم أعمال السلاط : ج ١ ورقة ٤ — ٥.

عن رهاقة حسه، وروعة بيانه (١). وهناك نسختان خطيتان من رسائله محفوظتان في الخزانة العامة بالرباط (٢).

وقد عرفت العلوم العقلية نهضة شامة في عهد الموحدين. فقد كانت الدولة تمتع بعدد كبير من الأطباء والصيادلة والفلاسفة والمهندسين. ووجد هؤلاء فسي الخلفاء الموحدين الذين رعوهم ميداناً رحباً لنزولة نشاطهم؛ فأبدع كثير منهم، بل أن عدداً من أعلام الفكر الإسلامي كان من هؤلاء العلماء.

فقد كان للطب مجالس راسية منظمّة كذلك التي كان يعقدها ابن زهر (٣)، وكان يقصدها الطلاب من كل جهة، ويقتضون بتلقي قواعد الطب فيها (٤).

وأظهر المنصور اهتماماً كبيراً بالطب. فقد عمر ((بمراكش بيمارستاناً غريباً أجرى فيه مياها كثيرة، وغرس فيه جميع الأشجار وزخرفه، وأمر له في كل يوم ثلاثين ديناراً للأروية...)) (٥).

وقد ظهر في هذا العصر عدد كبير من الأطباء الذين أشارت المصادر إلى حذقهم ومهارتهم، نذكر منهم: — أبابكر بن زهر، وأبابكر بن طفيل، وأبوالوليد بن رشيد، وأباجعفر أحمد الذهبي (٦)، وأبابكر محمد بن علي الزهري (٧)، وموسى بن ميمون القرطبي (٨).

- ١ — انظر: النسخ: ج ١ ص ٣٠٥—٣٠٦، الإحاطة: ج ١ ص ١٧٦، البوض المعطار: مادة بانسية ص ٩٧—١٠٠.
- ٢ — الأولى رقم ٢٣٢ ك، والثانية رقم ٢٣٣ ك.
- ٣ — هو أبوبكر محمد بن عبد الملك بن زهر الإيادي. أخذ صناعة الطب عن أبيه. عانى عمل الشعر، وله مؤشعات يتغنى بها. انظر: عيون الأنباء: ص ٥٢١، رايات المبرزين: ص ٤١.
- ٤ — عيون الأنباء: ص ٥٣٦.
- ٥ — مخطوط الوافي بالوفيات: ج ٢٦ ورقة ٥٢، وانظر المعجب: ص ٣٦٤.
- ٦ — هو أبوجعفر أحمد بن عتيق بن الحسن بن زياد بن جرج الذهبي من أهل بنسية. ولد سنة ٥٥٤ هـ وتوفي سنة ٦٠١ هـ. انظر: التكملة: ج ١ ص ٩٥، الذي — والتكملة: ج ١ ص ٢٢٩، المغرب: ج ٢ ص ٣٢١.
- ٧ — هو أبوبكر محمد بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن القرشي الزهري، من أهل إشبيلية. توفي سنة ٦٢٣ هـ عن سن عالية زاحمت التسعين. انظر: التكملة: ج ٢ ص ٦١٩.
- ٨ — يهودى النحلة، قرأ الطب وأجاده علماً. أظهر الاسلام خوفاً من سلطان الخليفة عبد المؤمن، ثم ارتد. بعد أن هاجر إلى مصر. توفي سنة ٦٠٥ هـ. تاريخ الحكماء: ص ٣١٧—٣١٩.

وقد نبغ في عهده الموحدين عدد من علماء النبات، أشهرهم : ابن البيطار الأندلسي، وابن الرومية الإشبيلي. أما ابن البيطار فـ ((إليه انتهت معرفة النبات وتحقيقه، وصفاته، وأسماءه، وأماكنه، لا يجارى في ذلك. سافر إلى بلاد الأغارقة، وأقرب بلاد الروم، وأخذ من النبات عن جماعة)) (١). وكان بمصر رئيساً على سائر المشايخ.

وأما ابن الرومية فقد مال إلى علم النبات ودراسته، وتجرّول من أجل ذلك فسي الأندلس والمغرب، ورحل إلى المشرق، ووقف في رحلاته على ما لم يقف عليه غيره من أصناف النبات، وله تصانيف في النبات عديدة (٢).

ولعل أهم مظهر من مظاهر التحرر الفكري في دولة الموحدين انتشار دراسة الفلسفة، وكانت من قبل لا تعنى إلا الزندقة والإلحاد (٣). ويعود اهتمام الموحدين بالفلسفة إلى ((الدعوة التي ثار المهدي بها على فقهاء عصره الذين حرّموا العلوم العقلية، وأقفوا باب الاجتهاد، وقطعوا كل اتصال بكتب الأصول... واستسلموا لتيار التقليد، وترديد أقوال السابقين)) (٤).

وقد أعطى ابن تومرت العقل حرية واسعة في ميدان العقائد، ((فبضرورة العقل يعلم وجود الباري سبحانه)) (٥)، ومن ثم أقام الجانب التوحيدي (٦) من مذهبه على أساس عقلي.

رعى الخلفاء الموحدون الفلسفة واعتنوا بها. فقد انكب الخليفة يوسف أثناء ولايته على إشبيلية على دراسة فلسفة اليونان، ولا سيما فلسفة أرسطو. ولما ولي الخلافة طمح به شرف نفسه، وعلو همته إلى تعلّم الفلسفة، فجمع كثيراً من أجزاءها، وبدأ من ذلك بعلم الطب، ثم تخطى إلى ما هو أشرف من أنواع الفلسفة، وأمر بجمع كتبها، فاجتمع له منها قريب مما اجتمع للحكم المستنصر بالله الأموي (٧). ولم يزل يوسف هذا

- ١ — فوات الوفيات : ج ١ ص ٤٣٤.
- ٢ — عيون الأنباء : ص ٥٣٨، التكملة : ج ١ ص ٢١١—٢٢٠، الإحاطة : ج ١ ص ٢٠٨ و ٢١٢.
- ٣ — النسخ : ج ١ ص ٢٢١.
- ٤ — الأمير الشاعر : ص ٥٨.
- ٥ — أعز ما يطلب : ص ٢٢٩.
- ٦ — التوحيد : — هو عمدة مذهب ابن تومرت، وبه سقى أتباعه. وجوهر هذا المبدأ هو ((العلم بالله)) وتزويده، وتصوّر تصوّراً روحانياً صرفاً مجرداً من أي ماديّة أو تجسيم. انظر : أعز ما يطلب : ص ٢٢٩، أخبار المهدي : ص ٤٠.
- ٧ — ترجمته في المعجب : ص ٢٥—٢٦.

يجمع الكتب، ويبحث عن العلماء، وخاصة أهل علم النظر، إلى أن اجتمع له منهم ما لم يجتمع
للك قبله من ملوك المغرب (١). ولم يكن الخليفة المنصور أقل اهتماماً من والده بمعلوم
الفلسفة (٢).

وقد برع في ميدان الفلسفة اثنان من كبار فلاسفة الإسلام، هما : — أبو بكر بن طفيل،
وأبو الوليد بن رشد.

وازدهرت الهندسة في عهد الموحدين، وإن المنشآت العمرانية الضخمة التي
خلفوها لتشهد لهم بذلك. فقد أظهر الخلفاء الثلاثة الأول اهتماماً بالإنشاءات
المنشآت وتشبيدها. فقد أمر عبد المؤمن ببناء حصون جبل الفتح، وإقامة القصور
الضخمة به (٣). كما أمر ببناء جامع تينطل (٤)، ووسع المدينة — أي مدينة تينطل — عند
زيارته قبر المهدي سنة ٥٤٨ هـ (٥). كذلك فقد شيد القصور الفخمة في مراكش (٦).

وأظهر الخليفة يوسف عناية بالغة بمدينة إشبيلية، وتكاثر جهوده في ميدان الإعمار
تكون مقصورة عليها. فقد بنى فيها قصور البحيرة الرائعة (٧)، وأقام قصوراً بدية خارج
باب الكحل (٨) وشيد الجامع الكبير وقصبة إشبيلية (٩)، وأقام حول المدينة سوراً عظيماً،
وأمر ببناء جسر يوصل بين إشبيلية ورياضها القبلي بطرياقه (١٠) * * *

- ١ -- المصجب : ص ٣١٢، العبر في خير من غير : ج ٤ ص ٢٤٠.
- ٢ -- انظر : — الذيل والتكملة : ج ١ ص ٢٨١، المصجب : ص ٣٤٢.
- ٣ -- المن : ج ٢ ص ١٣٧.
- ٤ -- تينطل : وتكتيب تينطل وتانطلمت وتين طل. وهو من جبال السوس، كان مهد الدعوة
الموحدية، ثم مدنه عبد المؤمن وحصنه. انظر : المن : ج ٢ ص ٢١٥.
- ٥ -- المن : ج ٢ ص ٢١٥.
- ٦ -- المصجب : ص ٢٢٧.
- ٧ -- المن : ج ٢ ص ٤٦٤.
- ٨ -- المن : ج ٢ ص ٤٦٤.
- ٩ -- باب الكحل : أعاد أبواب إشبيلية. المن : ج ٢ ص ٤٦٤.
- ١٠ -- المن : ج ٢ ص ٤٧٤.
- ١ -- المن : ج ٢ ص ٤٦١.
- * * -- طرياق أو أطرياق : من حواضر إشبيلية. الحلل السندسية في الاخبار والآثار
الاندلسية : ج ١ ص ٢١٩.

وقد أسس الخليفة المنصور حصن الفرج في اشبيلية، وأتم بناء الجامع الذي كان قد بدأ والده بناءه في تلك المدينة، وأقام له صومعة ضخمة، وتفافيح رفعت على منارة، وقد موّلت تلك التفافيح بمائة ألف دينار ذهباً (١).

واتّجه ضمناً الخلفاء إلى تشييد القلاع والحصون لحماية المدن الإسلامية من اعتداءات الصليبيين. فقد أمر الخليفة المأمون ببناء برج الذهب في إشبيلية، كما ينسب إليه السور الأموي المعروف بـ ((الحرم البراني)) أمام أسوار إشبيلية (٢).

وعلى الرغم من ازدهار الحركة الفكرية في عهد الموحّدين وتشجيع الخلفاء لها، فإن بعض المطاردات الفكرية كانت تحدث بين الفينة والأخرى. ولعل أبرزها اضطهاد الفيلسوف موسى بن ميمون (٣)، واضطهاد ابن رشد وزملائه في عهد المنصور (٤)، ومصرع الفيلسوف ابن حبيب القصري* في عهد المأمون (٥).

ضعفت الحركة الفكرية في الأندلس في نهاية العهد الموحّدي. ولعل هذا يعود إلى اضطراب الأحوال السياسية، وانصراف الأمة إلى جهاد المعتدين، وانشغالهم بالمحنة، وانعدام الرعاية للعلماء والمفكرين، وهجرة كثير منهم إلى المغرب.

-
- ١ — القرطاس: ص ٢٢٩.
 - ٢ — القرطاس: ص ٢٧٣، المغرب الكبير: ص ٨٣٧.
 - ٣ — المن: ج ٢ ص ٢٢٧، الاعلام: ج ٣ ص ٢٣.
 - ٤ — التكملة: ج ١ ص ٥٥٣-٥٥٥، البيان المغرب: ج ٣ ص ٢٠٢.
 - * — ترجمته في المغرب: ج ١ ص ٢٩٦.
 - ٥ — المغرب: ج ١ ص ٢٩٦.

الفصل الأول

طبيعة الصراع في شعر الجهاد

أ) جهاد في سبيل الله .

ب) العروبة في شعر الجهاد .

طبيعة الصراع في شعر الجهاد

(أ) جهاد في سبيل الله :-

كان الصراع بين الموحدين والفرنجية في الأندلس صراعاً بين عقيدتين :- الإسلام والنصرانية . وقد أشارت المصادر الإسلامية القديمة إلى ذلك . ومن هذه المصادر رسائل الفتح التي كانت تصدرها الدولة الموحدية . فقد وجه الخليفة عبد المؤمن إلى الطلبة والأعيان ، والكافة رسالة يخبرهم بهزيمة الروم في نواحي قريظة . وقد أوضح الخليفة في هذه الرسالة أنه لم يبق في الأندلس إلا ((المتصميم المقصود فيها من إظهار الدين ، ونصر الملة)) . ووصفت الرسالة المسلمين بأولياء الله ، وأنصار الحق . ووصفت الأعداء بالمشركين ، والكفار ، وأعداء الله (١) .

وفي سنة ٥٦٤ هـ ، وجه الخليفة يوسف رسالة إلى طلبة الموحدين في الديار الأندلسية ، أوضح فيها أن الجيوش الموحدية لم تتجه إلى الأندلس لنصرة حزب على حزب ، أو لاحتلال أرض ، أو محاربة قوم ، وإنما اتجهت إليها قياماً بحق الله في جهاد أعدائهم (٢) .

وفي سنة ٥٩٢ هـ ، وجه الخليفة المنصور رسالة إلى الطلبة والأعيان ، والكافة في الأندلس يعلمهم بخروجه في ثغر الأندلس الشمالي . وقد اعتبر الخليفة وقوف المسلمين على مدينة طلميطلة (٣) ((وظيفة دينية)) ، ووصف الأعداء بالكفار ، ونعت جيشهم ((جيش الصليب)) ، وخيل المسلمين ((خيل الله)) .

وقد كان للجيوش الموحدية في ساحات القتال مواقف مؤثرة ، تدل على تعمق المشاعر الإسلامية في نفوس الجند . فحينما اصطفت عساكر الصالحين على ساحل المهدية ، والتقى أسطول المسلمين بأسطول النصارى ، بكى الخليفة عبد المؤمن ، وسجد قائلاً : ((اللهم لا تضع دعام الإسلام)) (٤) .

وقبيل معركة الشبيكة (٦) ، جمع الشيخ أبو يعقوب (٧) قادة الجيش ، وعظمهم مذكراً بما لهم من الأجر عند الله تعالى إذا صدقوا في جهاد الزكوة (٨) .

١ - رسائل موحدية : ص ١٢٢ .

٢ - المن : ج ٢ ص ٣٧٧ .

٣ - طلميطلة : - عاصمة قشتالة ، تقع جنوب مجريط شرقي طلميره على نهر تاجه . أخذها النصارى سنة ٤٧٨ هـ . الروغ المعطار : مادة طلميطلة عن ٣٩٣-٣٩٥ .

٤ - انظر : رسائل موحدية : ص ٢٣٠-٢٤٠ .

٥ - المكتبة المروية الصقلية : ص ٣٠٣ .

٦ - وقعت سنة ٥٥٧ هـ . انظر : الحلة السجاء : ج ٢ ص ٢٥٨ .

٧ - هو أبو يعقوب يوسف بن سليمان ، من زعماء الموحدين ، وقد استخلصه عبد المؤمن لنفسه . أخبار المهدي : ص ٣٣-٣٥ .

٨ - المن : ج ٢ ص ١٩٧ .

وفي معركة وبذة بايع قادة الجيش الخليفة على الجهاد . وما أن بدأ الهجوم حتى ((كبر المسلمون على المدينة بأصواتهم ، رافعين أعلى ما يقدرون عليه بالتوحيد والتكبير)) (١) . ولما انكشفت المعركة عن تفوق المسلمين وخذلان المسلمين جمع الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن عمر (٢) الناس ، ووقف فيهم خطيباً يحرضهم على الجهاد . ومما قاله : ((قد كنتم بمراكش تقولون : — لو كنا غزونا النصارى لجاهدنا الله عز وجل واجتهدنا . فلما حضرتم معهم لآصرتهم وجبنتم ، وخنتم الله عز وجل ، وتلكنتم وما نصحتم ! ما أنتم بمؤمنين ولا بموحدين إن تسحوا الذواقيس تضرب ، وتعاينوا الكفر ، ولا تدفعوا المنكر)) (٣) .

ومن الأمور التي توضح نظرة المسلمين إلى الصراع ما روي عن الخليفة يوسف من أمره بجمع الأحاديث النبوية التي تحتل الجهاد ، ودراستها ، والقائها على الجند (٤) .

كذلك فإن سفارة ابن منقذ إلى الخليفة يعقوب المنصور ، بغرض النظر عن نتائجها ، تصوّر المشاعر الإسلامية المشتركة نحو الصراع ، كما تدل على فهم واحد له . فبينما كان الموحدون يواجهون الهجمات الصليبية على الأندلس ، كان صلاح الدين الأيوبي يتصدى للحملات الصليبية على المشرق . لذلك فقد أحس صلاح الدين أن الدولة الموحدية هي خير صديق يمكن طلب العون منه ، لإيمانه بأن القضية التي يدافعان عنها قضية واحدة ، وأن العدو الذي يجاهدانه عدو واحد (٥) .

آزت الكنيسة في روما الحرب التي شنها الفرنجة على مسلمي الأندلس . واعتبر البابا هذه الحرب حرباً صليبية مقدسة (٦) ضد المسلمين الذين نهتهم به ((أعداء الدين)) (٧) . فعندما عزم الصليبيون على مجاربة المسلمين في عهد الخليفة الناصر ، أرسل مطران طليطلة مبعوثه إلى فرنسا والأمم المجاورة لاستثارة حماسة النصارى على العبور إلى الأندلس . كذلك فقد أرسل ملك قشتالة مبعوثاً إلى البابا يرجوه أن يدعو أمم أوروبا النصرانية لموازرتة ، وذلك بتنظيم حملة صليبية ضد المسلمين في الأندلس .

١ — المن : ج ٢ ص ٤٩٣ .

٢ — من فقهاء إفريقية ، تعلق بأبن تومرت ، وأصبح من أتباعه الأثيريين . نظم الجمان :

ج ٦ ص ٢٢ .

٣ — المن : ج ٢ ص ٥٥١ .

٤ — المعجب : ص ٢٢٨ .

٥ — انظر حديثاً مفصلاً عن سفارة ابن منقذ وظروفها ونتائجها كتاب : جولات في

تاريخ المغرب : ص ٦٩ — ١٠١ .

٦ — انظر : أوروبا العصور الوسطى : ج ٢ ص ٥٥١ .

Moorish Culture, F.195; Moors in Spain, P. 168.

٧ — تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين : ص ٢٦٩ و ص ٣٣٥ .

نجحت مساعي ملك قشتالة تلك . فقد اجتمعت لديه حشود هائلة من الصليبيين الوافدين من أنحاء أوروبا (١) ، وأقيمت الصلوات طلباً للنصر (٢) ، وألقى رجال الدين — النصارى الخطب والمواعظ في الجند حتى يبعثوا الحماسة فيهم (٣) .

أشار المؤرخون المسلمون إلى جهود ملك قشتالة تلك . وقد كان عبد الواحد المراكشي أكثر المؤرخين إدراكاً لذلك ، حيث قال : ((وخرج الأذفنش — لمنه — إلى قاصية بلاد الروم ، مستنفرًا من أجابة من عظماء الروم وفرسانهم ، وذوي النجدة منهم ، فاجتمعت له جموع عظيمة من الجزيرة نفسها ، ومن الشام ، حتى بلغ نفيده إلى القسطنطينية . وجاء معه صاحب بلاد أرغل ، المعروف بالبرشونوي ، لعنه الله)) (٤) .

أما صاحب الروض المعطار فقد قال : — ((ثم استنفر الأذفنش بأهل ملته ، وحشدهم على حماية دينهم ، فاستجابوا له ، وانثالوا عليه من كل مكان)) (٥) . كما أشار صاحب شذرات الذهب إلى ذلك بقوله : — ((واستنفر الأذفنش عليه — أي على الخليفة الناصر — حتى فرنج الشام وقسطنطينية الكبرى)) (٦) .

وقد أشار إلى ذلك بصورة بليغة واضحة الخليفة الناصر في كتابه عن معركة العقاب ، حيث قال : — ((فبت — أي ملك قشتالة — القسيسين والرهبان من برثغال إلى القسطنطينية العظمى . . . فجاءه عباد الصليب من كل فج ومكان سحيق)) (٧) .

اضطربت الحماسة الصليبية في نفوس النصارى ، فقامت جماعات الفرسان الدينية . وقد نذرت هذه الجماعات نفسها للدفاع عن النصرانية ، ونزول الميدان دائماً لمقاتلة المسلمين (٨) . فقامت في قشتالة جماعة ((فرسان القنطرة)) ، وجماعة ((فرسان قلعة رباح)) . كما قامت في جليقة جماعة ((القديس ياقب)) . أما البرتغال فقد ظهر فيها

١ — انظر : — العرب في أسبانيا : ص ١٨٤ ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين : ص ٣٦٠ — ٣٦١ ، A Hist. of the Middle Ages, P. ١٢٥٧ ، Cut lines of the Med. Hist., P. 261; Apolitical Hist. of the Moslâm in Spain, P. 273.

٢ — المصجب : ص ٣٢٤ .
٣ — تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين : ص ٢٦٨ .
٤ — المصجب : ص ٣٩٩ .
٥ — صفة جزيرة الأندلس : ص ١٣٧ .
٦ — شذرات الذهب : ج ٥ ص ٤٤ .
٧ — البيان المصرب : ج ٣ ص ٢٤٠ .
٨ — تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين : ص ٢٦٩ .

فرسان ((الداوية)) ، وفرسان ((القدّيس يوحنا)) ، وجماعة ((المحاربة الجديدة)) ، وجماعة ((القدّيس ميخائيل ذى الجناح)) (١) .

شجعت الكنيسة هذه المنظمات التي قامت بنفس الدور الذي قامت به الداوية والاستارية في الأراضي المقدسة . بل أنّ البابا اسكندر الثالث ، والبابا أنوسنت الثالث ، وكلاهما يتمتع بروح صليبية عالية ، أسهما إسهاما مباشرا في قيام أشهر منظمة دينية حربية عرفت بالأندلس ، وهي منظمة سانتياجو Santiago (٢) .

وقد كانت الجيوش الصليبية المتجهة نحو المشرق ، تتغير وجهتها نحو الأندلس ، لمساعدة الصليبيين الذين كانوا يقاتلون المسلمين في هذه الجبهة (٣) . وهذا يدل على أن الحرب التي خاضها الصليبيون في المشرق والمغرب حارب ذات طابع واحد . فلم يكن ميدان الحروب الصليبية مقصورا على المشرق وإنما شمل الأندلس أيضا . وهذه الحروب في نظر الأوروبيين المعاصرين لا تقل أهمية عن الحروب الصليبية التي احتدمت في مشرق العالم الإسلامي . بل أنّ ابن الأثير جعل ابتداء الحروب الصليبية فسي الأندلس ، ثم امتدت فشملت بلاد الشام (٤) .

واكب الثمراء في المغرب والأندلس أحداث هذا الصراع ، وعبروا عنه تعبيرا واضحا وذهبوا في ذلك مذهبا يدل على عمق إحساسهم به .

١ — The Empire and the Papacy, P. 431.

وانظر : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين : ص ٢٦٦-٢٧٠ .

٢ — أوروبا العصور الوسطى : ج ١ ص ٥١١ .

٣ — انظر : Med. Hist., P. 48.

٤ — يقول ابن الأثير في هذا العهد : ((كان ابتداء ظهور دولة الفرنسـج ، واشتداد أمرهم ، وخروجهم الى بلاد الاسلام ، واستيلائهم على بعضـها ، سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ، فملكوا مدينة طليطلة وغيرها من بلاد الأنـدلس . . . ثم قصدوا سنة أربع وثمانين وأربعمائة جزيرة صقلية وملكوها . . . وتطرقوا الى أطراف إفريقية فملكوا منها شيئا ، وأخذ منهم . . . فلما كان سنة تسعين وأربعمائة خرجوا الى بلاد الشام . . .)) .

انظر : تاريخ الكامل : ج ١ ص ٢٧٢ .

وفي سنة ٥٥٥ هـ، انتصر المسلمون على الفرنجة في المهدية، وأخرجوهم منها (١).
وقد نسب إلى الخليفة عبد المؤمن قصيدة قالها في هذا الفتح، منها : —

وأشرقَت الشَّمسُ المنيرة فوقنسا (٢) وأصبح وجه الحق غير محجَّب
وطهر هذا الضُّعف من كلِّ كاسر وعاد به الإسلام بعد تقسُّب
وكسرت الصلحان في كلِّ بيعة ونادى منادي الحق في كلِّ مرقب (٣)

فقد وضع الشاعر انتصار المسلمين على الفرنجة في المهدية في إطار الإسلام في
الشامل. وتوضيحا لذلك، فقد ربط هزيمة النصارى بـ"قوس عقبتهم"، وانتصار المسلمين
بـ"سمائر دينهم"، مستخدما في ذلك ألفاظا مرتبطة بعقيدة طرفي الصراع. مثل : —
((كافر)) و ((الإسلام)) و ((الصلحان)) و ((بيعة)) .

وقد استوعب الشاعر المعنى القرآني في البيت الثاني، حين جعل المشركين
((نجسا)) (٤)، وقد إخراجهم من ديار الإسلام تطهيراً لها.
وفي هذا المعنى قال ابن الأثير (٥) : —

طهر بلادك منهم إنهم نجس ولا طهارة إن لم تغسل النجس (٦)
وفي سنة ٥٥٥ هـ، جاز الخليفة عبد المؤمن البحر إلى الأندلس على رأس جيش.
وقد هدد ابن سيد الأشبلي الصليبيين بهذا الجيش قائلاً : —

لا أبين يا آل الصليب وحزبه حتى يعلم القتل كلُّ مصلب
ويورث التوحيد عرعر بلادكم من بعنر بحربكم وتنفق

حتى تقر عيوننا في أرضنا وتقر عين نهيمنا في يشرب (٧)

- ١ — تاريخ الكامل : ج ١١، ص ٢٤٢—٢٤٤، المن : ج ٢، ص ١٤٧.
- ٢ — قرئت في المن ((موهنا)) .
- ٣ — المن : ج ٢، ص ٢٤، البيان المغرب : ج ٣، ص ٤١.
- ٤ — سورة التوبة : آية ٢٨.
- ٥ — هو الكاتب المشهور أبو عبد الله محمد بن الأثير، صاحب كتاب التكملة. كان
((فاضلا في النثر والتاريخ وطلع الآداب)) . توفي قتلا سنة ٦٥٨ هـ. انظر :
المغرب : ج ٢، ص ٣٠٩، الآيات : ص ١١٤، أزهار الرياض : ج ٣، ص ٢٤٤.
- ٦ — النقيح : ج ٤، ص ٤٦٠.
- ٧ — الحلل الموشية : ص ١٢٩، المن : ج ٢، ص ١٤٧.
- ٨ — المن : ج ٢، ص ١٧٠.

ونلمح في الأبيات الشاعر الإسلامية الدافقة التي أوجت إلى الشاعر بتهديد الأعداء على هذا النحو، وهو تهديد حافل بالموثرات الوجدانية التي تستمد تأثيرها من العقيدة الإسلامية، وتشير مشاعر الإيمان في النفوس. ومن أبرز تلك الموترات، وصف الأعداء بـ ((آل الصليب وحزبه))، وربط الصراع بشخص سيدنا محمد عليه السلام.

وقد قال الشاعر نفسه قصيدة أخرى في المناسبة ذاتها، ومما ورد فيها قوله : —
أبلغ ذوي الشرك والإلحاد قاطبة أن ما لهم من جنود الله من قبل
أتاكم الجيش محفوفاً جوائسهم بالمشرفة والخطية الذليل
ريحوا إلى السلم والإسلام ويحكم لا تحسبوا دولة التوحيد كالسدول (١)
ويؤكد الشاعر في هذه الأبيات فهمه الإسلامي الشامل للصراع. وحتى يقرر ذلك، فقد نعت الأعداء بـ ((ذوي الشرك والإلحاد))، ونعت المسلمين بـ ((جنود الله))، وحث الصليبيين على التسليم والدخول في الإسلام، لأنه لا قدرة لهم بهو ولا الجند الذين يجاهدون في سبيل الله، وبدولة الموحدين التي تقاتل لإعلاء كلمة الله.

ويستبين القارىء لقصيدة أبي العباس الجراوي التي قالها في انتصار الصليبيين سنة ٥٦٥ هـ (٢) الطابع الديني الذي أضفاه على هذا الانتصار، حيث اعتبره إعلاء لدين الواحد القهار وتمكيناً له، يقول : —

أعلمت دين الواحد القهار بالمشرفة والقنا الخطار
ورأى بك الإسلام قرّة عينهم وغدت بك الفراء دار قرار (٣)
وقد نقل أبو عمر الأشيري (٤) الصراع إلى ميدان العقائد عندما نظر إلى هزيمة الصليبيين سنة ٦٨٥ هـ (٥)، باعتبارها إهانة للشرك عامة، يقول : —

دارت رحا الهلكات بالسيطاط (٦) وسطاً بها ريب الزمان الساطط
وأهين فيها الشرك أي إهانته شغفت كرهه هياطها بمهيط (٧)

- ١ — المن : ج ٢ ص ١٥٨ — ١٥٩
- ٢ — البيان المصرب : ج ٣ ص ٤٦٠
- ٣ — البيان المصرب : ج ٣ ص ٤٠٦
- ٤ — هو حسن بن عبد الله بن حسن، من أهل تلصان. كان من أهل العلم بالقراءات، إلا أن الأدب طلب عليه. التكملة : ج ١ ص ٢٧٠
- ٥ — المن : ج ٢ ص ٥٢١
- ٦ — السيطاط : تقع جنوب طليطلة. ويقوم مقامها الآن المدينة الطليطية. محنة مسلمي الاندلس : ص ٩٦
- ٧ — المهيط والمهيط : الإقبال والإدبار. لسان العرب : مادتا ((هيط)) و ((ميظ))
- ٨ — زاد المسافر : ص ١٠١

وقد استوحى أبو بكر بن مجبر التعابير المرتبطة بالمقيدة الإسلامية (١)، والتاريخ الإسلامي لأحداث إحياءات معينة، عندما وصف تحرك الجيش الإسلامي سنة ٨٦ هـ (٢)، حيث قال :-

بشرأي هذا لواء قل ما عقيدا الأومد له الروح الأمين بكدا

إمام جيش أراد الله نصرتك * فأرسل الملائل الأعلى له مكددا
إني لأحكم بالنصر العزيز لسه وإن سكنت فإن الوحي قد شهدا (٣)

والشاعر لم يورد تلك المعاني القرآنية إلا ليوكد المعنى الذي أراد به. وهو أن الحرب التي يخوضها المسلمون ضد الصليبيين حرب في سبيل الله؛ لذلك فإن السماء تمدّها بالمون، وتوفّيدها.

ولما كان المسلمون في قتالهم الأعداء مجاهدين في سبيل الله، فقد وصفهم الشعراء بـ ((حزب الله)) . وقد ورد هذا التمث في القرآن الكريم (٤). من ذلك قول الشواش الشلبي (٥) :-

يا سعد دين الله أفزع حزبه وهوت عداه في عذاب واصب (٦)
أما الصليبيون فهم ((حزب الكفر)) :-
فأولئك حزب الكفر ألا إن الكفار لفي نكس (٧)
وكذلك فإن أرضهم ((أرض كفر)) :-
فطاف بأرض الكفر حتى أعادها إلى الحق وانقاد الأبي المشاقي (٨)

- ١ - التوبة : آية ٢٦ و ٤٠، الأحزاب : آية ٩ .
- ٢ - البيان المفرب : ج ٣ ص ١٧٩ .
- ٣ - البيان المفرب : ج ٣ ص ١٧٩ .
- ٤ - المائدة : آية ٥٦، المجادلة : آية ٢٢ .
- ٥ - هو أبو الوليد اسماعيل بن عمر، المعروف بـ ((الشواش الشلبي)) . توفي سنة ٥٩٩ هـ، سماه السيوطي : محمداً . بضية الوعاة : ص ٨٦، الأعلام : ج ٢ ص ٢٤٠ .
- ٦ - المن : ج ٢ ص ٢٠٨ .
- ٧ - المعجب : ص ٣٧١ .
- ٨ - المن : ج ٢ ص ١٦٧ .

وهي أينما ((أرض المشركين)) :-

أوطأت أرض المشركين كثائبها كادت تصير الأرض من وطاتهم
كالبحر يطفح موجها جرياً إذا هبت رياح النصر في راياتها (١)

وما دام الصراع بين الاسلام والكفر، فقد صور الشعراء الأمر الذي يقاتل من أجله المسلمون ((أمر الله)) . فالخليفة المنصور عند ما خرج إلى معركة ((الأرك)) خرج لـ ((أمر الله)) واثقا من النصر :-

ومضيت لأمر الله على ثقة بالله ولم تخش
والصليبيون عند ما ذلّوا في غزوة المنصور سنة ٩٢ هـ، إنما ذلّوا لـ ((أمر الله)) :-
ذلّوا لأمر الله قسراً وهم أولو نجدة أبداً (٣)
وفي هذا المعنى قال أبو العباس الجراوي :-
الأمر أمر الله ليس يضرب ما حاولت من كيد الأعداً (٤)

ومن المعالم البارزة التي توضح نظرة الشعراء إلى الصراع ، وتؤكد فهمهم الإسلامي له ، التركيز على استتارة المشاعر الإسلامية لدى القبائل العربية التي تقطن إفريقيا ، وذلك بتبصيرها بالخطر الذي يهدد الاسلام في الأندلس ، وتحصيلها مسوولية الاشتراك في الدفاع عنه ، واعتبار ذلك امتداداً لما قامت به أصولها في نصرة الاسلام أول أمره .

ففي سنة ٥٥٤ هـ، وجه القاضي ابن عمران (٥) قصيدة إلى بني سليم (٦) ، يحثهم على الجهاد ، ويدعوهم إلى الالتحاق بالجيوش الموحدية في الأندلس . ولم يبق من هذه القصيدة إلا ما يلي :-

- ١ — تحفة القادم ، نشر في مجلة المشرق ، بيروت ، المجلد ٤١ ، سنة ١٩٤٩ ، ص ٥٦٨ .
- ٢ — المعجب : ص ٣٧١ .
- ٣ — البيان المصرب : ج ٣ ص ٢٠٠ .
- ٤ — المن : ج ٢ ص ١٦٧ .
- ٥ — هو القاضي أبو يوسف عيسى بن عمران ، قاضي الجماعة في مراكش . وقد كان فريدا زمانه ديناً وعلماً وأدباً . توفي سنة ٥٧٣ هـ . المن : ج ٢ ص ٤٤١ .
- ٦ — بنو سليم : من أوسع بطون مضر وأكثرهم جموعاً ، فيهم شعوب كثيرة . الاستقصا : ج ٢ ص ١٤٦ .

أَسْلَمُوا دَعْوَةَ رَبِّي أَخَاهُ مُرَشِّدٍ هَادٍ إِلَى الْحَقِّ الصِّبِينِ الصُّعْدِ
وَمَذَكَّرِي مَا كَانَ أَسْلَافًا لَكُمْ فضلوا به أفما لَ كُلِّ صِدْرٍ
بجهاز أعداء الإله ونصرهم لرسول ربهم النبي محمَّد
وتصرفوا أنا عليكم عَمْرٍ حتى يعود جواب هذا المنشَد (١)

فقد استوحى الشاعر بعض مواقف بن سليم في نصرة سيدنا محمد عليه السلام، وجهاد الكافرين أيام الإسلام الأولى، وربط ذلك بالجهود التي ستبذلها هذه القبيلة في جهاد الصليبيين في الأندلس، إيماناً منه بأن كلا الجهادين امتداد للآخر. ولا شك أن الشاعر أراد من هذا الربط أن يحقق استثاراً وجدانية في نفوس أبناء هذه القبيلة، تحفزها على تلبية النداء.

وفي هذا المعنى قال ابن طفيل قصيدة وجهها إلى الصرب مستدعياً ومحرّضاً على قتال الصليبيين. حيث ذكر بالروابط الإسلامية التي تربط هؤلاء الصرب بالموحدين. كما ذكر بالدور الذي اضطلعت به هذه القبائل في حماة الرسالة الإسلامية ونشرها، ودعاها إلى مواصلة ذلك، وإحياء مناقبها الأولى. يقول: —

نصحناكم والنصح في الدين واجب بما لكم فيه صلاح الفواقسب
بكم نصير الإسلام بداراً * فنصيرة عليكم، وبهذا عودة جد واجب
فقوموا بما قامت أوائلكم بـ ولا تخفلوا إحياء تلك المناقب (٢)

وفي سنة ٦٤٠ هـ أمر السيد أبو عمران، والي اشبيلية يومئذ، ابن سهل الأندلسي (٣) بخطبة عرب الصقل (٤) بكتاب استنفار. وقد ضمن هذا الكتاب قصيدة في ذلك المعنى، مطلعها: —

ورداً فمضمون نجاح المصـ هي عزة الدنيا ونور المحشـ
وواضح ما في هذا الاستهلال البار، من حث على الجهاد، وترغيب فيه.

١ — البيان المغرب: ج ٣ ص ٣٩.

٢ — المنى: ج ٢ ص ٤١٢ — ٤١٣.

٣ — هو أبو إسحاق إبراهيم بن سهل الإسرائيلي. كان من عجائب الزمان في ذكائه.

وقد شك المؤرخون في إسلامه. توفي سنة ٦٤٩ هـ. المغرب: ج ١ ص ٢٦٩.

الرايات: ص ٥١.

٤ — عرب الصقل: نسبهم خطي مجهول. يعدّهم بعض نسابي العرب من بطون هلال.

وهم يدعون أنهم من آل البيت. كانت مساكنهم قرب البحرين. هاجروا إلى المغرب،

وتفرقوا في أنحاء. قبائل المغرب: ج ١ ص ٤١٢.

وقد غمرت الروح الجهادية القصيدة، وظللتها بشتى الظلال، حيث استوحى ابن سهل ثقافته الإسلامية حين أسهب في الحديث عن الثواب الذي أعدّه الله للمجاهدين في سبيله . يقول : —

خَلُّوا الدِّيَارَ لِدَارِ خُلْدٍ وَارْكَبُوا
وَتَسَوَّفُوا كَدَرَ الْمَنَاهِلِ فِي السُّتْرِ
وَتَجَشَّمُوا زَجَرَ الْأَجَاجِ فَأَتَسَّهْ
وَتَحَمَّلُوا حَرَّ الْمَهْجِيرِ فَأَتَسَّهْ
فَمَرَّ الْعَجَاجُ إِلَى النَّعِيمِ الْأَخْضَرِ
تَرَوُّوا بِمَاءِ الْحَوْضِ غَيْرَ مَكْدَرِ
سَبَبَ بِهِ تَرْدُونَ نَهْرَ الْكُوشِ
ظَلَّ لَكُمْ يَوْمَ الْمَقَامِ الْأَكْبَرِ

وتثير الأبيات المشاعر الإسلامية في نفوس المؤمنين حين تبصرهم بالجزاء الذي أعدّه الله للمجاهدين في سبيله . وقد استعان الشاعر لتوضيح ذلك ببعض الألفاظ الإسلامية المرتبطة بالحياة الأخرى لإحداث تأثيرات معيّنة . مثل : ((الحوض)) ، ((الكوش)) ، ((دار الخلد)) ، ((يوم المقام الأكبر)) .

وقد ردّد ابن سهل معنى ردّد الشعراء من قبله ، وذلك حين دعا العرب إلى مواصلة الدفاع عن الإسلام ، وأكد لهم أن ذلك فرض عليهم ، لأنه دين نبيهم : —

أَنْتُمْ أَحَقُّ بِنَصْرِ دِينِ نَبِيِّكُمْ
أَنْتُمْ بَنِيَّتُمْ رُكْنَهُ فَلَتَدَعُهُ
وَبِكُمْ تَسْبِيحُ فِي قَدِيمِ الْأَعْصُرِ
ذَاكَ الْبِنَاءُ بِكُلِّ الْمَسِّ أَسْمُرُ

واستمراراً في استثارة المشاعر الإسلامية لدى القبائل العربية ، فقد قدّم ابن سهل صورة مؤثّرة لتضعف الوجود الإسلامي في الأندلس وأنحساره ، وعلو الكفر وتقدّمه : —

أَضْحَى الْهَدَى يَشْكُو الظُّمَاءَ وَالْأَتْسَمُ
وَعَلَا الْجَزِيرَةَ غَيْهَبٌ وَغَدُودٌ كَسَمُ
الدِّينِ نَادَاكُمْ وَفَوْقَ سُرُوجِكُمْ — م —
لَمْ يَبْقَ لِلْإِسْلَامِ غَيْرُ بَقِيَّةٍ
ظَلَّ وَرَى كَالرَّيْحِ الْمَطْمُ
مَطْوِيَةٌ فَوْقَ الصَّبَاحِ الْمُسْفِرِ
غَوَتْ الصَّرِيخُ وَبَغِيَّةُ الْمُسْتَنْصِبِ
قَدْ وَطَنْتِ لِلْحَادِثِ الْمُتَنَكِّسِ (١)

فمصير الوجود الإسلامي في الأندلس يلجّ على الشاعر ويقدّقه في كلّ بيت من تلك الأبيات . وقد قدّم التعبير الشعري الإسلام صورة حية ، تهتف بالعرب مستنجدة . وهي صورة مؤثّرة . وخلال ذلك جاء التفكير على العرب بأسباب تقاعسهم وتخاذلهم عن الجهاد ، فيوقظهم من همود الإلف والمادة ، ويلفتهم إلى تطلي واقع الإسلام من حولهم .

ومن الأمور التي تلقانا كثيرا في شعر الجهاد ، التفات الشعراء إلى الماضي ، واستيحاء بعض المواقع والأحداث التي تحتل مكانة سامية في التراث الإسلامي ، وربطها ببعض الوقائع والشخصيات الإسلامية التي وجدت في عهد الموحدين .

فقد أوحى هزيمة الصليبيين في معركة الأرك إلى أبي المباس الجراوي بهزيمة الكفار يوم بدر ، فربط بهن الهزيمتين إيماننا بأن كتيههما نصر للإسلام ، وهزيمة للكفر : يقول : —

لقد أورد الأذفئش شيمته الردى وساقهم جهلا إلى البطشة الكبرى
حكى فعله بليس بأصحابه الأولى تبرأ منهم حين أوردهم بـدرا (١)

وقد استثار عبور الجيوش الموحدية إلى الأندلس سنة ٦٠ هـ (٢) المشاعر الإسلامية في نفس ابن حريون (٣) ، فأوحى إليه بتهديد الأعداء بمعركة كبرى على غرار معركة اليرموك ، حيث قال : —

فالآن قلّ لذوي الإلحاد شأنكم فما لكم دون هذا الأمر ملتحدا

هاتيك ثائرة اليرموك قد رجفت ما إن لكم صعب عنها ولا صفدا (٤)

ويرتبط التاريخ الإسلامي للأندلس بشخصيتي : موسى بن نصير ، وطارق بن زياد ، اللذين قادا جيوش الفتح الإسلامي لها . فلا غرابة إذن أن وجدنا بعض الشعراء يستلهمون مواقف تينك الشخصيتين ، ويرتنونها بمواقف بعض الشخصيات الموحدية المجاهدة . من ذلك ، ما فعله أبو المباس الجراوي ، حيث اعتبر جهود الخليفة عبد المؤمن في محاربة الكفار مكملة لجهود هذين القائدين في فتح الأندلس ، ونشر الإسلام فيها . يقول : —

لو راء موسى ما فعلت وطارق زريا بما لهما من الآثار
أتممت ما قد أمّله ففأتههم من نصر دين الواحد القمّار (٥)

١ — البيان المغرب : ج ٣ ، ص ١٩٢ ، شاعر الخلافة الموحدية : الطحق ص ٧٠ .

٢ — البيان المغرب : ج ٣ ، ص ٦٣ ، المن : ج ٢ ، ص ٢٥٠ — ٢٥٣ .

٣ — أبو عمر بن عبد الله بن حريون ، كان أولا في جملة كتاب ابن قسيّ زعيم المرينيين ، ثم في جملة كتاب السيد أبي حفص . أورد ابن صاحب الصلاة عدة قصائد لـه . وابن حريون هذا غير ابن حزمون . انظر : المن : ج ٢ ، ص ٢٤٥ ، تعليق رقم (١) .

٤ — المن : ج ٢ ، ص ٢٥٥ .

٥ — البيان المغرب : ج ٣ ، ص ٤٦ .

واستمراراً في استيحاء أحداث الماضي ووظيفتها بالحاضر، فقد قرن عبد الواحد المراكشي شخصية إبراهيم بن أبي يوسف (١) بشخصية الخليفة العباسي المنصور، حيث قال :-

أحييتُ المنصورَ فهو كأنَّه لم تفتقدْه معالمٌ وعِلْمٌ ومِـمٌ
وسعاهُ وصابُ رُومٍ ودارُ بَـ وحيُّ يحاطُ وأرملٌ ويتيمٌ

وقد استلهم المراكشي القصص القرآني بحذق، عندما قرن مدينة طليطلة التي تمانى من الاحتلال الصليبي بشخصية السيدة هاجر التي قاست من الآلام كثيراً، حيث قال :-

وأرى طليطلةً كهـا جرَّأثرها سيزفها الآن فنشُ وهـو زَمِـمٌ (٢)

وهذا الالتفات إلى الماضي واستيحاء بعض الأحداث والشخصيات التاريخية التي تتجلى مكانة سامية في التراث الإسلامي، أكسب بعض القصائد هالة إسلامية وضامة قادرة على استثارة ((إحياءات فكرية وعاطفية في نفوس المسلمين جميعاً، والقاتلين منهم بصورة خاصة)) (٣). ولا شك أن لهذه الإحياءات آثاراً فاعلة في النفوس.

ولما كان المسلمون في حربهم ضد الصليبيين مجاهدين في سبيل الله، فقد اعتبر الشعراء قتلهم شهيداً. من ذلك ما ورد في قصيدة ابن الأثير التي رثى فيها أبا سليمان الكلاعي خاصة ومن استشهد في معركة أنيسنة خاصة (٤)، حيث قال :-

وموجاً عليها مأرباً ونفـاً و (٥) مصارعُ غُصَّتْ بالبطلى والجماجم
نحبي وجوهاً في الجنان وجبهة بما لقيت (٦) حمراً وجوه الملاحـم
وأجساد أيمان كساهـا نجيفها (٧) مجاسد من حوك (٨) النظبا والتهانم

١ - هو ابن الخليفة المنصور. قال عنه المراكشي : (١) من خيرة ولده، وأجدرهم بالأمر))، ولي إشبيلية سنة ٦٠٥ هـ. المعجب : ص ٣٨٧.

٢ - المعجب : ص ٣٨٧.

٣ - صدى الفزو الصليبي : ص ٨٦-٨٧.

٤ - وقعت سنة ٦٣٤ هـ. وقد هزم فيها المسلمون. مخطوط الحلل السندسية : ورقة ٥٥٢.

٥ - قرئت في المرقبة العليا ((مفارقة)) .

٦ - قرئت في المرقبة العليا ((بقيت)) .

٧ - قرئت في المرقبة العليا ((نحيفها)) .

٨ - قرئت في المرقبة العليا ((نسج)) .

مَكْرَمَةٌ حَتَّى عَنْ الدَّفْنِ فِي الثَّرَى وما يكرم الرحمن غير الأكرام
هم القوم راحوا للشهادة فاغتندوا (١)

مَضَوْا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَدَمَا كَانُوا يطهرون من إقدامهم بقوادم
يَبْرُونَ جِوَارَ اللَّهِ أَكْهَرَ مِنْهُمْ كذاك جوار الله أسنى المفانيم

فقد ربط ابن الأثير مقتل كثير من المسلمين في معركة أنيشة بمعان دينية مستوحاة من القرآن الكريم. كما صور الروح الجهادية العارمة التي ملأت قلوب أولئك المجاهدين، ودفعتهم إلى الإقدام على الموت، وطلب الشهادة. لذلك جاء التعبير الشعري زاخراً بالمعاني الإسلامية التي تثير المشاعر، وتأسر الوجدان. والشاعر لم يورد هذه المعاني إلا بوحى من الطابع الإسلامي للصراع.

وقد ردد ابن الأثير في قصيدته كثيراً من التعابير الإسلامية المرتبطة بالحياة الأخرى. مثل : ((دار السلام)) و ((الحور)) :-

مَنَادَ إِلَى دَارِ السَّلَامِ مَنْ بَادَمَ بها الحور، وأها للضادى المنادِم
و ((جنات النعيم)) :-
تَبَوَّاتِ جَنَّاتِ النِّعِيمِ وَلَمْ تَزُلْ نزيل الثريا قبلها والنخاءم
و ((الفردوس)) :-

وَحَمَتَ عَلَى الْفَرْدِ وَسَحَتْ وَرَدَتْهُ ففزت بأشتات المنى فوز غانم (٢)

وقد ناقش الشعراء المسلمون الصليبيين في عقيدتهم، ونعتوها بصفات مستوحاة مما ورد في القرآن الكريم عنها. مثل :- الشرك، والكفر، والضلال. (٣)

وبعد، فقد قدّم الشعراء الصراع الذي احتدم بين الموحدين والصليبيين في إطاره الإسلامي الشامل :- باعتباره صراعاً بين المسلمين عامة وغازاة الديار الإسلامية. فقد نظر الشعراء إلى هؤلاء الغزاة على أنهم قوم مختلفون في العقيدة، ويقاتلون المسلمين تحت لواء تلك العقيدة، واعتبروا أي انتصار يحرزه المسلمون على أولئك الغزاة انتصاراً للإسلام، وأي هزيمة تلحق بالصليبيين هزيمة للكفر عامة. ومن ثم فقد رأى الشعراء

١ - قرئت في المرقبة العليا () واغتندوا () .

٢ - المرقبة العليا : ص ٢٠ - (١٢٢) ، الذيل، والتكلمة : ج ٤ ص ٩٠ - ٩٥ .

٣ - حتى لا يكون في الحديث تكرار، فإن الدارس لم يتحدث عن عقيدة الصليبيين - في هذا الموضع. وإنما أرجأ ذلك إلى فصل تال .

أن جهاد الموحدين للصليبيين في الأندلس مقمّم لجهاد الفاتحين الأولين لها .
كما اعتبروا جهود العرب في نضال الصليبيين امتدادا للجهود التي بذلها العرب
الأولون لنصرة الإسلام ، وموازرة سيدنا محمد عليه السلام .

وقد كان مصير الإسلام في الأندلس محور تفكير الشعراء ، وخاصة في السنوات
الآخيرة للدولة الموحدية ، وهي السنوات التي اشتدت فيها وطأة المدوان الصليبي .
وقد بدأ ذلك واضحا في قصيدة ابن سهل .

لذلك فقد غمرت المشاعر الإسلامية شعر الجهاد ، فما من قصيدة قيلت ، وطالماها
الدارس ، إلا كانت العقيدة الإسلامية توجه مشاعر قائلها ، بحيث باتت تلك القصائد
تمثل روح الصراع .

وإن يضع الشعراء الصراع في إطاره الإسلامي الشامل ، فإنهم يخرجونه من الدائرة
الإلهيية الضيقة ، أو المنصرية البغيضة . وهم بذلك لم يكونوا أمنا على التاريخ
فحسب ، وإنما يحافظون على المشاعر الإسلامية الموحدة ، وبالتالي يستقطبون أكبر قدر
من المسلمين على درب الجهاد (١) . وتتجلى أهمية ذلك في دولة مثل الدولة الموحدية ؛
اتسمت رقعتها ، وتمددت عناصر سكانها .

(ب) المروبة في شهر الجهاد :

من الأمور التي تركت لمسات واضحة في شهر الجهاد ، الدور الذي اضطلعت به القبائل المروبية ، التي تقطن إفريقيا ، في جهاد الصليبيين في الأندلس على عهد الموحدين .

وقد دخل قسم من أولئك العرب إفريقية مع حركة الفتوح الإسلامية الأولى ، واستقروا هناك (١) . إلا أن القسم الأكبر منهم كان من العرب الذين استوطنوا مصر ، ثم نقلهم الفاطميون في القرن الخامس إلى إفريقية (٢) . وتضم هذه القبائل شعوباً من بني هلال (٣) ، وبني سليم ، وعرب المعقل (٤) .

ولما فتح الموحدون إفريقية ، قدم إلى الخليفة عبد المؤمن أمراء تلك القبائل ، فتلقاهم بالمهرة ، وأحسن إليهم . إلا أن العرب الهلاليين شغبوا على الموحدين ، وتحدوهم ، فلحق بهم جيوش الخلافة في سطيف (٥) . وقد هزمهم الموحدون في هذه الموقعة هزيمة نكراء . وفي إثر هذه الهزيمة ، راجع الهلاليون بصائرهم ، واستكانوا لخير الموحدين ، ووفدوا على الخليفة عبد المؤمن في مراکش ، فأكرم زعماءهم ، وأطلق أسراهم ، ورأسباياهم (٦) .

وما كادت الجيوش الموحدية تقضي على تشقيب بني هلال ، حتى بلغ عبد المؤمن أن بني سليم قد قاموا في قابس (٧) ، فحاطبهم بشعر من قول ابن عمران ، ثم كتب إليهم شعراً آخر من قول ابن طفيل يستدعيهم ، ويحثهم على الهدوء والسكينة . إلا أنهم لم يستجيبوا له ، فجرد الموحدون إليهم جيشاً استطاع أن يهزمهم (٨) .

- ١ — انظر: فتوح إفريقية : ج ١ ص ١٣٥ .
- ٢ — انظر: تاريخ ابن خلدون : ج ٦ ص ٢٨ .
- ٣ — هم بنو هلال بن عامر بن صفة ، من قبائل مصر . كانت منازلهم في نجد . جمهرة أنساب العرب : ص ٢٧٣ ، تاريخ ابن خلدون : ج ٦ ص ٣٧ .
- ٤ — قبائل المغرب : ج ٢ ص ٤١٢ .
- ٥ — مدينة حصينة في إفريقية . وهي قديمة أزلية كثيرة الخلق . الروض المعطار : مادة سطيف ، ص ٣١٨ .
- ٦ — تاريخ ابن خلدون : ج ٦ ص ٤٤ ، الحلل السندسية في الأخبار التونسية : ج ١ ق ١ ص ٤٧٨ .
- ٧ — من بلاد إفريقية ، بينها وبين القيروان أربع مراحل . الروض المعطار : مادة قابس ، ص ٤٥٠ .
- ٨ — البيان المغرب : ج ٣ ص ٢٩ .

كذلك فادت القبائل الهلالية بقيادة بني رباح^(١) إلى التوسيع، فسرح لهم عبد المؤمن جيشا نازلهم قرب القيروان^(٢)، وأوقع بهم، وقتل شيخهم^(٣).

أمر الخليفة عبد المؤمن سمرّة أخرى -- بعدم السماح للغنائم التي أغدت من العرب الهلالية، وحراستها بحسين الشرف والنبل. وحين أقبلت عليه وفودهم أكرم مؤاهمهم، وأحسن إليهم، وردّ أشياء لهم كاملة غير منقوصة^(٤).

استطاع عبد المؤمن بهذا التوسيع المتكرر أن يستميل العرب إليه، ويسلب قيادهم. ولم يحد من عركته إلى إفريقية إلاّ وعويجر وراه حشودا ضخمة من العرب^(٥).

رأى الخلفاء الموحّدون الذين جاؤوا بعد عبد المؤمن أن سياسة لين الجانب هي خير وسيلة يمكن استئالة القبائل العربية بها. لذلك فقد أجزلوا لهم -- وأشيعوها الصلوات -- وبعثوا ابن صاحب الإمالة -- وهو مؤرخ معاصر للموحّدين -- من مآدب الطعام الضخمة التي كانت تقام لهم، والأعيان الجزيلة التي كانوا يختصونهم بها، والكسرات المعجبة التي كانوا يسدّون بها عليهم^(٦).

وبعد وأن رغبة أكيدة في الاستفادة من قوّة القبائل العربية لجهاد العدو الصليبي في الأندلس كانت عند الموحّدين. وقد أشار ابن خلدون إلى ذلك بقوله: -- ((ولم يزل الموحّدون يستفرونهم في جهادهم في الأندلس، وربما بعثوا إليهم في ذلك المخططات الشعرية))^(٧). فعندما أراد الخليفة عبد المؤمن الصبور إلى الأندلس استنفر القبائل الهلالية^(٨). كذلك فقد استدعى الخليفة يوسف المغرب، وحرضهم على الجهاد بكتاب بعثه إليهم^(٩). وقد تكرر هذا الأمر منه^(١٠).

- ١ - من القبائل العربية التي زادت إلى إفريقية، الاستقصا: ج ٢ ص ١٥١.
- ٢ - القيروان: - مدوّنة بإفريقية، نشرت في الإسلام زمن معاوية بن أبي سفيان.
- تقويم البلدان: ص ١٤٥.
- ٣ - رحلة التّجاني: ص ٣٤١، رسائل موحّدية: ص ١١٣.
- ٤ - أخبار المهدي: ص ١١٧.
- ٥ - المن: ج ٢ ص ١٤٤.
- ٦ - انظر: المن: ج ٢ ص ٣٩٨ و ص ٤٢٢ و ص ٤٣٧، البيان المغرب: ج ٣ ص ١٣٨.
- ٧ - تاريخ ابن خلدون: ج ٦ ص ٤٤٤.
- ٨ - المنجب: ص ٣٩٣.
- ٩ - البيان المغرب: ج ٣ ص ٨٨.
- ١٠ - انظر: المن: ج ٢ ص ٤١١ - ٤١٦.

كثيرا ما كانت القبائل العربية تلبي النداء، يدفعها إلى ذلك العقيدة الإسلامية، والإيمان بالجهاد وسيلة للدفاع عن حرمة الدين العنيف. فعندما جازعبدالموءمن إلى الأندلس سنة ٥٥٥ هـ عبرت معه عشوة ضخمة من العرب (١). وقد وصلت إلى الخليفة يوسف جموع وفيرة منهم، وقد كان يوم قدومهم مشهودا (٢). أما الخليفة الناصر، فقد وصل إليه من العرب (٣) أم لا يعلمهم إلا الله ولا يعصينهم وجاءوا كأموح البحر في جيوش لا يطل على مصباحها الساري (٤).

شكل متزاومة هذه القبائل فئة دامة في الجيش الموحدى. وقد أبلى مساهمة الفئة في جهاد الأعداء، والدفاع عن الإسلام بلا عسنا. ظهر ذلك في معركة مبركة من تاريخ الدولة الموحدية، حيث اشترك بعض فرسان القبائل العربية في فتح مدينة المهدية سنة ٥٥٥ هـ (٥).

كان المقطرونين من أبناء القبائل العربية يجوزون إلى الأندلس لتأدية فريض الجهاد كلما دعت الحاجة إلى ذلك. ففي عام ٥٦٠ هـ، اشترك السيّد أبو حفص إلى الأندلس على رأس جيش، وصعد في هذه الحركة جملة وأخرى من العرب ليتقدم بهم إلى إشبيلية وقرباية لحماية ثغر درما (٥).

وقد توجهت فئة من هؤلاء العرب إلى بطليوس، وانتصرت على حامية المدينة. كما توجهت مجموعة نحو فرناطة، ومجموعة لمقاتلة ابن مرد نيس (٦).

وفي سنة ٥٦١ هـ وجه الخليفة يوسف جيشا من العرب إلى إشبيلية (٧). ووجه سنة ٥٦٣ هـ جيشا آخر إلى قرطبة (٨). وفي سنة ٥٦٥ هـ اشترك جند من العرب في التوجه نحو بلاليوس (٩). وفي السنة التالية اشترك جند من العرب في فتح

- ١ - المصنوع : ج ٢ ص ١٤٤.
- ٢ - البيان المصنوع : ج ٣ ص ١٢، المصنوع : ج ٢ ص ١٧٤، الاستقصا : ج ٢ ص ١٤٩.
- ٣ - البيان المصنوع : ج ٣ ص ٢٣٨.
- ٤ - الاستقصا : ج ٢ ص ١٣٧.
- ٥ - المصنوع : ج ٢ ص ٢٥٠.
- ٦ - المصنوع : ج ٢ ص ٢٦٩، ابن مرد نيس انظر الإحاطة : ج ٢ ص ١٢١-١٢٢.
- ٧ - المصنوع : ج ٢ ص ٢٩٤.
- ٨ - المصنوع : ج ٢ ص ٣٥٥.
- ٩ - المصنوع : ج ٣ ص ٧٦.

بسطة (١) * كما أبلى الجند العرب في معركة وبذة (٢) .

كذلك اشتراك المتطوعة من أبناء القبائل العربية في جهاد الصليبيين مع الغليفة المنصور (٣) . وقد أوضحت رسالة الفتح التي أرسلت بمناسبة فتح حصن ((شليطرة)) (٤) سنة ٦٠٨ هـ، أن العرب أول من هاجم الصليبيين، وقتلوا منهم أربعمائة فارس (٥) .

هذه بعض الأمثلة التي تشير إلى اشتراك العرب المسلمين الذين يقطنون إفريقية في الدفاع عن الإسلام في الأندلس زمن الموحدين . وقد كان لهذا الدور أبعاداً واضحة في شعر الجهاد .

فقد توالى قصائد الاستغفار على هذه القبائل تدعوها إلى الإسراع في التوجه إلى الأندلس لمجاهدة الصليبيين، وإعلاء كلمة الله . وقد بذل الشعراء وسعهم في ذلك . فقد أشادوا بمواقف هذه القبائل من الإسلام وحمل لوائه منذ البداية، وبصروهم بالخطر المحدق بالدين الحنيف، وحملوهم مسؤولية الاشتراك في الدفاع عنه . كما أشادوا بشرف أرومتهم، ومناخ عزيتهم، ونجدتهم، وكفايتهم في الحروب، وشجاعتهم .

وكان الخليفة يوسف بن عبد المؤمن من أبرز الخلفاء الموحدين الذين لجأوا إلى سياسة استنفار العرب واستدعائهم من إفريقية . ففي سنة ٦٦٥ هـ، وجه قصيدة من إنشاء ابن طفيل إلى بن غلال يستدعيهم ويعرضهم على الجهاد، حيث قال :-

ألا فابحثوها دعةً عربينةً تحلف بأطراب القنا والقواضير
أغرسان قيس من هلال بن عامر وما جمعت من طاعنٍ ومضارب
لكم قبة للمجد شدوا أمانها بطاعة أمر الله من كل جانب

وما خلُق الأعراب أخلاف موعده * ولكن صدق انعه خلُق الأعراب

- ١ - المن : ج ٢ ص ٤٥٥ .
- * كناية : مدينة بالأندلس، من قرى وادي آش، حسنة الموضع . الروض المصطار :
- مادة بسطة ص ١١٣ .
- ٢ - المن : ج ٢ ص ٤١١ .
- ٣ - البيان المغرب : ج ٣ ص ١٨٨ .
- ٤ - شليطرة : حصن من عمل قلعة رباح . الروض المصطار : مادة شليطرة ص ٣٤٤ - ٣٤٥ .
- ٥ - البيان المغرب : ج ٣ ص ٢٣١ .

قال الشاعر ينشد بني نلال، ويحثهم على الجهاد . ونحو في ذلك يستشير
النخوة والمحبة في نفوسهم، فيشيد بعلو نعمتهم، وشجاعة فرسانهم، وذكرهم
بأيمانهم القديمة، ويدعوهم إلى المعافاة عليها بأمانة أمر الله في جهنم
الأعداء . ويصفهم بالوفاء بالوعد، والمعاذلة عليه .

وإن أنكب الشاعر في الأبيات السابقة على مخاطبة المشاعر العربية الأصيلة
لدى تلك القبائل، فإنه في الأبيات التالية يركز على استثارة المشاعر الإسلامية
التي تمتعت نفوسها . وهذا تقتضيه المعرفة بالاسلام اقترانا راعيا، حتى أن المرء
لا يستطيع الفصل ما بين استثارة للمشاعر الدينية أو للحمية العنصرية . حيث
اتكأ الشاعر في استثارته على استيعام التاريخ الأول لهذه القبائل التي أبلست
في عمل الرسالة ونشرنا، وذكرها بالروابط المتينة التي تربطها بالاسلام، وتربط
الاسلام بها . يقول :-

وقوموا لنصر الدين قومةً تائسراً * وغبثوا إلى التحقيق فيئة رافسـ
غقوموا بما قامت أوائلكمـ * ولا تغفلوا إيماء تلك المناقبـ
وقد جعل الله النبي وآله * وسهدهم سكم بلا عيب عاثرـ
هو الأمر أمر الله منج ومصدق * لكل منيب ناصح الجيب تائسـ (١)

وقد نحا ابن عباس نحو ابن طفيل في أبياته التالية، التي أخذت من قصيدة
بعثها إلى العرب يستدعيهم ويستغفرهم :-

وقوموا لنصر الدين قومةً تائسراً * وشهدوا على الأعداء شدة ما فـ
وأشروا بني قيس إلى كئيل غاية * من المجد تُجنى عند برد الأصاـ
فما العز إلا ظهر أجرد سابع * تموت (٢) الدنيا في شدة المتواـ
وأبين مأثور كان فرنسده * على الماء محبوبك (٣) وليس بسائـ
بني العم من عابها هلال بن عامر * وما جمعت من باسل وابن باسـ
تخالوا فقد شئت إلى النزوية * عواقبها مقصورة (٤) بالأوائـ

- ١ - الحن : ج ٢ ص ٤١٢ - ٤١٣ ، وانظر القسيدة في مجلة المعهد المصري
للدراستات الإسلامية، مدريد، مجلد ٣، سنة ١٩٥٣، ص ٣٠ - ٣٢ .
- ٢ - قرئت في المصحب ((تفوت)) .
- ٣ - قرئت في المصحب ((منسوز)) .
- ٤ - قرئت في المصحب ((منسورة)) .

*

غداً يروا إليها يا هلال بن عامر ثقالاً خفافاً بين حافٍ وناعٍ (١)

فالشاعر يدعو العرب إلى نصرته الدين الحنيف والدفاع عنه . وقد قدم بين يدي دعوته أساليب استتارة مستوحاة من التقم العربية ، حيث زين لهم النتائج التي يحققونها من الغزو فهو يحقق لهم المجد الحربي الذي يفخرون به ، ويطمحون إليه . كما أشاد بأصالة نسبهم ، وشجاعة فرسانهم ، ودكرهم بخلة القرابة التي تربط الموحد بين بهم . وقد كان الشاعر لبقاً في هذه الناعية ، حيث غاب العرب بقوله : - ((بني الحم)) . فلهذا التعبير في هذا الجودادوة رغبة تصبى القلوب ، وروح رضى يلمس النفوس .

ومن تلك الأشعار التي خاطب بها الشعراء قبائل العرب في افريقية ، قصيدة أبي النجاس الجراوى التي قالها مادحاً وفود بن هلال التي وفدت إلى الحضرة الموحدية . ويمضى قسم كبير من القصيدة في الإشادة بأمجاد تلك القبيلة ، وأعماله نسبها ، وكرم أجدادها ، وشجاعتهم وثقلهم السياسي ومكانتهم ، ومكانتهم ، وفصاحتهم . يقول :-

أحاطت بغايات الفلا والمفاخر	على قدم الدنيا هلال بن عامر
وزانوا سماء المجر بدهاء وعودة	بزمير خصال كالنجوم الزواهر
وأثلهم في الجود والبأس غاية	وكم تركوا من غاية للأواخير
وكم فيهم من مثل كعب وهاتب	وكم فيهم من مثل عمرو وعاصم
وكم قد أقاموا من عروش مواسل	وكم قد أقالوا من جدد عوائس
وكم لهم من حكمة تبهر النساك	ومن مثل في الشرق والغرب سائر

ويمضى قسم آخر من القصيدة على هذا النحو ، فيشيد الشاعر بالأبناس ، ويمجّد عظمتهم على أمجاد الآباء ومفاخرهم ، مكرّراً إشارات على شجاعتهم ، وقوتهم ، وتمرسهم بفنون القتال ، ومهارتهم .

١ - المتن : ج ٢ ص ٤١٥ - ٤١٧ . وقد نسب بعض المؤرخين إلى عبد المؤمن ، وتبعهم في ذلك بعض الباحثين المحدثين . انظر : - المصعب : ص ٢٩٤ - ٢٩٥ ، الحلال الموشية : ص ١٣١ ، النبوغ المغربي : ج ٢ ص ٢٦٦ ، العلوم والفنون والآداب على عهد الموحدين : ص ١٥١ .

وفي ذلك نذرة الإشادة المستمرة ، يتوجه أبو العباس الجراوي بدعوة بنسبي
هلال إلى الالتحاق بالبيروني الموحدية المجاهدة ، ونحو في ذلك ما يزال يستشير
هذه القبيلة ، فيصف أبناءها بالعزم ، والتصميم ، ورجاحة الحقل :-

بني عامر أنتم دميم فضتمسوا
ولا تتوانوا في محالوت نفوسكم
إلى الموت تديم الثيوت الخسوا
فإنكم أهل الشهى والبصائر
والشاعر لا يدعو هؤلاء العرب من أجل ملحم شخصي ، أو غاية ذاتية ، وإنما
يدعوه إلى جهاد الكهنة :-

ولا بد من يوم على الكفر أيسوم
تتم به الدنيا وفود الرشائس
وعند ما خرج قرافوش (٢) الأرمني على طاعة الدولة الموحدية ، وقام بالأمر في
إفريقية (٣) ، بعث الخليفة المنصور الأبيات الثانية إلى قبيلة سليم العربية ، يعثها
على نيل طاعة هذا الرجل الوافد الغريب وإخلاص النية في طاعة الموحدين .
يقول :-

يا أيها الراكب المزجي ملتيته (٤)
بلح سليماً على بعد الأيار (٥) بها
يا قومنا لا تشبوا العربان خدات
كم جرب الحرب من قد كان قبلكم
حاشا الأعراب أن ترضى بمنقصة
يقودهم أرمني لا خلاق لــــه
الله يعلم آتي ما دعوتكم
على عذارة تشقى بها الأكم (٥)
بيني وبينكم الرحمن والرحم
واستصركوا بصرى الإيمان واعتصموا
من القرون فبادت دونها الأكم
يا ليت شعري هل تراءىم علمسوا
كأنه فيهم من جهله (٧) علمس
دعاء ذي ترة (٨) يوماً فينتقم

سرها

- ١ - شاعر الغلظة الموحدية : الطدق . ج ٤ - ٥٥٥ .
- ٢ - أحمد ممالك الدين بن أيوب ، ظهر في المنرب على عهد المنصور ، واستولى
على طرابلس وقابس ، عظم أمره وتبعه كثير من العرب ، مفلوط الوافي بالوفيات :
ج ٢٦ ورقة ٥٥٥ .
- ٣ - السلوك لسرفة دول الطليق : ج ١ ق ١ ص ٦٠ و ١٦٤ .
- ٤ - قرئت في الحلل السندسية ((السارن لطيفة)) .
- ٥ - قرئت في الحلل السندسية ((يشقى بها الأكم)) ، وفي الرافي بالوفيات ((يشقى)) .
- ٦ - قرئت في الحلل السندسية ((المزار)) .
- ٧ - قرئت في نفع الطبيب ((كأنه بينهم من جهلهم علم)) .
- ٨ - قرئت في نفع الطبيب ((دعاء قوة)) .

ولا لجأت لأمر يستعان به
لكن لأجزى رسول الله عن نسب
من الأمور وهذا الخلق (١) قد علموا
يذني (٢) إليهم وترعى تذكهم الله
وإن أبيتم فعند السيف نحتكم (٣)

ويركز الشاعر في الأبيات السابقة على استثارة مشاعر قبيلة سليم العربية، لعلها تغلغل إلى الهدوء والسكينة، وتكف عن سيطرة قراقوش. وقد ألقى الشاعر أبياته مصحوبة بموثرات منوعة ذات تأثير في القلب، فذكر بروابط العقيدة والرعيم التي تربط الموحدين بهذه القبيلة، ونقر من العرب وبلاتنها، مشيراً إلى عزة العرب الذين يأغنون من الذل، ويفرضون أن يقودهم رجل أرضي بصفات قراقوش، معلناً أنه غير طامع بهم، وإنما يريد أن يحافظ على شرفهم، وعزتهم، ونسبهم المتصل بالرسول الكريم. ومع ذلك فإن الأبيات لم تغل من تهديد لهذه القبيلة.

وتصور الأبيات سياسة الموحدين تجاه العرب الذين يقبلون إفريقية. فهم يبذلون وسعهم في استئصالهم حتى يخلصوا الطاعة لهم، ويكسبهم جنداً مجاهدين في الأندلس. لذلك أوصى الخليفة المنصور الذي قال الأبيات ((بمدارة العرب وملافتهم والإحسان إليهم)) (٤).

كان لهذه المخاطبات المتوالية فعل السحر في نفوس أبناء القبائل العربية. فقد لبوا النداء، والتحقوا بالجيوش الإسلامية المجاهدة في الأندلس، وأبلوا في قتال الأعداء.

أشاد الشعراء بالدور الذي اضطلع به العرب في جهاد الكفر. فتحدثوا عن قوة غرسانهم، وشجاعة أبنائهم، وسالة جندهم في الدفاع عن الإسلام وحمايته. والشعراء في ذلك يصدرون عن روح إسلامية عميقة.

فهذا الخليفة عبد الوهم، بعد أن دل الأندلس بغزوة كبرى تشفي صدور المؤمنين، جهز لها جيشاً ضخماً من العرب المحترسين بفسون القتال. يقول: —

- ١ — قرئت في الحلل السندسية ((وأمل الخلق)) .
- ٢ — قرئت في الحلل السندسية ((تمنى)) .
- ٣ — انظر: — نفع الطيب: ج ٣، ص ٢٠٤، الحلل السندسية في الأغنياء — التونسية: — ج ١، ق ٢، ص ٣٦٦، مخطوط الوافي بالوفيات: ج ٢٦ ورقة ٥٥٥ .
- ٤ — البيان المخرّب: ج ٣، ص ٢٠٨ .

ولا بدّ من يومٍ أفرّ محجّـسـلٍ يسيلُ دماءُ الكفرِ في كلّ مذنبٍ
وتشقى صدورُ المؤمنين بفزوةٍ تكونُ على حكمِ العمامِ المسدّـرِ
ويغزو بلادُ الرومِ جيشٌ عرمرمٌ شخيرةً (١) من قيسٍ وأبناء يعسرٍ (٢)

وعندما جاز الخليفة عبدالمو من إلى الأندلس سنة ٥٥٥ هـ ، عبرت معه عشود
ضخمة من العرب لجهاد المسلمين . وقد بشر شاعر مجهول أهل الأندلس بقدوم
هؤلاء العرب الذين سيفوزون الكفر ، ويقتلون به . يقول :-

أناهمنا نهبكمم أناهتينا بأمركمم غلبتكمم ممّا المزمومة الجـسـر
ويصحبنا من خالدي العرب معشر أنابوا فما رتوا ، وتابوا فما ارتدوا

ستغزو بلاد الروم منهم عتائب وتحمي حمى التوحيد من خيلهم جند

جيشٌ ينصر الله تهبي عليكمم يروق بها وهدّ زهوى بها نجس
ويشجى برأها الأغاني كأنهـا تلحى بها صمّ الشوامخ تفهست
ستسلم أرض الروم أي فـسـوارس على ظهرها منهم إذا وفد الوعد (٣)

وندرلك من الأبيات تطوّع كثير من العرب المجاهد في الأندلس . وقد أوحى
ذلك إلى الشاعر بالاشادة بهم على هذا النحو . وفي إشادة أظهر فيها أنّ
الحرورية والإسلام من نسيج واحد . فالعرب التي سيخوضها هؤلاء العرب ، ليست
حرب أوطان ولا حرب أجناس ، وإنما هي حرب إسلامية شاملة .

وفي هذا المعنى قال الأصمّ المرواني قصيدة في المناسبة السابقة :-

عدّث من الروم في أقطار أندلس والبحر قد ملأ العبرين بالعرب
من كلّ من يترك الهيجا في حلك جمر إذا اخضرت الضبراء بالعشب
مقلب بين شتاة وما جـسـرة تقلب السيف بين الماء واللّـسـر
يرمي بهم ظهر طرف بطن سايحة فالبر في شغل والبحر في صعب

١ - قرئت في البيان المخرب (١) بخيل .

٢ - انظر : المتن : ج ٢ ص ١٢٥ ، البيان المخرب : ج ٣ ص ٤١ .

٣ - المتن : ج ٢ ص ١٣٣ - ١٣٤ .

وتصبر الماء منهم نار عادية يصلى بها عابد الأوثان والصليب (١)
والأبيات فيها إشادة قوية بالمرب الذين جازوا إلى الأندلس وقد كان
الشاعر صريحا في تحديد الهدف الذي جازوا من أجله، ألا وهو جهاد ((عابدين
الأوثان والصليب)) .

وقد أبلى الفرسان المرب في محن بلقون (٢) بلاء حسنا، مما دفع أبا المباس
الجراوى إلى الإشادة بهم قائلا :-

أتممت ما قد أطلوه ففاتهم ~~سهم~~ من نصر دين الواحد القهار
بحراب خيل غوثهم أعكار ~~سهم~~ من كل مقتحم على الأخطار
أكرم بهم قبايلا أقلالهم ~~سهم~~ في الحرب يئسنيها عن الإكسار

ثم أظهِرهُ مع النبي وواجب * أن يَتِمُّوا الإِظْهَارَ بِالْأَظْهَارِ (٣)

ويصوِّر الشاعر في هذه الأبيات اللواتج القويَّة التي تربط المروية بالإسلام .
فهو إنَّ يشيد بالدور الذي اضطلع به المرب في جهاد الصليبيين في الأندلس،
فإنَّه يعبِّر ذلك استعرازا لما بذله آباؤهم وأجدادهم في حمل الرسالة الإسلاميَّة
ونشرها، ويدعوهم إلى مواصلة الدِّفاع عن الدين الحنيف، والانتصار له، لأن ذلك
غرض عليهم كما كان غرضا على الدِّين . فدلوا من قبلهم .

وفي سنة ٥٦٠ هـ هجرت إلى الأندلس حشود ضخمة من المرب بصحبة السيِّد
أبي حفص (٤) . وقد أشار أبو عمر بن عربون إلى ضخامة هذه الحشود في قصيدة
قالها، منها :-

جمعتُم من بني قيس شعوبا تسيل بها المعاني والشباب
تجانس جيشهم لفظا ومعنى فهم دُوبٌ، وخيلهم عراب (٥)

وربَّما أوعى اشتراك المرب في المعارك ضدَّ الصليبيين، وعسَّ بلائهم
فيها، وما ترتَّب على ذلك من إشادة بهم، تعتمد على استيحاء تاريخهم الإسلاميِّ
الأوَّل، ربَّما أوحى ذلك إلى الشعراء أن ينعتوا الصليبيين بـ ((المعجم))، ويصفوا
وصف ((المرب))، على جميع المسلمين . وهنا تتفرَّج المروية بالإسلام امتزاجا

- ١ - المتن : ج ٢ ص ١٦٠ .
- ٢ - لم نستطع تحقيق المكان . وربَّما كان اسما آخر لغرض مرسية الذي تطلق عليه
المصادر ((حامة بلقوان)) . انظر : المتن : ج ٢ ص ٢٧٣ .
- ٣ - البيان المرب : ج ٣ ص ٤٦-٤٧ .
- ٤ - المتن : ج ٢ ص ٢٥٠ .
- ٥ - المتن : ج ٢ ص ٢٦٣ .

بوثة : تاريخ ابن خلدون : ج ٦ ص ١٤٤ .

*

أولوا الجزيرة نصرةً إنَّ الجسدَا تبغي على أقطارها استيلاءَهَا
نُقِضَتْ بأهل الشرك من أطرافِهَا فاستحفظوا بالمسلمين كما دُعا (١)

ولم يسلم الشاعر في الأبيات السابقة العروبة من رسالتها الكبرى، وإنما هي في سهيل الدفاع عن تلك الرسالة، وحمل لوائها. فهو يبصر الأمير الحفصي بقوة القبائل العربية، ويدعو إلى استقطاب طاقاتها، وعشد أمكاناتها، لجهاذ ((أهل الشرك)) في الأندلس. والشاعر لم يذكر قبائل العرب خاصة، إلا لإيمانه القوي بالوشائج المثينة التي تربطهم بالإسلام، وتحفزهم على تلبية النداء، والاستحاطة في الدفاع عن الدين الحنيف.

وعندما أوشكت اشبيلية على السقوط، بحث ابن سهل الأندلسي قسيده إلى عرب المصقل، يستنفرهم، ويحثهم على الجهاد. ومما قاله فيها :-

يا مشرك العرب الذين توارثوا شيم الحمية أكبرا عن أكبر
لكم صرائم لو ركبتم بعضَهَا اغتكم عن كل طرف مضمر
ولو انكم جهزتم عزما تكمم لهزتم منها الحد وبسك
أين الحفاظ ما لها لا تنبهرت؟ أين العزائم ما لها لا تنبهرت؟
أيهز منكم فارس في كد سيفاً، ودين محدد لم ينصر
جدوا ونسوا بالجهاد أجوركم ما خاب قصد مشر ومشر
لو صمد الإسلام شغصاً جاءكم عدا بنفس الولي، التحي
لو آت ناذي لنصر خصكمكم وهاكم: يا أسرتي يا مفسري (٢)

وتعتبر الأبيات المشاعر الإسلامية والحمية العربية معاً. فإن يحث الشاعر الحرب المسلمين على جهاد الأعداء، فإنه يلفتهم إلى تصور واقع الإسلام في الأندلس، ويؤكد لهم ارتباطهم بهذا الدين الذي يهتف بهم مستنجداً، ويحدد لهم مسؤولياتهم تجاهه.

١ - نفح الثليب : ج ١ ص ٤٨٠-٤٨١.

٢ - ديوان ابن سهل : ص ١٤١-١٤٢.

ويتخلل ذلك إشادة بقوة العرب، وشجاعتهم، وشهامتهم التي تأتي عليهم
روية الخطر محققا بالإسلام، ولا يخرجون للدفاع عنه.

وهكذا أبرز الشعراء الدور الذي اضطلع به العرب في جهاد الصليبيين
في الأندلس على عهد الموحدين. وقد كان هذا الدور واسعا إلى حد جعل الشعراء
يتصورون الصراع بين عربهم، دون أن يخرجوه عن إطاره الإسلامي الشامل؛ -
فيفصلوا المروية عن الإسلام، أو يفصلوا الإسلام عن المروية. ومن ثم فقد اعتبر
الشعراء جهاد الصليبيين فرضا على العرب المسلمين، واعتبروا هذا الجهاد
امتدادا لجهاد آبائهم وأجدادهم في نصرة الإسلام أيام الأولى. بل أنهم
ذهبوا في ذلك إلى حد اعتبر فيه الشعراء العرب أحق الناس في الدفاع عن
الدين الحنيف.

والشعراء إن يفعلون ذلك ينطلقون من أساس فكري متين، وهو إيمانهم
الحقيق بالأوامر القائمة بين المروية والإسلام، حتى بات كل منهما يمثل جزءا من
حقيقة الآخر. فهم حين يتصورون هذا الدين، لا يستطيعون نسيان العرب
الذين آمنوا به، وطوفوا أرجاء العالمين برسالته. وكذلك حين يتصورون العرب، لم
ينسوا هذه الرسالة الخالدة التي خالطت نفوسهم، وأعطت شأنهم، وأنشأتهم خلقا
آخر.

لذلك فقد برزت المروية عنيفا واضحا في شعر الجهاد. فأشاد الشعراء
بمواقف العرب في نصرة الدين، والدفاع عنه، وتحمل تبعاته. كما أشادوا بقوة
أولئك العرب، وعزتهم، وشجاعتهم، وشهامتهم. والشعراء في ذلك يصعدون
من روح إسلامية عميقة. ومن هنا لم يمش الدارس على موقف واحد تحدث فيه
الشعراء عن المروية منفصلة عن الإسلام، وإنما كانوا يقرنونها دائما بالدين الحنيف.
وكانت الروح الإسلامية تسير جنبا إلى جنب مع الروح العربية، محتضنة إياها
وموجهة لها.

الفصل الثامن

شخصية البطل في شعر الجهاد :

- أ) مفهوم البطولة .
- ب) دور البطل في الصراع .
- ج) القيم والمثل العليا في شعر الجهاد .

١) مفهوم البطولة :-

البطولة في اللغة : الغلبة على الأقران (١). وهي غلبة يرتفع بها المبتلى من بولته من الناس ارتفاعاً يملأ نفوسهم له إجلالاً وإكباراً (٢).

وقد عرف العرب قبل الإسلام البطولة . وهي عندهم بطولة إنسانية لا تتشبع بقوة خفية، وتستند على مقومات ثلاثة : - حربي يقوم على الشجاعة - والبعالة في القتال، ونفسي يقوم على احتمال الشدائد والحلم والأنفة والعزة، والخلقي يقوم على ميانة الشرف، وعلى الكرم والوفاء وحماية الجار . . . وبذلك تعانقت ((بطولة السيف مع بطولة النفس والخلق والطمح إلى المثل الرفيعة)) (٣).

وعندما أضاعت الجزيرة العربية بنور ربها ولم يرفع الدين الحنيف القيم الجاهلية كلها وإنما رشح بعضها بعد أن نذرها، وصقلها، ووجهها . . . وبهمة تادم العقيدة وأمدتها برومانية مضطربة : فأضاف إليها ما أضاف، وأبعد منها ما أبعد . فقد عبر عن ذلك بقسورة واضحة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام - حيث قال : - ((بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ عَسْنُ الْأَخْلَاقِ)) (٤).

وقد نالت البطولة العربية الإسلامية تستمد مقوماتها من تلك الروافد الثلاثة : العربي ، والخلقي ، والنفسي .

١ - انظر : لسان العرب : مادة ((بطل)) ، الفروسيّة : ص ١٣٠ .

٢ - البطولة في الشعر العربي : ص ١ .

٣ - المصدر السابق : ص ٥ .

٤ - مؤأ مالك : ج ٢ ص ١٠٤ .

ب) دور البطل في الصراع :-

ظهر في عصر الموحدين عدد من القادة الذين أبلوا في جهاد الأعداء، وتجسدت فيهم الفضائل والمثل العليا المتعارف عليها في المجتمع الموحدي. وإذا كان وجود القائد البطل أمراً لا بد منه في كل حرب، فإن الحاجة إليه تزداد في المروب القديمة، ((لأن دورة إن ذاك كان يتجاوز حدود التخطيط والتوجيه من بعيد إلى المشاركة الفعلية في القتال، مع ما يترتب على ذلك من اتصال شخصي بجنوده، يحترقهم على ما يستمتع من فضائل ومزايا، قائدا ومقاتلا)) (١).

وأهم أبطال الصراع الذين تغنى الشعر ببطولتهم في عهد الموحدين هم :-
الشافعة عبد المؤمن، والخليفة يوسف، والخليفة يعقوب المنصور. بالإضافة إلى البطولة الجماعية للمجاهدين المسلمين. فقد مجّد الشعراء بطولة الخليفة عبد المؤمن يوم قاد الجيوش وفتح المهدية، ويوم قاد تلك الجيوش وعبر بها إلى الأندلس. وأكبر الشعر بطولة الخليفة يوسف حين عبر بجيوشه الجبال إلى الأندلس مرات عديدة دفاعاً عن الإسلام، وانتصاراً له. وتغنى الشعراء ببطولة المنصور فدّة قاد الجحافل الإسلامية، ونزل موضع الأراك، وألقى بالصليبيين - عزيزة قاسية .

وقد ينعيل إلى البعض أنّ التركيز على دور البطل في الصراع العسكري ضد الأعداء، نوع من إنكار المجهود الجماعي. إلا أنّ هذا التخيّل مخالف للواقع، فالأحداث التاريخية تثبت أنّ للقائد الصالح دوراً كبيراً في استغلال طاقات الأمة، والإغادة منها، وتوجيهها وجهة صحيحة للدفاع عن نفسها. ثم إنّ الشعراء لم يغفلوا تصوير البطولة الجماعية للجيوش الإسلامية.

فقد تحدّث ابن ما حب الصلاة (٢) عن الجيوش النخمة التي جهّزها الخليفة عبد المؤمن، وقادها إلى الأندلس لتلبية لنداء أهلها، حيث قال :-

وكرّ إلى نصر الجزيرة بعد ما	أناه مع الرُكبان ناع وناع
بجيش تضيق الأرض عنه بطولها	وترهبه لو عاينته العطال
وأبيض وردى القميص كأنما	تفتح فوق النفل منه وشقايا
تجرّده أيدي الأبهة في الوقي	وتغمدّه هام العدى والمفسار

١ - صدى الخنزو السليبي : ص ١٥٥ .

٢ - هو غير عبد الملك بن صاحب الصلاة، صاحب كتاب المن بالإمامة. ولم نشر على ترجمة له.

٣ - المن : ج ٢ ص ١٦٧ .

ويبرز التعبير الشعري محرّكاً قدح زناد البطولة في عهد الموحّدين، وهو الخطار الصليبي الذي كان يهدّد المسلمين. وتتبدّى في الأبيات الفروسية في أسى صورها. فقد صور الشاعر البطل فارساً، يعزّز عليه أن يسمع الصريح من المسلمين دون أن يستجيب لهم، ويدفع التلّم والعدوان عنهم. والشاعر في ذلك، لم يغفل تصوير البطولة الجماعية للجيش المسلم الذي يتحمّل عبء القتال؛ فهو جيش ضخم العدد، كامل العدد، يرهّب كل من يعاينه.

وقد تخطّى أبو بكر بن المنّخل الشّلي بالبطولة الحربية للخليفة عبد المؤمن في المصارك، حيث قال +

يلوّدون في الهيجا بأروع ماجدٍ إذا دارت الهيجا كأن لها قُلباً
ولن عصفت ریح الوفی أحدقوا به فكانوا له جسماً، وكان لهم قُلباً (١)

والتركيز في البيتين السابقين على إبراز التفاعل بين البطل وجنده غني القتال. فقد صور الشاعر الخليفة عبد المؤمن فارساً، يتقدّم الفرسان في المصارك والنزال، ويتحمّل العبء الأكبر من القتال، ويبعث الحمية في نفوس جنده، الذين يلتفون حوله لاثنين به.

وقد أبرز الشعراء عناية ((البطل)) بالجيش، وتجهيزها، وتوجيهها نحو العدو، وقيادتها. يظهر ذلك في الأبيات التالية التي قالها ابن المنّخل الشّلي في الخليفة يوسف :-

لما رأيت الدين أظلم جوه
أقبلتها شمت النّوامي شرباً
من كل مشرفة التليل (٢) كأنما
وأغرّ وضاح السجول مطهم (٤)
تسري بخير عصابة قيسية
كسّ الرّقيّ شوامراً فإذا رمى
يلقوا العدو الرعب دون لقاءها
والعرب قد سدّت عليهم قتامها
جرداً ثباري في الغلاة سمامها (٢)
عقدوا بباسقة التّفيل لجامها
يجلو إذا غاص الغمار ظلامها
تسري الفتوح مشيخة قدّامها
عن نزعها الأعداء كنّ سمامها
فيزل قبل قتالها أقدامها (٥)

- ١ - المص : ج ٢ ص ١٥٣ .
- ٢ - السّمام : ماثر دون القلّة في الخلقة . لسان العرب : مادة ((سم)) .
- ٣ - التليل : الحق . لسان العرب : مادة ((تل)) .
- ٤ - المطهم : المجمع المدور لسان العرب . مادة ((هم)) .
- ٥ - المص : ج ٢ ص ٤٥١ - ٤٦٠ .

وتمتزج في هذه الأبيات البهولة العربية بالبهولة الخلقية . فإن يشيهد الشاعر بشجاعة البطل ، وقيادته الهیوش ، وإشرافه عليها ، فإنه لم يغفل تصوير الدافع الذي قد زلزل ذلك في نفسه ، وهو العقيدة .

والبهولة في الأبيات السابقة بهولة جماعية . فالشاعر لم يصور البطل وحده ، وإنما صور جماعة المسلمين المجاهدين معه ، وأشاد بهم ، وأبرز دورهم .

وقد أشاد ابن عربون بحسن بلاء الخليفة يوسف في معركة السبيكة سنة ٥٥٧ هـ ، حيث قال : -

وسائله به تخبرك عن هزmates	سوائل من ماء الحديد رواكـد
عليها لرقراق السراب غلايل	عليهن من رذع الدماء مجاسـد
تبتعن من ماء ونار تألقا	فلا الماء منساب ولا الجمر بما صد (١)

فالشاعر يفاخر ببسالة الخليفة يوسف في معركة السبيكة ، تلك البسالة التي تصرفها أدوات الحرب ، وتقر له بها . إلا أن الأبيات يعوزها التفصيل الدقيق للمدور الحظي الذي اضطلع به ((البطل)) في تلك المعركة ، ولعل ذلك يعود إلى أنها جاءت ضمن قصيدة مدحية استعمل فيها الشاعر ذكريات وقائع ماضية للبطل . فالمعركة حدثت سنة ٥٥٧ هـ ، والقصيدة قيلت سنة ٥٦٠ هـ (٢) .

وتشير المحادير إلى قيادة الخليفة المنصور معركة الأرك ، واشتركة فيها . وقد أشاد ابن معزمون ببهولة ذلك الخليفة في تلك المعركة قائلا : -

لا قيت جموعهم فـكـدوا	فربما في قبضة مفتـدوا
بأهولك تخريق الأرض بهمـم	عددا لم يحصى ولم يقـدوا
كـر وابطـرا ورثاء النـا	س ليغتلسوا مع مختلـدوا
ومضيت لأمر الله علىـ	ثقة بالله ولم تخـدوا
فأنان الموت كلاكـدوا	بظباك على بشر رجـدوا (٣)

وتتفتح الأبيات السابقة على إبراز شجاعة البطل في القتال ، وفته بالأعداء وغيرته على الإسلام وإخلاسه له . إلا أن الشاعر لم يعمد تغسيلا شافيا لبهولة المنصور في المعركة ، وإنما اكتفى بالإشارة السريعة حتى يتحدث عن الهزيمة التي ألمت بالصليبيين .

١ - المن : ج ٢ ص ٢٤٨ .

٢ - انظر المن : ج ٢ ص ١٨١ و ٢٤٥ .

٣ - المعجب : ص ٢٧٢ .

وكثيرا ما يخلط الشعراء الموحدون المدح بالحماسة وروح الفروسية (١) ويظهر
ذلك في الأبيات التالية لأبي الوليد يونس القسطللي (٢) :-

وعذراء من بكر الفتح افتضفتها	وليس لها إلا بحكم الوغى عفت
دفعت لها سمر الرياح نسيئة	وكان لها من واضحات الطلبي نقد
ومهمة لا يهتدى لسبيلها	بقارعة ينسى لها الأبلق الفسرند *
صبت عليها الخيل أمدى من القطا	إلى أن موت أعلامها الشم تنهد
فمن أهيف أهداء ربح مهف	ومن ناهد يقتاده غرس نههد
أمام الخيم الأرجواني كأنه	غلال تمام والنجوم له جند
وسحت دموع التمهري كأنها	وقد كبرت غرسانها الأعين الرمد
كما إذا عزوا القنا وتدرعوا	تشتت على غدرانها القضب الملسد (٣)

وتبرز هذه الأبيات دافعا آخر قد ج زناد البطولة في عهد الموحدين ، وهو
الفتوة التي تترفع عن أي متاع مادي . فليس بغير الفتوة يمكن أن نعمل قوة احتمال
البطل وشجاعة فرسانه ، الذين فتكوا بقتال الأعداء ، فتهافت أمانهم .
وتظهر أخلاق الفتيان وتعاليدهم وانحدر في شخصية الشهيد أبي الحملات
مدافع بن يوسف بن سعد الجذامي (٤) ، قائد الأعنة ببلنسية . وقد صور ذلك ابن
حزمون في موشحة رثاء فيها ، منها :-

يا عين بكي السرراج	الأزعرا	النيرا اللامع
وكان نحم الرنجاج	كفكسرا	كي تشرا مدا مع
من آل سعد أنجر		مثل الشهاب المتقد
بكي جميع البشر		عليه لما أن فقيد
والمشرفي الذكبر		والسمهري المطرد
شق المغوف وكبر		على العدو متفرد
لو أنه منعجاج	على الوري	من الثرى أورا جرح
عادتنا الأفرجاج	بلا افترا	ولا امترأ نضاج (٥)

- ١ - الأدب الأندلسي في عهد الموحدين : ص ١٥٤ .
- ٢ - هو أبو الوليد يونس بن محمد القسطللي . شاعر مشهور رحل إلى المشسر .
توفي سنة ٥٧٦ هـ ، انظر : المغرب : ج ١ ص ١٥٤ .
- * - الأبلق الفرد : هو حصن السؤال بن عادي . الروض المطار : مادة الأبلق
الفرد ، ص ١٠ .
- ٣ - زاد المسافر : ص ٥٧ .
- ٤ - لم نعثر له على ترجمة : ووالده علم مشهور . انظر النفع : ج ١ ص ٤٥٦ .
- ٥ - المغرب : ج ٢ ص ٢١٧ - ٢١٨ .

فقد استلهم ابن حزمون قيم المجتمع الموحدى ومثله العليا عند ما صور أبا
العملات فارسا مقداما، أزهر الوجه، واثقا من شجاعته حين يكر على الأعداء، ويفتلك
بهم .

ونلمهر في عهد الموحدين أبالال آخرون من غير الخلفاء نذكر منهم - هذا
أبي العملات - عبد الملك بن سعيد (١) - وقد قدم ابن أبو جعفر بن سعيد صورة
مشرقة له، وقد شد عليه درعا، وخرج بجنده غازيا، يقول :-

أيا قائد الأبالال في كل وجهة
لقد قلت لما أن رأيتك دارعا :
وأشدت والأبالال حولك هالكة :
غير مثلما سار الصباح إلى الدجى
تليق قلوب الأسد فيها من الدعر
أيا عمن ملأ السباب على النحر
أيا عمن ملأ دار النجوم على البدر
وأب مثلما آب النسيم عن الزعر (٢)

والأبيات فيها تصوير رائع للبطولة الفردية التي تصدرها بطولة جماعية. فقد
صور الشاعر ((البطل)) فارسا مقداما، يقود جندا أبطالا إلى أسهب إلى الموارد
دون أن تغر عزائمهم، وإنما يستبشرون بها، ويقدمون عليها .

ويلاحظ أن الشاعر قد اتكأ على الطبيعة في تقديم الصورة الشعرية . وهي
صورة ناعمة رقيقة . ولا غرابة أن يكون ذلك في بيئة عرفت بحمال الطبيعة، وفي مجتمع
شغف باللباقة، ومن شاعر قضى كثيرا من وقته في المنزه والرياض يبحث عن المتعة
والجمال .

وقد أبلى المسلمون في معركة أنيسة بلا حسنا، ومن بينهم أبو سليمان الكلابي،
((وقد كان رحمه الله من أولي الحزم والجراة والبسالة . . . وثبات الجأش ويمن
التيقظة، يحضر النزوات، ويباير بنفسه القتال، ويهلي فيه البلاء الحسن، وآخرها
الغزاة التي استشهد فيها بالكائنة على المسلمين بنواصر أنيسة من عمل البلطسية
على نذر سبعة أميال منها، حضرها، وحرض المسلمين، وقد اختلوا، على قتال
عدوهم، ورفبهم في مكافحته، ولم يزل متقدما أمام الصفوف زحفا إلى الكفار، مقبلا غير
مدبر (الرأية بيده) (٣) ينادى المنهزمين : أئمن الجنة تفرون؟ حتى قتل سائرا
محتسبا غداة يوم الخميس لعشر بقين من ذي حجة أربع وثلاثين وست مائة . . .) (٤)

١ - أحمد مؤلفي كتاب ((المغرب في حلى المغرب)) توفي سنة ٥٦٢ هـ. المغرب:

ج ١ ص ٦٠

٢ - المغرب : ج ٢ ص ١٦٧ .

٣ - الموقية العليا : ص ١١١ .

٤ - الذيل والتكملة : ج ٤ ص ٩٠، وانظر إعتاب الكتاب : ص ٢٤١ ٦ برنامج

شيخ الرمني : ص ٦٦-٧٢ .

رثى ابن الأثير أبا سليمان الكلاعي خاصة، ومن استشهد في معركة أنيسة عامة في قصيدة طويلة أشاد فيها ببسالة المسلمين وبطولتهم في هذه المعركة، منها قوله :-

تساقوا كوه من الموت في عومة الرغى	فمالت بهم ميل النسون النواعم
مضوا في سبيل الله قدماً كأنما	يأبسون من إقدامهم بقوادم
يرون جوار الله أكبر مندم	كذاك جوار الله أسنى المنام
والأسم راموها فغاضوا لنيلها	ولا روع يثنيهم، ودور العطاءم *
وبين الثنايا والمخارم رمة	سرى في الثنايا، ليبيها والمخارم
بكتها المعالي والمالم جهداها	فلهب المعالي بعدها والمالم *

لقيت الردى في الروع جذلان باسماء * فبوركت من جذلان في الروع باسم (١)

فقد وجه الشاعر القلوب في مصرغ تصويره صاب المسلمين في هذه المعركة إلى تسوير البطولة الجماعية للمجاهدين المسلمين، الذين سحوا إلى جهاد الأعداء، وأبلاوا في حربهم أحسن البلاء، وهم في ذلك يمدرون عن شعور عميق بوجهه ونسرة الدين الحنيف، والدفاع عنه، حتى ينالوا الثواب الذي أعدّه الله للمجاهدين في سبيله .

ولم يكن حديث الشعراء عن دور البطل في الصراع العكسي مقصوراً على إبراز الدور الذي اضطلع به في تجهيز الجيوش، وقيادتها، والاشتراك الفعلي في الممارك، وإنما تعداه إلى إبراز الآثار النفسية التي تنجم عن وجوده في الأمة . فقد رأى الشعراء أن البطل، بما يستمتع من مزايا وصفات، قادر على حفز الأمة، وبمساهماتهما، وتشجيع أزماتها النفسية، وإشعارها بالثقة، وبالتالي خلق حالة من الأمن والاطمئنان بين صفوفها . ومن هؤلاء الشعراء ابن سيّد الأشبيلي الذي قال في عبد المعز :-

فكان كالنوم في أجفان ذي سهد	أو كالأمان على أحشاء ذي وجسل
أنحى بكرته الإسلام في جدل	والمشركون وأهل الكفر في جدل (٢)

فالتعبير الشعري يرسم صورة معبرة للحالة النفسية التي نجمت عن وجود البطل، وهو عبد المعز في الأمة : فقد أمن المسلمون به، أما المشركون فقد شاع الرعب

١ - المرقبة العليا : ص ١٢٠-١٢٢، الذيل والتكلمة : ج ٤ ص ١٠-١٥ .

٢ - المن : ج ٢ ص ١٥٨ .

والفتح في قلوبهم، والاضطراب بين صفوفهم، بل إن التعبير الشعري قدّم الإسلام بصورة عبية سمعت بهذا البطل .

وقد قال الأسمم المرواني في المعنى نفسه :-

جَلَى إِيَّاكَ عَنَا كُلَّ مَظْلَمَةٍ * وَأَنْسَ الدِّينَ مِنْ إِيحَاثِ مَفْتَسِرٍ
صَارِخٍ بِتِلْكَ الْبَيْضَاءِ قَبَّتِهَا * نَارُهَا أَصْبَحَتْ سُودَةً الْخُنْبِ (١)

فقد أبرز الشاعر د. البطل في تأنييس الرعية، وإخراجها من وحشتها، وكشف شداتها، وتشريح أزماتها، وما ينتج عن ذلك من راحة نفسية، وشمور بالأمن والاستقرار.

وقد أشاد أبو الحكم رضى البلسي (٢) بجهود الخليفة يوسف في إحياء الأمة، وبموت الثقة والشرائط في نفوس أبنائها في قصيدة ذكر فيها ما تقدّم من الفتح، حيث قال :-

أَعَانَ وَالْقَوْمُ قَدْ مَلَّوْا السَّيْرَ غَيْرُ * مِنَ الدُّرُوبِ عَلَى أَكْوَارِهِمْ مَيْلُ
فَخَلَّتْهُمْ مِنْ عَقَالٍ أَنْشَرُوا الْمَرْبَا * وَالنَّفْسُ تَبْعُهَا ذِي التَّعَالِيلِ

وَعَلَّتْ أَنَّ الْحَيَا لَمَّا أَعَادَ عَمَّا * فَالْمَاءُ مَطَرٌ، وَالزَّهْرُ مَطْلُوبُ (٣)

وهنا يهر من الأبيات أن بعض المسلمين قد ملّوا الخزو، وأشفقوا من الإبعاد فيه، إلا أن الخليفة يوسف استطاع بوعوده وجهوده أن يعيد الأمل إليهم، ويمدّهم نشاطا وثقة، ويوجههم نحو أهدافهم.

وإذا أبرز الشعراء دور البطولة الفردية في طمأننة الأمة، فإنهم لم يغفلوا دور البطولة الجماعية في ذلك، يظهر هذا في الأبيات التالية التي قالها ابن حريون عندما عبرت الجيوش الإسلامية إلى الأندلس سنة ٥٠٦ هـ، يقول :-

دَلَفْتُمْ بِالْأَسْرَرِ إِلَى بَلَدٍ * ثَوَتْ حَجَجًا تَمِيثُ بِهَا الدَّيَّابُ
أَسْمِيهَا عُدَاةَ حَلَلْتُمْوَمَا * بِلَادَ الْجُنْدِ مَلَّ بِهَا السَّحَابُ
فَلَوْلَا كَمْ لَقَدْ أَهْجَتْ مَوَاتِنَا * يُسِنُّ عَلَى تَرَائِيهَا التُّسَارَابُ
فَقَدْ أَلْقَى عَصَى الْجَمْرَانِ فِيهَا * وَقَوَّى رَمْلَهُ عُثْبَا الْخَسْرَابِ (٤)

١ - المصنوع : ج ٢ ص ١٥٨ .

٢ - هو المتدري رضى، من أهل سرقسطة، وسكن بلنسية . كان أديبا شاعرا .

التكملة : ج ٢ ص ٧٠٦ .

٣ - المصنوع : ج ٢ ص ٤٢٢ .

٤ - المصنوع : ج ٢ ص ٢٦٢-٢٦٣ .

فالشاعر الذي عاصر سوء الأوضاع في الأندلس قبيل عبور هؤلاء المجاهدين
لم تفتته ملاحظة الوضع الجديد فيها بمد عبورهم إليها وعنايتهم بها : فقد كان الأعداء
يمشون فيها فسادا ، ويرشقون أهلها ، إلا أن هؤلاء المجاهدين كشفوا كربها ،
وأزاحوا الغمة عنها ، ونشروا الصمران فيها .

وهكذا أبرز الشعراء دور ((البطل)) في الصراع العسكري ضد العدو .
فهم وجهز الجيوش ، ويقودها ، ويشارك في المعارك ، ويبحث طاقات الأمة ، ويوجهها
للدفاع عن نفسها .

ولم يغفل الشعراء تدوير البطولة الجماعية للمجاهدين المسلمين . فغسود
تشابكت الوشائج بين البطل وجنده ، وهم يسعون بما أوتوا من قوة ، ويلتحون غسي
السيفي إلى جهاد المعتدين ، مرخصين مهجهم وأرواحهم .

(ح) القيم والمثل العليا في شعر الجهاد :-

البطولة العربية الإسلامية بذاتية إنسانية، تقوم على مجموعة من الفضائل الخلقية والنفسية والحربية.. وبهذا فإن البطولة مفهوم يشمل جميع الفضائل والقيم الحسنة التي تميز البطل في مجتمع معين.

والبطولة بهذا المعنى تلتقي مع مفهوم ((الفتوة)) العربية الإسلامية في بعض الفضائل دون أن تزداد فيها، ذلك أن الفتوة الإسلامية لها تقاليد خاصة (١)، أما البطولة فتقلت من أسرتك التقاليد لتتخذ مفاهاً مميّنة من المجتمع الذي توجد فيه..

والشعراء حين يخلعون الفضائل على البطل، فإنهم يستوحون قيم المجتمع ومثله العليا في عصر معين. وهم بذلك يحاولون تقريب صورته من صورة الإنسان النموذجي التي تعد المثل الأعلى في ذلك المجتمع.

ويمكن أن نجمل الفضائل التي خلعها الشعراء على البطل المسلم في المفردات والأندلس زمن الموحدين فيما يلي :-

الشجاعة، الجهاد في سبيل الله، الكرم، التقوى والعدل، الرحمة، سعة العلم، وأصالة النسب..

والشجاعة من أبرز سمات البطل في شعر الجهاد، لأنها عدته في الحروب وسلاحه، وهي شجاعة تعتمد على ثبات القلب، وقوة العقيدة. ويمكن أن نجمل صورها في شعر الجهاد في الحماسة للمقاتل، والإقدام عليه، والثبات والجلد، وقسوة الاحتمال، والتمرس بفنون القتال، والعناية بأدواته، والفك بالاعداء، والثقة بالنفس، والهيبة...

فقد أشار الأديب المرواني (٢) بحماسة عبء المؤمن للقتال وإقدامه عليه. فهو إذا ما دعت الحرب لبي نداءها، ودار إليها، متقدماً الجيوش الخيمة، يقول :-

ملك إذا ما دعت الحرب من بعد
دار السفين أمام الجحفل اللجج (٣)

١ — انظر: الفتوة عند العرب: ص ١٣ و ١٤، الملامية والصوفية: ص ٢٤،
Encyclopaedia of Islam, Under 'Futuwa'

٢ — سماه صاحب المصنف: ((القرشي الآمي القرطبي المعروف بالذليل)) .. انظر: ص

المن: ج ٢ ص ١٥٩، النسخ: ج ٣ ص ٥٩٢، زاد المسافر: ص ١٢٦.

٣ — المن: ج ٢ ص ١٦١.

وقد ربط ابن الأبار أروع معاني الشجاعة بالمقينة الدينية، عندما أشاد ببسالة أبي سليمان الكلاعي في القتال. فهو يقدم على الموت، مبتهجا به، حتى ينال الثواب الذي أعدّه الله للمجاهدين في سبيله : —

أنا رداه مقبلاً غير مدبرٍ
ليحظى بإقبالٍ من الله دائماً (١)

وشهد القلب عند النوازل مظهر آخر من مظاهر الشجاعة. وقد صور الشواش الشلبي رباطة جأش الخليفة يوسف، وقوة احتماله، وصبره على ملازمة الأقران، وشدة قلبه في المعارك التي يهرب منها أشجع الأبطال : —

للله ترك والفوارس تدعني	والحرب خاسرة المتاع زبون
واليوم يظلم للعيون قتامة	فتنيره * لك غرة وجبين
في مأزق ضحك تزل كما تله	ومقامكم صدق هناك رصين
ولرب صوال الزئير خطمته	فخذ له بعد الزئير أنين (٢)

كما أشاد ابن المنخل الشلبي بجلد الخليفة يوسف وصلابته، فهو يظل قائماً على القلاع والحصون يذللها، حتى يقتحمها عنوة : —

فلرب نايبة السنام منيمة	ذلتها حتى وطيت سنامها
ومنيعة صعبت وعز مرامها	سهلت بالبيهر الرقاق مرامها (٣)

وقد تحدث الشواش الشلبي عن تمكن الخليفة عبد المؤمن من أساليب القتال، وتمرسه بها، حتى بات الانتصار في المعارك من عاداته : —

عادات منصور المزام غالبر	صمكت فتوح مشارق ومغاربر
عادات مخترم العداة مظفر *	مفتال كل معانيد ومحاربر (٤)

وقد أشار الشاعر السابق إلى النشأة الحربية للخليفة يوسف، حيث أخذ بوسائل الفروسية صغيراً، وتمرس بها كبيراً، ولذلك فإن ميادين القتال تنوع عليه حتى الأم البرة بولد ١٥، لأنها ألفتته : —

١ — الذيل والتكملة : ج ٤ ص ٩٤ .

* قرئت في المن ((وتشيره)) .

٢ — المن : ج ٢ ص ٢٤١ — ٢٤٢ .

٣ — المن : ج ٢ ص ٤٦٠ .

٤ — المن : ج ٢ ص ٢٠٨ .

عَزَّ رَبِيبًا وَالْمُلُومَ لِدَا تَسْلِسَهُ
والمشرفي أَخ له وَخَدِيْسُنْ
ترك المهاد لَسَرَجْ * أَجَرَدَ سَابِحِ
وصفا عليه سِرْدُهُ الموضنُون *
شَبَلْ غَدَتَهُ لِحُومِ أَسَاوِرِ الْوَفْسِي
في حيث مَتَلَفُ الْوَشِيحِ عَرِيْسُنْ
وَكُلًّا تَمَّا السَّهِيْجَاءُ أَمْ بِرَّ رَّةً
تحنو عليه برفقة وتليْسُنْ (١)

ويستشف من هذه الأبيات الطريقة التي كان ينهجها الموحدون في تربية أبنائهم. فهم يأخذون بأسباب الفروسية صفارا، ويشبون عليها.

وقد ردد الشاعر المعنى السابق في قصيدة أخرى قالها في الخليفة نفسه (٢). وتحدثت المصادر عن عناية الموحدين بالأسلحة، واقتنائهم أياها. وقد قسّم الشعراء طرفا من ذلك. فوصفوا عنايتهم بالخيل، وقيامهم على أمرها. كما صوروا اهتمامهم بالسفن، وسحبهم إلى بنائها (٣).

ولطول ألفة بني عبدالموء من للرماح وعنايتهم بها، فإنهم لم يحودوا قادرين على تمييز كموبها من أيديهم، وإنما التبت عليهم، كما يقول ابن حربون :-

وقد أَلِفُوا الأَرْمَاحَ حَتَّى لَا وَشَكَتْ كَمُوبُ الْقَنَا أَنْ يَحْسِبُوهَا بُرَاجِمَا * (٤)

والثقة بالنفس مظهر آخر من مظاهر الشجاعة. فالبطل إذا يقتحم الخطوب بقلب ثبت، وشجاعة فائقة، كان واثقا من شجاعته، وبأسه، ودريته، في حميا القتال.

فالخليفة عبدالموء من لو شاء لخاض المعركة راجلا :-

فلو شاءَ لَمْ يَرْكَبْ جَوَادًا لَجَدَفَلٍ وَلَا حَمَلْتَهُ لِلْسَّغَارِ الْأَيَانِيقُ (٥)

وعو يستخف بالأعداء، ولا يردب لقاؤهم، وإنما :-

تَلَقَاهُ أَسَاوِدُ الْوَفْسِ وَكَمَاتُ سَهْلِهِ فَكَأَنَّمَا يَلْقَاهُ سَرْبُ كَوَاعِيبِ (٦)

* - ورد في المن ((ليسر)) ، وبذا ينكسر الوزن .

* - السرد الموضون :- الدرع المنسوجة .

١ - المن : ج ٢ ص ٢٤١ .

٢ - انظر : المن : ج ٢ ص ٢٤١ .

٣ - انظر : المن : ج ٣ ص ٢٣٨ ، مخطوط الوافي بالوفيات : ج ٢٦ ورقة ١٦ .

* - ورد في الأصل ((مراجما)) ، ولا معنى له .

٤ - المن : ج ٢ ص ٣٨٧ .

٥ - المن : ج ٢ ص ١٦٥ .

٦ - المن : ج ٢ ص ٢١٠ .

وقد صوّر ابن المنخل الشلبي الخليفة يوسف فارساً أزجر الوجه، بيّذ أقرانسه،
ويقفون عليهم : —

وإذا امتطى ظهر الحصان رأيته بدر الكتاب ليئها ججأها (١)

ويقدم ابن سيد الاشبيلي في الأبيات التالية، صورة مشرقة للبطلولة الحربية
للمجاهدين المسلمين، وما كان يملأ نفوسهم من قوة وبأس، وثقة بالنفس، وإقدام على
القتال، وارتياح إلى الموت، وابتهاج به : —

من كل أزهر للحيا بوجههم في السلم رقائق اللجين المذهب
يرتاج للموت ارتياح فئاتهم للطنع أو صمصامة للمضرب
مرح بصعترك الهياج كأنه في ضنكة متقلب في طمع (٢)

وكان الصراع بين الموحدين والصلبيين بالغ العنف. لذلك كان التفني بقوة
البطل، وفتكه بالأعداء، وإرادتهم، وقد رتب عليهم، سمة من سمات شمر الجهاد .

فسيوف الخليفة عبد المؤمن قطعت أجسام المداة، وفتكت بها، كما يقول ابن صاحب
الصلاة : —

تقسم أجسام المداة سيوفه ولدن بأيدي الطغنين بواسق (٣)

وقد قدم ابن سيد الأستاذ (٤) صورة ساخرة للرعب الذي دب في قلوب الأعداء
من بطش الخليفة يوسف وفتكه، يقول : —

راع المالك فاتفت بطوكهها حتى كان بها حبالى تطالسق

شقي العدى منه ببداسة، محدنق * عجباً، وعل ينتابه ما يُحدرق (٥)

١ — المن : ج ٢ ص ٢٤٤ .

٢ — المن : ج ٢ ص ١٦٩ .

٣ — المن : ج ٢ ص ١٦٦ .

٤ — لم يوضح ابن صاحب الصلاة المقصود بابن سيد . فهناك ابن سيد المالقي ،
وابن سيد الاشبيلي . والمرجح أن المقصود ابن سيد الاشبيلي ؛ لأن المالقي
توفي بعد سنة ٥٦٠ هـ والثاني مات بعد سنة ٥٧٦ هـ والقصيدة قيلت سنة
٥٦٦ هـ . انظر : المن : ج ٣ ص ٤٥٣ تعليق رقم ٧ ، الرأيات : ص ٤٨ .

٥ — المن : ج ٢ ص ٤٥٤ و ٤٥٦ .

وصورة القتلى الذين ملأت جثثهم الرّحب، فلا تجد الخيول مكانا على الأرض تضع سنايكها عليه، صورة قديمة تدلّ على كثرة القتلى. وقد استعبان الأمير الشاعر أبو الربيع الموحّد (١) بها، عندما صوّرتك الخليفة المنصور بالأعداء، حيث قال : —

أوطأتها عام الكّماء فلم تضج^٢ إلى الأعلى خديّ طريح^٣ مُتَكسّي (٢)

وقد صوّر ابن سيّد الاشبيلي خوف الصليبيين من المجاهدين المسلمين، حتّى بات هذا الخوف لا يفارقهم. فهم يتوهّمون وقع أسلحتهم، فيهمّمون بالفرار عن أوطانهم، يقول : —

تتوهّم الكّفار وقع أسلحتهم^٤ فتهمّ عن أوطانهم^٥ بتفكّر^٦ ربّ (٣)

ولم تكن هذه الشجاعة التي تحلّى بها البطل المسلم موجّهة نحو مجد فردى أو قبلي. وإنما هي شجاعة موجّهة إلى خدمة الأمّة، والدّفاع عن الإسلام، وجهاد الكّفار.

ولعلّ أبرز صورة يقدّمها الشّعراء للبطل المسلم، هي صورة المجاهد في سبيل الله. ولا شكّ أن هذه هي الصورة الطبيعيّة لمقاتل تحت لواء الإسلام، ضدّ أعداء^٧ يقاتلون باسم الكفر.

فقد اعتبر الأصمّ المرواني جهاد الخليفة عبد المؤمن للصليبيين في الأندلس استمرارا لجهاد السابقين الأوّلين للكّفار، يقول : —

منه يعاود هذا الفتح ثانيّة^٨ أضعاف ما حدّثوا في سالف الجّقب^٩
ويلبس الدّين غضا^{١٠} ثوب عزّتهم كأنّ أيام بدر عنه لم تفر^{١١} (٤)

ويقدّم ابن المنخل الشّلبّي الخليفة يوسف في صورة إنسان غيور على الدّين. فهو عندما رأى الضيق الذي يعاني منه الإسلام وجّه الخيول الأصيلة الجرداء لقتال أعدائه، يقول : —

لما رأيت الدّين أظلم جوه^{١٢} والحرب قد سدلت عليه قتامها^{١٣}
أقبلتها شمت النّواصي شربا^{١٤} جردا تباري في الغلاة سمامها^{١٥} (٥)

١ — هو أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن، أحد أمراء الموحّدين. كان شاعرا أدبيا ماهرا. وديوانه مطبوع. توفي سنة ٦٠٤ هـ. انظر : — الفصون الياضنة : ص ١٣١ — ١٣٤، الأمير الشاعر : ص ١٢٨، زكريات المشاهير : عدد (١٠) ص ٧ وما بعدها.

٢ — ديوان أبي الربيع : ص ٢٨.
* — ورد في المن ((أوطارهم)) .
٣ — المن : ج ٢ ص ١٧٠.
٤ — المن : ج ٢ ص ١٦١.
٥ — المن : ج ٢ ص ٤٥٩.

والعقيدة هي التي أورت زناد البطولة في نفس الخليفة المنصور عندما رأى الضيم الذي حلّ بالإسلام : —

غضبت وما للدين غيرك ناصراً
شكتر الثغور الخطب لما لم يكن
لضابر الإسلام أن تتملكها
إلا إليك من الخطوب المشتكى (١)
وقد ردّ القاضي أبو بكر بن محمد الزدجاني المعنى نفسه، في قصيدة وصف فيها إحدى غارات الموحدين على الصليبيين : —

خرجت ولإسلام أنة موجه
والجيوش التي وجهها الخليفة يوسف إلى الأندلس، إنما وجهها لنصرة دين الله، كما يقول ابن حريون : —

نصر الله دينه من لدنكم
وقد وصف أبو العباس الجراوي الخليفة المنصور بأنه ((معز الهدى)) وحامي زماره، لذلك فإن السماء تؤيده : —

معز الهدى عليه حامي زماره
معان بإمداد الملائك منزل
يجير على أعدائه البر والبحرا
من المعقل الأسى مناوية قسراً (٥)

وتمتج الفيرة الدينية بالشجاعة الموجهة نحو خدمة الإسلام في شخصيته المجاهد أبي حنيفة، ويظهر ذلك في قول الشاعر : —

ألقى على أهل الضلالة كللاً
فلهم عويل تحت وأنيس (٦)

وقد أبرز أبو العباس الجراوي جهود أبي حنيفة الحق في نصرته دين الله، وإعلاء أمره، حيث قال : —

جاهدتم بالله حق جهاد
ونهضتم بحماية الأديان (٧)

- ١ — ديوان أبي الربيع : ع ٢٨ .
- ٢ — عمو القاضي أبو بكر محمد بن محرز الزمري . من أهل بلنسية . رحل إلى مصر ، كان حافظاً للغة والفريب ، وله شعر رائق . توفي سنة ٦٥٥ هـ . النسخ : ج ٢ ص ٦٦ .
- ٣ — تحفة القادم ، نشر في مجلة المشرق ، بيروت ، مجلد ٤١ ، سنة ١٩٤١ ، ع ٥٧٢ .
- ٤ — المن : ج ٢ ع ٢٨٨ .
- ٥ — شاعر الخلافة الموحدية : الملحق : ع ٧ .
- ٦ — البيان المغرب : ج ٣ ص ٨١ .
- ٧ — البيان المغرب : ج ٣ ع ١٠٤ .

والكرم من الفضائل البارزة التي خلعتها الشعراء على البطل المسلم . وهم إن

يخلعون هذه الفضيلة عليه ، فإنهم يستوحون قيم المجتمع الموحد ومثله العليا ، ويعملون على تقريب صورته — أي البطل — منها .

وقد تعددت مظاهر الكرم في شعير الجهاد . ويمكن حصرها في : — حبّ البذل وسعته ، والكرم وقت الضيق ، والابتهاج بالزوار ، وتقديم المساعدة السريعة إلى المحتاجين . فصورة النابور التي يصيها المقاتل لكثرة وفترته شكرًا ، صورة تقليدية تدل على سعة البذل . وقد اتكأ الشواشر الشلبي على هذه الصورة عندما أشار بكرم عبد المؤمن ، حيث قال : —

تَحْوِي نَدَاهُ الطَّيْرُ فِي وَكِنَاتِهَا فترنُّ ترجيمًا بشكرٍ دائرٍ
عَرَفَتْ عَوَارِفَهُ فَتَشْكُرُ فَضْلَهُ وتدِينُ إعظامًا بحُكْمِ الواجِبِ (١)
وابتهاج المضيف بزواره الذين يأتون ربه معنى تقليدي . وقد استعان بـ
الأصمّ الرواني عندما أشار بكرم نفس الخليفة عبد المؤمن . فهو إذا حلّ الزوار ربه
يهشّ ويهشّر لهم ، ويسعد بعظائمهم ، حيث قال : —

جَمُّ المواهبِ للزَّوارِ مِتْسَمٌ يستفربُ النَّاسُ وقتًا فيه لم يهَسِبِ (٢)
والجواد الحق هو من يسخو بماله في اليسر والعسر ، وكذلك كان عبد المؤمن .
فهو إذا ما ضمت السماء بها ، وأجدت أرض على أهلها ، أفاض على الناس من خيره وماله
رزقًا كثيرًا : —

إِذَا أَجْدَنْتِ أَرْضَ نَحَاها بِجُودِهِ فما أغزَرَ السَّقْيَا ، وما أكرَّ الخَصْبَا (٣)
وقد صور ابن صاحب الصلاة الخليفة عبد المؤمن إنسانًا فياض النفس بالمشاعر
الكريمة ، ورجلا وفيا لأصدقائه ، وجوادا يبذل المال لمن يقصده ، ويقدم الحماية والأمن
لمن يلوذ به ، يقول : —

جَوَانٌّ إِذَا ضَنَّ الْفَمَامُ بِوَيْلِهِ وَصُولٌ إِذَا صَدَّ الصَّدِيقُ الْمَصَادِقُ
أَزَاحَ الرَّدَى عَنْ مَنْ يَلُودُ بِظُلْمِهِ ومثَّ النَّدَى فاسترزقته الخلائقُ
فَفِي ظِلِّهِ أَمْنٌ مِنَ الْخَوْفِ مَا نَعِ وفي كَفِّهِ بحرٌ مِنَ الْجَوْدِ رَازِقُ (٤)

١- النّ : ج ٢ ص ٢١٠ .

٢- النّ : ج ٢ ص ١٦٣ .

٣- النّ : ج ٢ ص ١٥٣ .

*- هكذا ورد .

٤- النّ : ج ٢ ص ١٦٦ .

والكرم الذي يفوق انبجاس الماء من السحاب معنى قديم يدل على السخاء . وقد استوحى ابن جربون هذا المعنى عندما أشاد بكرم الخليفة يوسف؛ هذا الكرم الذي يصدر عن طبع أميل فيه ، يقول : —

له راحة لو أن للفرج جودها — لما ساري في الخصب في الأرض رائد
وطبع تمنى الرافدان لو أنسه — يمد ههما منه معين ورافد (١)

وقد صور الأستاذ ابن سبّ ابتهاج الخليفة يوسف ، وسعادته ، وتهلل أساريه ساعة المطر ، حيث قال : —

يمطي الجزيل ووجهه متهلل — وكذا السحاب إذا تبجس يفرق (٢)
وبنو عبد المؤمن إذا أعادوا فائتهم يمدون عن طيب نفس : —

كرام لهم في الجود أرفع هممة — فما يهبون المال إلا كرائم (٣)
وتفخر العرب إذا أعطت بأنها تبذل أجود ما عندها . وكذلك بنو عبد المؤمن ، فهم إذا جادوا بذلوا أغلى ما يحصلون عليه : —

لا يمدون سوى ما أنضجت لهم — نار الوغى ، وصفايا الزائر مبدول (٤)

وكثيرا ما ربط الشعراء بين الكرم والشجاعة . ولا غرو في ذلك ، فالشجاعة ((والكرم متلازمان ، فالشجاع يقدم على الخطر مضحيا بقوته بل بنفسه ، والكريم يضحي بماله)) (٥) . بل إن بعضهم جعل الشجاع ضد البخيل ؛ ((لأن البخيل يخن بماله ، والشجاع يجود بنفسه)) (٦) .

فهذا شاعر مجهول يشيد بكرم بني عبد المؤمن وشجاعتهم . فهم يسارعون إلى الحرب ، ويضرمون نيرانها ، ويجودون بأنفسهم فيها ، كما أنهم يبادرون إلى الكرم ، ويشبون نيران القرى ، مضحين بما لهم . يقول : —

مساعير في الهيجا مساريح للندى — بأيديهم يحمي الهجير ويبرد
تشب بهم ناران : للحرب والقرى — ويجرى بهم سيلان : جيش وسجد (٧)

١ — المن : ج ٢ ص ٢٤٧ .

٢ — المن : ج ٢ ص ٤٥٦ .

٣ — المن : ج ٢ ص ٣٨٦ .

٤ — المن : ج ٢ ص ٤٢٤ .

٥ — الفتوة عند العرب : ص ٨٨ .

٦ — الفروسيّة : ص ١٢٨ .

٧ — التّفح : ج ١ ص ٦٠٨ — ٦٠٩ .

وكذلك فإن الخليفة عبد المؤمن شذوف بالفتك بالأعداء شغفه بالبذل والمطاوعة :

له سيمة ترتاح للبذل والندي وكذا لتفليق الجماجم وإسحق^١ (١)

أما الخليفة يوسف فهو شديد التملق بالحرب والكرم معا : —

صَبَّ يُوَكِّلُ بِالْوَفَى أَوْ بِالنَّدَى لَا تُرْتَجَى مِنْ وَجْدِهِ مَسَلَاتُهُ (٢)

ومن الفضائل التي خلصها الشعراء على البطان المسلم : التقوى والمعدل .

وهاتان الفضيلتان من القيم التي جاء بها الإسلام، وحث عليها . لذلك فإن المتتبع ((للتاريخ الاسلامي ، ومنذ أمد غير بعيد ، لا بد أن يلحظ أن شخصية القائد الصالح في المجتمع الاسلامي لم تنسلخ يوما عن شخصية الانسان التقي)) (٣) .

لم يخرج الخلفاء الموحدون الأول عن ذلك . فقد كان عبد المؤمن شديدا صارما في أحكام الدين ، كثير التلاوة والخشوع ، أما يوسف فقد كان متحررا للحق والعدل ، مطاردا للظلم والبهني . وأما المنصور فقد كان ذا دين وحسن سيرة ، مقيما للحدود في المسام والخائس (٤) .

أشاد الشعراء بتقوى البطال وعدله . فهذا ابن صاحب الصلاة يمزج بين المعاني القرآنية والمعتقدات الشيعية في الإمامة (٥) ، وعندما أشاد بتقوى عبد المؤمن ، وهذه التقوى التي أضاءت قلبه ، وأنارت سريره ، فكشفت له الحقائق ، يقول : —

وَمَنْ جَعَلَ التَّقْوَى سِرَاجًا لِقَلْبِهِ أَضَاءَ وَلَمْ تُخَجَّبْ لَدَيْهِ الْحَقَائِقُ (٦)

وقد استوحى الشواش السلمي معتقدات الموحدين في الإمامة ، عندما صور الخليفة يوسف نورا يتناقل في الأصلاب (٧) ، ووصف بالبر ، والتقوى والطهارة ، واليمن ، حيث قال : —
بشرى الخلافة إذ تقلد عهدا البر التقي الطاهر الميمون^٨

١ — المن : ج ٢ ، ص ١٦٦ .

٢ — المن : ج ٢ ، ص ٢٦١ .

٣ — صدى الغزو الصليبي : ص ١٥٦ .

٤ — انظر : — زهر الأفنان : ج ٢ ، ص ١٧٠ ، البداية والنهاية : ج ١٣ ، ص ١٩ ، المعبر في

خبر من غير : ج ٤ ، ص ١٦٥ ، مخطوط الاغتباط بتراجم أعمال الرباط : ج ١ ورقة

٢١٥ ، عصر المنصور الموحدي : ص ٤٩ — ٥١ .

٥ — مخي الاسلام : ج ٣ ، ص ٢١٨ .

٦ — المن : ج ٢ ، ص ١٦٧ .

٧ — أعز ما يطلب : ص ٢٤٥ — ٢٤٩ .

*

خَدْنُ التَّقَى وسليل أنوار الهدى أدته عن خير الظهور بطون^(١)
ويقدم ابن حريون الخليفة يوسف في صورة إنسان تقى عابد إذا جنّه الليل ،
وإنسان قوى مهيب إذا أبداه النهار ، حيث قال : —
طيك إذا لآح النهار معظّم وأما إذا جنّ الظلام فمابيد^(٢)
والصبر والتقوى عدة الخليفة المنصور في جهاد الأعداء : —
له عسكري مجر من الصبر والتقوى يرد على أعقابهِ العسكري المجر^(٣)
وقد صور الرضا في البلنسي الخليفة عبدالمؤمن إنسانا ناسكا ، ملهوعا على الورع
والتقوى وصفاء النفس : —
وحيث قامت قناة الدين ترقل في لواء نصر على البرين منشور
في كثر منشمر البردين ذي ورع على التقى وصفاء النفس فطور^(٤)
كما استوحى أبو العباس الجراوي الممى القرآني^(٥) عندما أشار بتقوى الخليفة
المنصور وورعه : —
رأى السبل شتى فاتقاها تورعا وسار على المثل فيسر لليسرى^(٦)
وعدل الحاكم لا ينفصل عن تقواه . وقد أشار الشعراء إلى العدالة الاجتماعية
التي حققها الخلفاء الموحدون ، وتحدثوا عن الآثار التي تترتب على ذلك .
فاطمثان المخلوقات إلى عدل الخليفة عبدالمؤمن ، نزع المداوة من قلوبهم ،
وآلف بينها ، كما يقول الشواش الشلبي : —
وعدك ألف الأشات حنسى تواد الذيب والرشاء الربيب^(٧)

- ١ — المين : ج ٢ ، ص ٢٤٠ و ص ٢٤٢ .
- ٢ — المين : ج ٢ ، ص ٢٤٦ .
- ٣ — شاعر الخلافة الموحدية : المخلق : ص ٨ .
- ٤ — ديوان الرضا في البلنسي : ص ١٢٩ .
- ٥ — سورة الليل : آية ٧ .
- ٦ — شاعر الخلافة الموحدية : المخلق : ص ٧ .
- ٧ — المين : ج ٢ ، ص ٢١١ .

وقد اطمأنت الأمة إلى عدل الخليفة يوسف : فأمن الخائف، وجبر المنهـاض،
وأصلح الفاسد : —

بمـدبر أبي يعقوب يأمن خائفٌ ويجبر منهاضٌ، ويصلح فاسدٌ (١)

وبلغت أحد الشعراء إلى معتقدات الموحدين في الإمامة، عندما أشار بمـدبر
الخليفة المنصور، الذي عمم البسيطة، في الوقت الذي أريد فيه وجه الأرض بالظلم
والظفیان : —

إمام الوری عم البسيطة عدلٌه على حين وجه الأرض بالجور أرسد (٢)

فهذا البيت يستند إلى نظرة الموحدين في الإمامة. فهم يرون أن الإمام سيملا
الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا وظلما (٣). ولا يخفى أنهم بذلك متأثرون بالشيعة.

ومن الفضائل التي خلصها الشعراء على البطل المسلم : الرحمة والرقّة والعطف.
((فالبطل الصارم الشجاع ليس أسدا فراسا، وإنما هو إنسان اتسع قلبه للشجاعة والبأس،
وللرحمة والعطف) (٤).

والرحمة من الفضائل العربية التي تفتى بها الفرسان العرب في الجاهليّة،
وحثّ عليها الإسلام، لذلك فإن من أسماء ربّ العزة : ((الرحمن الرحيم)) .

وقد قدّم الشعراء صورا مختلفة للرحمة عندما أشاروا ببطولة المجاهدين المسلمين .
ويمكن أن نجعلها في : — الصفح عن المخطئين، والمغفوع الأعداء، وإغاثة الملهوف،
والانتصار للمظلوم، والتسهر على مصالح الأمة والعناية بها .

فعمد ما انصر المسلمون على الصليبيين في المهدية، أعطاهم الخليفة عبد المؤمن
الأمان، وعفا عنهم، وأطلق سراحهم، وقدّم السفن لهم حتى يجلووا عن البلاد (٥) . وقد قدّم
الأصم مرواني حمورة مصبرة لفرح هؤلاء الأعداء الذين منّ عليهم الخليفة بالمغفـو،

سا ر الملوّج وفي أعناقهم منسّله من عفو مقتدر للغزو منتدب
مدّوا الأكتف للمصر النجم من فرح وشمروا لوثوب البحر من طرب (٦)

١ — المنّ : ج ٢ ص ٢٤٨ .

٢ — النّفح : ج ١ ص ٦٠٩ .

٣ — أعزّ ما يطلب : ص ٢٥١، نظم الجمان : ج ٦ ص ٧٥—٧٦ .

٤ — البطولة والأبطال : ص ٣٣ .

٥ — المكتبة العربية الصقليّة : ص ٣٣ .

٦ — المنّ : ج ٢ ص ١٦٢ .

وعفو الخليفة عبد المؤمن عن الأعداء السابقين عفو قوي مقتدر لا عفو ضعيف : —

فمفوت عفو القادرين تكرر مـ عنهم، وعفو القادرين جميعاً (١)

وعندما خرج أهل ققصة (٢) على الموحدين وجهوا إليهم جيشاً ضخماً تغلب عليهم. إلا أن الخليفة عبد المؤمن عفا عنهم، وأمر برّد أشيلهم إليهم. وفي ذلك قال أبو العباس الجراوي : —

لم يُغن عنهم إذ أتاهم من عـل أن يحرسوا الأسوار والأبواب مـا

نالتهم رحمى الخليفة بعد مـا * نادى الردى بنفوسهم وأهاب مـا (٣)

وقد عجب ابن سيد الأشبيلي من أناة الخليفة عبد المؤمن وحلمه، وحذّره من عاقبة ذلك الحلم الذي قد يبطلر المعاصين، ويحلمهم على الزلل : —

ما زال يُفضي فيعطي صاغحاً كرماً والصّفح قد يحمل الماصي على الزلل (٤)
وعناية القائد بالرعية وسهره على مصالحها مظهر آخر من مظاهر الرحمة والرفق. فهو إذا كان رؤوفا بأعدائه فمن الأولى أن يكون رحيماً برعيته.

أبرز الشعراء هذه السمة في القادة الموحدين. فالخليفة عبد المؤمن لا يفتأ يهدي الرعية، ويعلمها، ويقدم المشورة لها، كأنه أب عطوف يحنو على أبنائه : —

فأوسعت الأنام ددى يريهم مـا
فأنتم للجميع أب عطوف وـ
معالم دينهم وندى يصوب مـا
وكل في كفاتكم ربي مـا (٥)

وقد أبرز ابن المنخل الشلبي دور الخليفة يوسف في طمأننة الأمة، والدفع عنها، ورعايته إياها، وقيامه على شؤونها، بعد أن كاد الأعداء المصنف بها. يقول : —

لله رعيك في رعاية أمـة
أسكنتها أرسى محل بعد مـا
ذعرت ديات المشركين سوا مـا
كادت تُقوّض للجللاء خيام مـا (٦)

- ١ — البيان المغرب : ج ٣ ص ٤٨.
- ٢ — ققصة : بلدة صغيرة من ناحية المغرب، من عمل الزاب الكبير بالجريدة بينهما وبين القيروان ثلاثة أيام. معجم البلدان : مادة ققصة.
- ٣ — البيان المغرب : ج ٣ ص ١٦٩.
- ٤ — المن : ج ٢ ص ١٥٧.
- ٥ — المن : ج ٢ ص ١٥٧.
- ٦ — المن : ج ٢ ص ٤٥٨.

لذلك فإن وجود هذا الخليفة في الأمة رحمة من الله لها ، كما يقول ابن حريون :
بِمِثْمَ لِهَذَا الْخَلِيفِ أَمْنًا وَرَحْمَةً

على حين لم يلقوا على الأرض راحمًا (١)

وقد ربط أبو الحكم بن رضى البننسي بين أسمى صور الشجاعة ، وأروع مظا هر
العناية بالأمة عندما أشاد بالخليفة يوسف : —

كَيْتَ الْجَنَانِ رَيْطُ الْجَاشِدِ وَرَعِي إِذَا تَعَارَضَ تَأْوِيلٌ وَتَأْوِيلُ
عَلَمًا بَأَنَّ الرَّعَايَا فِي كِفَالَتِهِمْ وَأَنَّهُ عَنْهُمْ لَا بَدَّ صَسْـَـوُولُ (٢)

ولغير اهتمام الخليفة يوسف بالأمة ، وشدة عنايته بها ، فقد بدا كأنه أب حان على
ابنائه ، أو ابن بار بابائه ، كما يقول الاستاذ ابن سيد : —

عَمَّ الْبَرِّيَّةَ رَفْقُهُ فَكَأَنَّهُ لِهِمْ أَبٌ حَانٍ أَوْ ابْنٌ مُشْفِقٌ (٣)

أشارت المصادر الى عناية الخليفة المنصور بالأمة ، وقيامه على أمرها ، وسهره
على مصالحها (٤). وقد كان لذلك أصداء واضحة في الشعر. ولعل في الأبيات التالية
ما يوضح ذلك : —

وَأَضْفَى عَلَى الدُّنْيَا مَلَابِسَ رَحْمَةٍ نُضَارَتْهَا فِي كُلِّ حِينٍ تَجَدُّدُ
وَأَخْضَلَ أَرْجَاءَ الرُّبَا فَكَأَنَّمَا عَلَيْهَا مِنَ النَّبْتِ النَّضِيرُ زِمْرَجُودُ
فَمَنْ طَارِبٍ مَا أَصْبَحَ الْبَرُّ بِاسِمَا وَمَنْ فَرِحَ مَا أَضْحَتِ الْمُنْزُ تَرْعِيدُ
وَعَنَى عَلَى أَفْنَانِ كُلِّ أَرَاكُسَةٍ غَذَاهَا حَيَا النَّعْمَى حَمَامٌ مَفْرَّدُ
وَكَبَّرْ ذَوْ نَطَاقٍ ، وَسَبَّحَ صَامِسَتْ وَكَادَ بِهِ الْمَعْدُومُ يَحْيَا وَيُوجَدُ (٥)

فقد قدمت الأبيات صور معبرة أوضحت مدى عناية المنصور بالأمة ، فهو قد أحياها ،
وأضفى عليها ملابس الرحمة والعطف ، فازدهت الأيام ، وكثرت الأرزاق ، ونمت الخيرات ؛
لذلك فإن مظا هر الوجود عبرت عن فرحها بعهد هذا القائد .

١ — المَن : ج ٢ ص ٣٨٧ .

٢ — المَن : ج ٢ ص ٤٢٣ — ٤٢٤ .

٣ — المَن : ج ٢ ص ٤٥٦ .

٤ — انظر : المعجب : ص ٤٦٢ و ص ٣٦٥ .

٥ — النُّج : ج ١ ص ٦٠٩ .

والبطل في شمر الجهاد واسع العلم، غزير المعرفة، معتن بالفكر، قائم عليه، ولا غرابة في ذلك؛ فالعلم سلاح ما نرى في المعركة.

فقد أشار أبو جعفر بن سعيد بعناية عبد المؤمن بالآداب، وقيامه على أمرها، على الرغم من الكبر الذي يظهره الشعراء، يقول : —

يُقوم على الآداب حق قيامها ويكبر عما يُظهرون من الكبر (١)

وتشير المصادر إلى المجالس العلمية التي كان يقيمها الخلفاء الموحدون فسي قصورهم، وقد أشار ابن حريون إلى تلك المجالس في قصيدة مدح بها الخليفة يوسف، مذكرا بوقيمة السبيكة. وما ورد فيها قوله : —

مجالسهم روضات نجد يُزينها من التور أجناس ترواها وفارسار
مجالس لو ترقى الكواكب نحوها لقد بات تلميذاً لديهم عطاسار
لقد عمّرت بالعلم حتى كأنها لكثرة ذكر الله فيها مساجد (٢)

ويظهر من الأبيات أن العلوم الدينية كانت من أكثر العلوم التي عمّرت بها تلك المجالس؛ فهي لكثرة ذكر الله فيها تحال مساجد.

ولم يكن اهتمام الخلفاء الموحدين مقصوراً على العلوم الدينية، وإنما شمل علوماً أخرى. وقد أشار إلى ذلك شاعر مجهول، فأشار بعناية المنصور بأصول الشريعة وبخيرها من العلوم الجديدة التي لم تعهد من قبل : —

معيد علوم الدين بعد ارتفاعها ومبدي علومها لم تكن قبل تعهد (٣)

ويستشك من البيت اهتمام الموحدين بعلم أصول الدين، وهو اهتمام نابع من دعوتهم إلى الأخذ بالكتاب والسنة، ونبذ كتب الفروع التي راجت على عهد المرابطين. وقد اعتبر الشاعر الخليفة المنصور معيداً تلك العلوم — أي علوم أصول الدين — بعد ارتفاعها، ولا غرابة في ذلك؛ فقد أبدى هذا الخليفة تشدداً كبيراً في دعوة الناس إلى الأخذ بأصول الشريعة، وترك كتب الفروع، لذلك فقد أحرق أعداداً ضخمة من تلك الكتب (٤).

١ — المغرب : ج ٢ ص ١٦٥.

٢ — المن : ج ٢ ص ٢٤٧.

٣ — النسخ : ج ١ ص ٦٠٩.

٤ — المعبر في خبر من غير : ج ٤ ص ٢٨٩، مخطوط الوافي بالوفيات : ج ٢٦ ورقة ٥٢.

وقد استوحى عبد الواحد المراكشي سيرة الخليفة العباسي المنصور وعنايته بالفكر
عندما أشار باهتمام إبراهيم بن أبي يوسف — وهو أحد أمراء الموحدين — بالعلوم،
وقيامه على أمرها، فربط بين الشخصيتين على النحو التالي : —

أُخِيَّتُمُ الْمَنْصُورُ فَهُوَ كَأَنَّهُ لَمْ تُفْتَقِدْهُ مُعَالِمٌ وَعِلْمٌ (١)

ولم يكن العلم بعيداً عن ميدان المعركة، فهو سلاح فعال يعتمد عليه في قتال
العدو. فقد استعمل الخليفة المنصور القلم إلى جانب السيف في جهاد الأعداء كما
يقول ابن ماجر : —

رَأَى الْعِدَاءَ ، وَهُمْ مِنْ دَنَا وَنَأَى فَاسْتَعْمَلَ الْمَاضِيَيْنِ : السَّيْفَ وَالْقَلَمَ (٢)

وقد كان من الخلفاء الموحدين أنفسهم علماء (٣). لذلك أشار الشعراء إلى هذه
النزعة وأفاضوا فيها .

فالخليفة عبد المؤمن علمه بآل للناس جميعاً : —

خَلِيفَةُ اللَّهِ بَادِيَ الْعِلْمِ مَبْتَسِمٌ عَنْ جَوْهَرٍ مِنْ بَدِيعِ النَّظْمِ مُتَخَبِرٌ (٤)

وهو — أي عبد المؤمن — لا يستأثر العلم لنفسه، وإنما لا يزال يهدي الأمة، ويربها
معالم دينها، فإذا دخل عليه الجاهل خرج من عنده عليماً، رشيداً، لبياً : —

وَعَلَّمَتِ الْجَهْلُ فُلِيحٌ إِيَّاهُ عِلْمٌ رَاشِدٌ فَطَنَ لَبِيحٌ (٥)

وأوسعت الأنام هدى يربهم معالم دينهم وندى يصوب (٥)

ولقد أشار الشواش الشلبي إلى النشأة العلمية التي نشأها الخليفة يوسف، حيث
قال : —

غَرَّ لَبِيحٌ ، وَالْعِلْمُ لَدَاتُهُ وَالْمَعْلُومَاتُ كَرَامَتُهُ دَايَاتُهُ (٦)

ولفغر علم هذا الخليفة — أي يوسف — فإن الجاهل إذا دخل عليه خرج من
عنده عالماً : —

فَيُرجِعُهُ عَنْ جَاهِلٍ وَهُوَ عَالِمٌ وَيُرجِعُهُ عَنْ مُعَدِّمٍ وَهُوَ وَاجِدٌ (٧)

- ١ — المصعب : ص ٣٨٧ .
- ٢ — زاد المسافر : ص ٥٣ .
- ٣ — المصعب : ص ٣٠٦ ، مخطوط الحلل السندسية : ورقة ٤٦ ، مخطوط الوافي بالوفيات : ج ٢٦ ورقة ٥٢ .
- ٤ — المن : ج ٢ ص ١٦٣ .
- ٥ — المن : ج ٢ ص ٢١٢ .
- ٦ — المن : ج ٢ ص ٢٦٠ ، وقارن بما ورد في ص ٢٤١ .
- ٧ — المن : ج ٢ ص ٢٤٧ .

والبطل في شعر الجهاد أصيل النسب. والإشارة بنسب الممدوح تقليد شعري نشأ عن اهتمام العرب البالغ بأنسابهم. وقد اختلف المؤرخون القداس في نسب الموحدين: فبعضهم أقر لهم النسب لمربي القيسي الذي ادّعوه (١)، وبعضهم خلع عنهم ذلك النسب، وجعلهم في البربر (٢). أمّا ابن خلدون فرد أصلهم إلى البربر، وجعل نشأتهم فسي العرب (٣).

أنكر الباحثون المحدثون النسب القيسي للموحدين دون أن يعتمدوا في ذلك على دليل علمي، وجعلوا تثبت الموحدين بذلك النسب من مقتضيات الخلافة المهدوية، التي من شروطها النسب الذي يرتفع إلى آل البيت (٤). ومهما يكن من أمر، فهم قسم الإسلام دينهم، والعربية لغتهم.

والمراجع للأشعار التي تعرضت لنسب الموحدين يلاحظ أن الشعراء غالباً ما يمدحون في إشاراتهم بنسبهم عن بيان لحقهم في الخلافة دون غيرهم. مما يعزز القول أن تثبت الموحدين بالنسب القيسي ضرورة سياسية. ولكن ذلك لا يجزم القول فسي نسبهم.

وقد تكون الإشارة بنسبهم إشارة تقليدية خالية من الأغراض السياسية. وقد يستغل بعض الشعراء ذلك في إثارتهم وحشهم على جهاد الأعداء.

فقد استوحى ابن سيّد الاشبيلي تعاليم الموحدين في الإمامة عندما حدث القبائل العربية على الاقتداء بالموحدين، يقول: —

هلاً اقتدوا بسُراة قيس إنّهـا جسامت بمنسُها كريم المنسُـب
ترضى إذا رضى الخليفة دائماً وكذلك إن يفضّل لحق تفضـب (٥)

فالشاعر لم يشد بنسب الموحدين القيسي إلا لكي يحدث القبائل العربية على الاقتداء بهم، والإذعان لهم. وتوضح آثار الفكر الموحد في البيت الثاني عندما دعا الشاعر هؤلاء العرب إلى الرضى المطلق عما يريد الخليفة، لأن الخروج على الإمام كفر كما يرون (٦).

- ١ — نظم الجمان: ج ٦، ص ٣٤، أخبار المهدي: ص ٢١، القرطاس: ص ١٢٢، الحلل الموشية: ص ٨٤، مخطوط الحلل السندسية: ورقة ١٣.
- ٢ — المعجب: ص ٢٤٥.
- ٣ — تاريخ ابن خلدون: ج ٦، ص ٤٦٤—٤٦٥.
- ٤ — الدولة الموحدية: ص ٨٥، عصر المرابطين والموحدين: ج ١، ص ٢٢٢.
- ٥ — اليمن: ج ٢، ص ١٦٩.
- ٦ — أعز ما يطلب: ص ٢٥٢.

والخليفة يوسف حقيق بالخلافة، وجدير بها، لأنه من قبيلة قيس العربية : —

تَسْرِبُهَا مِنْ سَرِّ قَيْسٍ مَحَبَّبٍ^١ إِلَى النَّاسِ مَيْسُونُ النَّقِيبَةِ زَاهِدٌ^(١)

أما الخليفة المنصور فإنه ينحدر من دوحة قرشية شماء، أعلمها في الأرض، وفرعها في السماء، لذلك فهو حقيق بميراث الخلافة : —

هِيَ الدَّوْحَةُ الشَّمَاءُ فِي الْأَرْضِ أَصْلُهَا وَقَدْ زَاخَمَتْ مِنْهَا السَّمَاءُ الدَّوَائِبُ^٢
لَهُ نَسَبٌ قَيْسِيَّةٌ قَرَشِيَّةٌ^٣ تَقْرُلُهَا بِالْمَعْلَوَاتِ الْمُنَاسِبِ^٤
حَقِيقٌ بِمِيرَاثِ النَّبُوَّةِ وَالْمُهِدَى وَلَا عَجَبٌ، إِنَّ الْمَزَايَا مَوَاهِبُ^(٢)

وقد راوح أبو الحكم بن رضى البندلي بين المعاني التقليدية والأهداف السياسية عندما أشار بنسب الخليفة يوسف، حيث قال : —

مِنْ قَيْسِ عَيْلَانَ حَيْثُ الْمُلْكُ مُتَسَرِّقٌ^٥ وَحَيْثُ كُلُّ فِعَالٍ خَيْرٍ مَفْضُولٌ^٦
وَحَيْثُ لِلْأَمْرِ قَسْبًا طَاعَةً دَعَائِمُهُ قَنَا لِدَانٍ، وَأَسْيَافٌ مَقَاصِيلُ*
قَوْمٌ إِذَا مَا رَضُوا فَالْبُرُوحُ حَوْزَتُهُمْ وَإِنْ هُمْ غَضِبُوا فَالْحَوْزَةُ الْفَيْلُ^٧
الْقَائِمِينَ بِأَمْرِ اللَّهِ لُرْهُنٌ* وَلَا كُسَالَى وَلَا عُثْرُهَا بَيْلُ^(٣)

فقد جعل الشاعر الاشارة بنسب المؤرخين، وبما يتصفون به من خصال كريهة، مقدّمة بين يدي غرضه الذي أراد الوصول اليه، وهو القول : إن هذه الفضائل تؤهلهم لحكم المسلمين .

ويتخذ بعض الشعراء نسب المؤرخين وسيلة لاستثارتهم، وحثهم على جهاد الأعداء . ويبدو هذا في الأبيات التالية لابن المخل الشلبي : —

وَرَأَتْ عِدَاةُ اللَّهِ أَنَّ حِمَامُهَا مِنْ قَيْسِ عَيْلَانَ فَكُنْتَ حِمَامُهَا
فَعَلَى رِمَاحِكَ أَنْ تَشَقَّ جِيُوهُهَا وَعَلَى سَيْوفِكَ أَنْ تَفْلَقَ هَامُهَا
وَعَلَى جِيُوشِكَ أَنْ تَدَوِّخَ أَرْضَهَا وَتَدَوِّفِي عَرَصَاتَهَا أَصْنَامُهَا^(٤)

١ — المن : ج ٢ ص ٢٤٦ .

٢ — البيان المفرب : ج ٣ ص ١٥٢ .

٣ — أسيايف مقاصيل : أسيايف قاطعة . لسان العرب : مادة ((فصل)) .

٤ — المن : ج ٢ ص ٤٢٤ .

٥ — المن : ج ٢ ص ٤٥٨ .

ويربط ابن حربون بين أسمى صور الشجاعة الموجهة لخدمة الدين الحنيف، وبين نسب الموحدين، حيث قال :-

إذا ما دعت قيس بدعوة هاشم
ذرت من رماح المعتدين هشايمًا
بنو الملك المرحوب في الأرض كلها
ومن ملا الدنيا للهى وملاحمًا (١)

وقد ينهج بعض الشعراء في إشارتهم بنسب الموحدين نهجا تقليديا خاليا من الأغراض السياسية. ويظهر هذا في قول ابن حربون :-

عليه من سراة بني علي
علي لا يضاف إليه عساب
كسب الحمد مثالي وهوب
كمثل البحر يرجى أو يهب (٢)

وغالبا ما تكون الإشارة التقليدية في القصائد التي قيلت في غير الموحدين. فعندما استشهد قائد الأعنة بيلنسية، قال ابن حزمون موشحة رثاه فيها. وقد خلع عليه مجموعة من الفضائل، من بينها: أصالة النسب (٣).

وعندما استشهد أبو سليمان الكلاعي في معركة أنيسة، أشار ابن الأبار بمناقب الفقيه، ومن ضمنها: أصالة نسبه. حيث قال :-

قضى حامل الآداب من آل يعرب
وحامي هدى المختار من آل هاشم
يمان كلاعي نماء إلى الملقى *
تمام حواء قبل عقد التماسم (٤)

تلك هي أبرز الفضائل والمثل العليا التي خليها الشعراء على البطل المسلم في عهد الموحدين. وقد تبدت فيها البطولة العربية الإسلامية بجانبها الحربي والخلقي والنفسي. فقد صور الشعراء ما كان يمثل حياة أولئك المجاهدين من نشاط فيه الأمل والابتهاج، وفيه الثقة بالنفس، والإيمان بالحق، والارتفاع عن صفائر الأمور، والسمو إلى المثل العليا.

١ - المَن : ج ٢ ص ٣٨٦.

٢ - المَن : ج ٢ ص ٢٦٤.

٣ - انظر: المفرب : ج ٢ ص ٢١٧.

٤ - الذيل والتكملة : ج ٤ ص ٩٢ و ٩٣.

والشعراء إذ يصوّرون أبطالهم شجعانا كراما . . . فإنّهم يستوحون قيم المجتمع الموحدي ومثله العليا ، ذلك المجتمع الذي عمل قارته جاحدين لإحياء روح البطولة والفروسية فيه (١) . وبذلك لم تكن البطولة في شعر الجهاد مجرد فكرة ، وإنما هي بطولة مارستها الجماعة الإسلامية .

ومع ذلك فإنّ الشعراء لم يأتوا بمعان جديدة حين مجدّوا بطولة المجاهدين المسلمين . وإنما هي معان مستوحاة من القيم والمثل العربية الإسلامية . فالعرب منذ جاحليتهم يفخرون بالشجاعة ، والكرم ، والحدم . . .

كما أنّ الإسلام حتّى على التحلّي بالمثل العليا ، وقد تفتّى الشعراء المسلمون بذلك . إلّا أنّ الشعراء المفاربة والاندلسيين أغفوا على تلك المعاني — في بعض الأحيان — لمسات مستوحاة من الفكر الموحدي .

ويلاحظ أن الشعراء لم يكونوا يُعنون بتصوير أبطالهم تصويراً خُلقيّاً ، وإنما اهتموا بإبراز صفاتهم الخُلقيّة والنفسية . وجلّ ما يقولونه عن أجسامهم ، أنّها قوية ، وأنّ وجوههم وضاءة .

ويظهر أنّ الشعراء لم يكونوا يعنون إلا بتصوير بطولة الخلفاء الموحدين الأول . ولا تثريب عليهم ، فقد كان أولئك الخلفاء بحق هم أبطال الصراع بين المسلمين والصليبيين . إلّا أنّ ذلك لا يعني أنّ الشعراء أغفلوا تصوير البطولة الجماعية للجيوش الإسلامية . فهم لم يهملوا البطل وحده ، وإنما صوّروا جماعة المسلمين المجاهدين معه .

ولم يجد الدارس شعراء يمجّد البطولة والأبطال بعد الخليفة المنصور إلّا قليلاً . ولا غرو في ذلك ، فإنّ الخلفاء التاليين لم يحققوا للأمة انتصارات كذلك التي حقّقها الخلفاء الأول . بل أنّ جلّ المعارك التي خاضها المسلمون حينئذ لم يحظوا بسهم وافر فيها . وشعر البطولة لا يميّز إلا في جوّ مفعم بالحماسة والانتصارات الحربية .

وقد مال الشعراء أحياناً إلى المبالغة في تمجيد البطولة . ولملّ ذلك يعود إلى طبيعة الموقف ، وهو موقف حماسي ، وما يكتنفه من أجواء انفعالية تدعو إلى المبالغة في الوصف والقول . وقد تكون المبالغة من الوسائل التي تدرع بها الشعراء للزيادة في المعاني القديمة ، ولإثبات بالمتكر من الشعر ، هذا إذا علمنا أنّ الشعراء أسرفوا في محاكاة الشعر القديم . إلّا أنّه لا يمكن أن نغفل أثر المعتقدات الموحدية في الإمامة حين

تعليل ذلك . فالموحدون يرون — كما يرى الشيعة — أنَّ الامام — وهو البطل غالبا —
يمبى البلغاء عن وعفه ، ويقرون بالمعجز ، وأنَّ أي وصف للإمام يكون ناقصا (١) . لذلك
فإنَّ الشعراء لا بد أنَّ يلجأوا الى المبالغة في وصف البطل حتى يوقوه حقه ، أو يصلوا
إلى شيء من خصاله .

وجملة القول : إنَّ الأمة إذ تخلع على أبطالها معاني البطولة ، فإنَّها تعترف بفضلهم ،
وتقدّر جهودهم ، وتقرّ بتفوقهم وتميّزهم . وقد قدّم الشعراء بذلك صورة عن البطولية
الإسلامية في الأندلس والمغرب في القرن السادس الهجري .

١ — ضحى الاسلام : ج ٣ ص ٢١٦ .

الفصل الثالث

صورة الصليبيين في شعر الجهاد

- أ) عقيدة الصليبيين
- ب) الجيش الصليبي
- ج) تصوير هزائم الصليبيين
- د) القائد الصليبي
- هـ) الصراع الحضاري
- و) حلفاء الصليبيين

صورة الصليبيين في شعر الجهاد

ترك الصراع الذي استمر في الأندلس بين الموحدين والصليبيين زهاء قرن من الزمان صورة خاصة عن العدو الصليبي في شعر الجهاد .

وغالبا ما كان الاتصال بين المسلمين والصليبيين مقصورا على ميدان القتال ، فأثر ذلك في طبيعة الصورة التي قدمها الشعراء المسلمون للأعداء . فقد صوروههم تصويرا يشير الحفيظة . ويبين خطارهم ، ويحذر المسلمين منهم . وهم بذلك يعبثون عن موقفهم ، وبالتالي موقف الجماعة الإسلامية التي ينتمون إليها ، من أولئك المعتدين .

(أ) عقيدة الصليبيين : -

كانت المشاعر الإسلامية تغمر الشعراء وهم ينظمون قصائد هم الجهادية . يظهر ذلك في تركيزهم على عقيدة الصليبيين ، ونعتها بنموت مستوحاة من طبيعة الصراع العقائدي . فقد نعت الشعراء المسلمون الصليبيين بـ ((الشرك)) ووصفوه بـ ((المشركين)) . فهذا أبو المطرف بن عميرة يشير إلى أن ((الشرك)) قد استولى على البلاد ، ورد المسلمين عنها ، مع حبهم لها : -

ويصدنا في ذاك عن أوطاننا مع حبها ، الشرك الذي فيها شكوى (١)
ويقرر موسى بن عرون* أن ((يد الشرك)) قد اجتاحت مدينة إشبيلية ، ودمرت المعالم الحضارية فيها : -

عفت يد الشرك ما شاد الخاليف من قصر ، ومن مصنع ضخم حكى إرم (٢)
أما سفن الموحدين فسترزو* ((الإشرار)) وتدمره : -
تطيرها الريح غربانا بأجنحة الـ حمام البهري للإشرار تكرزوه (٣)

١ - النفح : ج ١ ص ٣١٠ .

* لم نهتد إلى ترجمته .

٢ - البيان المغرب : ج ٣ ص ٣٨٣ .

٣ - النفح : ج ٤ ص ٥٩ ، مخطوط الوافي بالوفيات : ج ٢٦ ورقة ١٧ .

ويؤكد ابن الأثير أن سقوط المدن الإسلامية في أيدي الصليبيين هو سقوط
في يد ((الإشراك)) ، يقول : —

مداين حلّها الإشراك مبتسما جذلان ، وارتحل الإيمان مُبتسما (١)
وعندما ذكر ابن حريون أرض الصليبيين ومعاقلهم وصفها بـ ((أرض المشركين)) ،
يقول : —

واستقدمت للرعب كلّ كتيبة شنت بأرض المشركين مغارها (٢)

لذلك فإن خيل المنصور ستنسف هذه الأرض نسفا ، كما يقول ابن الأثير : —

تهب على الأعداء منها عواصف ستنسف أرض المشركين بها نسفا (٣)

كما نعت الشعراء المسلمون الصليبيين بـ ((الكفر)) ووصفوه بـ ((الكافرين)) .
فهذا الخليفة عبد المؤمن يحدث نفسه ، ويمر أصحابه بفزوة تسيل فيها ((دماء الكفر)) : —
ولا بد من يوم أغر محجـل يسيل دماء الكفر في كلّ مذنب (٤)

ويؤكد موسى بن حرون أن ((الكفر)) هو الذي اجتاحت مدينة إشبيلية واستولت
عليها ، يقول : —

سلبا بها الكفر إذ قلّ النصير بها فمن معز بها الإسلام ما سلم (٥)

لذلك فلا عذر للمسلمين في ترك هذه المدينة مسلمة له : —

لا عذر في تركها للكفر مسلمة إن الزمان وأنتم فيه ماعقما (٥)

وعندما عبر الخليفة عبد المؤمن إلى أندلس سنة ٥٥٥ هـ مدحه ابن سيد الأشبيلي
بقصيدة ذكر فيها حالة الهلع والاضطراب التي انتابت ((أهل الكفر)) منه ، حيث
قال : —

أضحى بكرته الإسلام في جـدل والمشركون وأهل الكفر في جـدل (٦)

وقد صور ابن سيد المالقي (٧) الصليبيين تصويرا يثير الحفيظة عندما وصفهم
بـ ((الكفر)) الذي عثر المسلمين بأنبياءهم بما كان عاجزا عن ذلك فترة من الوقت ،

١ — النفح : ج ٤ ص ٤٥٧ ، تاريخ ابن خلدون : ج ٦ ص ٦٠١ .

٢ — المن : ج ٢ ص ٢٦٥ .

٣ — النفح : ج ٣ ص ٢٣٩ .

٤ — المن : ج ٢ ص ١٢٤ ، البيان المشرّب : ج ٣ ص ٤١ .

٥ — البيان المشرّب : ج ٣ ص ٣٨٣ .

٦ — المن : ج ٢ ص ١٥٨ .

٧ — هو أحمد بن حسن بن سيد الجراوي المالقي ، أحد الأدباء الذين عاشوا في
البلاط الموحيدي . درس النحو والأدب ، وكان شاعرا كاتباً بليفاً . انظر المن :

ج ٢ ص ١٢٧ .

يقول : —

فقد عَصَمَهُمْ ناب من الكفر مُعْضِل وكانوا بكم دجرا وأنياه رُرُ (١)
 وإذا ما ذكر الشعراء أَرْضُ الصليبيين نعمتوها بـ ((أرض الكفر)) ، لذلك فإن المسلمين
 بفتحها يعمدون بها إلى الحق كما يقول أبو الحسين بن صاحب الصلاة : —
 فطائ بأرض الكفر حتى أعادها إلى الحق ، وأنقاد الأبي المشاقق (٢)
 وكذلك فإن جيشهم ((جيش الكفر)) كما يقول ابن الأبار : —
 سرعان ما عاث جيش الكفر وأحرسا عيث الدبافي مفانيها التي كبسا (٣)
 وقد نعت الشعراء الصليبيين بـ ((الضلال)) . فهذا ابن سهل الأندلسي يحسب
 ابن الجرد (٤) على حسم ((الضلال)) وقطاع دابره : —
 فانهض بجذرك في حسم الضلال كما دب السنا في الدجى ، والبر في سقم (٥)
 وقد استوحى أبو المطرف بن عميره المعنى القرآني (٦) عندما أشار إلى إظلام
 نهار بلنسية عندما احتلها الصليبيون الضلال ، بعدما كان ليلا منيرا بهدى المسلمين ،
 حيث قال : —
 قد كان يُشرق بالهداية ليله والآن أظلم بالضلال نهـاره (٧)
 وقد نعت أبو العباس الجراوي الصليبيين بـ ((أهل الضلالة)) في قصيدة وصف
 فيها ما حل بهم عندما فتح المسلمون مدينة بطلموس ، حيث قال : —
 ألق على أهل الضلالة ككـلا فلم عويل تحته وأنـيـن (٨)
 وقد صور الأمير الشاعر أبو الربيع الموحـد الصراع صراعا عقائديا بين ((جيش
 الضلال)) و ((جيش الحق)) في قصيدة مدح فيها الخليفة المنصور : —

- ١ — المن : ج ٢ ص ١٢٨ .
- ٢ — المن : ج ٢ ص ١٦٧ .
- ٣ — النفح : ج ٤ ص ٤٥٧ .
- ٤ — هو حفيد الحافظ الشهير أبي بكر بن الجرد ، وقد اضطلع بدور محمود في حماية
 إشبيلية والدفاع عنها في أواخر العهد الموحدي . انظر : البيان المغرب :
 ج ٣ ص ٣٥٧ و ٣٨١ ، عصر المرابطين والموحدين : ج ٢ ص ٤٧٠ — ٤٧٣ .
- ٥ — ديوان ابن سهل : ص ٨٣ .
- ٦ — سورة النور : آية ٣٥ .
- ٧ — صفة جزيرة الأندلس : ص ٥١ .
- ٨ — البيان المغرب : ج ٣ ص ٨١ .

بجيش الضلال بجيش الحق مهزوم فتقد العزم ان الفتح محتوم (١)
ومن التمرت التي وصف الشعراء بها عقيدة الصليبيين ((الالحاد)) يشهر هذا
في قول ابن سيد المالقي الذي هدد ((أولى الالحاد)) بقوة المسلمين
حيث قال :-

ستلقى بلاد الروم من حتوفهم ————— ويخشى أولى الالحاد من ذكر جهنم (٢)
وعند ما هدد ابن حريون الصليبيين استعار نعت ((ذوي الالحاد)) ووصفهم
به ، حيث قال :-

فالآن قل لذوي الالحاد شأنكم ————— فما لكم دون هذا الأمر ملتحم (٣)
وقد استعان ابن حريون بالمعنى القرآني عندما وصف الصليبيين بـ ((النفاق))
وأشار الى تيقن المسلمين لهم ، وفتنهم بهم ، يقول :-

فليس يصعد شيطان النفاق بها ————— الا تلقاه من خرصانها رص (٤)
ولما كان الصليبيون ملحدين - كما يرى الشعراء - فقد وصف ابن حريون أرضهم
بـ ((أرض الملحدين)) وأشار الى ما نالها من بأس المسلمين ، حيث قال :-

فأن أرض الملحدين لبأسهم ————— ثكلى تمرق صدرها وزر (٥)
وقد نعت أبو موسى بن هرون عقيدة الصليبيين بأنها عقيدة ((تثليث)) . ونسبوا
نعت مستوعى من الأثانيم الثلاثة التي تقول بـ الديانة الثلاثة .

ثارت حفاعه للتثليث فابتعدوا ————— وأيقنوا من سنات العقلة الهمم (٦)
كما نعت القرشي العامري (٧) الصليبيين بـ ((أهل الوثن)) ، حيث قال :-

١ - ديوان أبي الربيع : ص ٣٢ .

٢ - المن : ج ٢ ص ١٣٢ .

٣ - المن : ج ٢ ص ٢٥٥ .

٤ - المن : ج ٢ ص ٢٥٦ .

٥ - المن : ج ٢ ص ٢٦٦ .

٦ - البيان المضرب : ج ٣ ص ٣٨٤ .

٧ - هو ابراهيم بن خلف بن محمد بن فرقد القرشي العامري ، كان متفناً في معارفه ،

محدثاً حافظاً شاعراً ، توفي سنة ٥٧٢ هـ . انظر الاحاطة : ج ٣ ص ٣٦٤-٣٦٧ .

وكانت رباطاً لأعدائهم ^١فعمدت من أجل الأهل الوثنيين (١)
وأخال أن الشاعر قصد بـ ((الوثني)) تمثال السيدة المذراة .

وقد ردد الشعراء ذكر ((الصليب)) في قصائدهم . ولا غرو في ذلك ؛ فهو شعار الحرب التي خاضها العدو ضد المسلمين ليستثير الحماسة الدينية للنعمازي . ولفرط تشبث الأعداء بـ ((الصليب)) ، وفرط تعلقهم به ، فقد نعتهم ابن سيد الأشبيلي بـ ((آل الصليب وحزبه)) ، وتوعدهم ، وهدد بهم بالقتل ، حيث قال : -

لا أين يا آل الصليب وحزبهم حتى يعمم القتل كل مصلحهم (٢)

كما نعتهم ابن حزمون بـ ((ذوى الصلبان)) ، وصور ملاحة خيول المسلمين لهم في معركة الأرك ، حيث قال : -

أذوي الصلبان وراكم خيل الملك الخبر النكر (٣)

نفذ نظراً ابن حزمون وابن سيد الأشبيلي إلى ((الصليب)) باعتباره رمزاً للديانة النصرانية ، وسمة تميز الصليبيين دون غيرهم ، لذلك فإن أحد أهداف جهاد المسلمين ضد أعدائهم تكسير صلبانهم كما يقول أبو بكر بن المنخل الشلبي : -

ضمان عليكم أن تبيحوا حريمهم وأن تكسروا فيها التماثيل والصلب (٤)

وغالباً ما كان هذا ((الصليب)) عزيزاً ، صلباً ، متيناً ، إلا أن ضربات المسلمين أهانت وكسرت . فقد أشار عبد المؤمن إلى الصلبان الكثيرة التي كسرها المسلمون في مدينة المهدية عندما فتحوها سنة ٥٥٥ هـ ، حيث قال : -

وكسرت الصلبان في كل بيعة ونادى نادى الحق في كل مركب (٥)

ويذكر عبد الواحد المراكشي أن إبراهيم بن أبي يوسف (٦) قد سلط بأسه على الصليبيين فكسر صلبانهم : صفيروا وكبروا ، وفتك بملوهم ، وقضى عليهم ، حيث قال : -

١ - الإحاطة : ج ١ ص ٣٦٦ .

٢ - المن : ج ٢ ص ١٧٠ .

٣ - المعجب : ص ٣٧١ .

٤ - المن : ج ٢ ص ١٥٢ .

٥ - المن : ج ٢ ص ١٢٤ البيان المذهب : ج ٣ ص ٤١ .

٦ - سبقت الترجمة له : انظر : ص ٤٨ .

يَذُرُ الصليبَ صَفِيرَهُ وَكَيْسَرَهُ فِيهَا جُذْذًا، وَالْمَلُوحُ جُثُومٌ (١)

وكما كان ((الصليب)) رمزاً للديانة النصرانية، فقد كان له عند بعض الشعراء معنى حضاري، ويظهر ذلك جلياً في البيت التالي من قصيدة لشاعر مجهول قالها عند سقوط بلنسية: —

بأبي مدارس كالتلول د وارس نسخت نواقيس الصليب نداءها (٢)

فقد نظر الشاعر إلى ((الصليب)) باعتباره رمزاً لديانة الصليبيين وحضارتهم، لذلك فإنه اعتبر علوه وانتصار أمته ثلماً للحضارة الإسلامية، وتمكينا للحضارة الصليبية.

١ — المصجب: ص ٣٨٧.

٢ — النّقح: ج ٤ ص ٤٨٠.

(ب) الجيوش الصليبية :-

قدّم الشعراء أثناء حديثهم عن بعض جوانب الصراع العسكري بين المسلمين والصليبيين صوراً مقتضبة للجيش الصليبي، تظهر أنه جيش ضخم كثير العدد. فقد أشار ابن حزمون إلى كثافة الجيش الصليبي الذي اشترك في معركة الأرك، وصور الهيئة التي خرج عليها. حيث بدا جنده متباهين بكثرتهم، ومفرورين بقوتهم، وواثقين من ضخامة جيشهم الذي ضاقت به الأرض. إلا أن المسلمين شدوا عليهم، وفتكوا بهم. يقول :-

جاءوك تضيق الأرض بهم
خرجوا بطراً ورفاء التماس
عددا لم يحصر ولم يقس
لمختلسوا مع خطرهم

*

فأناع الموت كلاكه
وقد صور موسى بن عرون ضخامة الجيوش الصليبية التي تقدمت نحو مدينة إشبيلية لاحتلالها، وأشار إلى العنف الذي أخذ به المعتدون تلك المدينة، حيث قال :-

ويمموا حمصاً في جمع يضيئ بهم
فالحرب بالمشآت ارتج من زعر
زرع الفضاء فسوى الوجد والأكم
والبر بالمرجفات الطاع فاكتمما
واستوطنوا الغبر في الوادي وقام لهم
جسر من الفلك لا تشكو به السامما

*

وقد أحاطت بنا الأعداء فاغرة
عادت سواراً على سور المدينة قد
أفواها تبتغي أرواحنا أعمما
اقتاد عصا * وكم من معصم عصمما (٢)

ويصور التعبير الشعري ضخامة الجيوش الصليبية التي اشتركت في احتلال مدينة إشبيلية. فهناك الجموع البرية الضخمة التي ضاق بها زرع الفضاء، والحشود البحرية الكثيفة التي ارتج لها البحر زعراً.

وقد صور الشاعر بتمبير موح الإمدادات المتتالية التي كانت تصل إلى العدو عن طريق البحر. فقد كان الأعداء دائبين على دعم قوتهم، وشحن الأسلحة، ونقل

١ - المعجب : ج ٣٧١.

* - الوزن مكسور.

٢ - البيان المفرب : ج ٣ ص ٣٨٢ - ٣٨٣.

الجند ، لا يمسه في ذلك سأم أو تعب .

وندرك من الأبيات القسوة التي أخذ بها الأعداء مدينة إشبيلية ، وعنف الحصار الذي ضربوه حولها . هذا وقد كان الحصار من الوسائل القاسية التي لجأ إليها الصليبيون لأرغام المدن الإسلامية على الاستسلام ؛ مثلما فعلوا في مدينة إشبيلية (١) .

وقد صور الشعراء قوة الجند الصليبيين وشجاعتهم ، وخاصة في المواقع التي ينتصر فيها المسلمون عليهم . وهم بذلك يستوحون تقليداً عربياً أصيلاً في وصف قوة الخصم ، وذلك من أجل إبراز شجاعة الجند المسلمين ، وتصوير ضخامة الانتصار الذي حققوه . ويظهر هذا في الأبيات التالية للقائد أبي بكر بن عبد الله بن وزير الشلبلي (٢) . يقول : —

ولما تلاقينا جرى الطعنُ بيننا	فمنا ومنهم طامعون عديداً
وجال غرارُ الهندي فينا وفيهم	فمنا ومنهم قائمٌ وحشيماً
صبرنا ولا كهفٌ سوى البيغر والقنا *	كلانا على درّ الجراد جليداً
ولكن شدّدنا شدةً فتبلّداً	ومن يتبلّد لا يزالُ يحييماً
فولّوا وللبیغر الرّفاق بها هم	عليلٌ ، وللسمر الطنـوال وروداً (٣)

وقد قال الشاعر هذه الأبيات في حرب ظهر فيها على الروم سنة ٥٨٧ هـ (٤) . وقد صور الأعداء جليدين ، صبورين على منازلة الأقران ، يبذلون وسعهم في سبيل النصر . إلا أنه وجنده شدوا عليهم شدة قوية ، تخاذل الأعداء أمامها ، فولوا هاربين ، وقصد أختنتهم سيوف المسلمين ورماحهم .

وقد جرت عادة الشعراء على وصف الجند الصليبيين بالجبن ، والخوف ، والذعر والفرار . ولا تثريب عليهم في ذلك ؛ ((فالانتقاص من شجاعة الخصوم من الأمور التي درجت عليها الشعوب في حروبها)) (٥) ؛ لما لذلك من آثار نفسية تدعو إلى الثقة .

-
- ١ — البيان المغرب : ج ٣ ، ص ٣٨١ .
 - ٢ — من أمراء كتائب إشبيلية المشهورين . توفي بعد حضوره معركة العقاب سنة ٦٠٩ هـ . انظر : النّجّ : ج ٤ ، ص ٣٨١ ، المغرب : ج ١ ، ص ٣٨٢ ، الحلة السّيرا : ج ٢ ، ص ٢٧١ — ٢٧٥ .
 - ٣ — النّجّ : ج ٤ ، ص ٣٨١ . وقارن برواية المغرب : ج ١ ، ص ٣٨٢ ، الحلة السّيرا :
 - ج ٢ ، ص ٢٧٣ .
 - ٤ — الحلة السّيرا : ج ٢ ، ص ٢٧٣ .
 - ٥ — شعر الصراع مع الروم : ص ٢٢٤ .

فصورة النعمان الجافل صورة قديمة تدلّ على الجبن والخوف. وقد اتكأ أبو العباس الجراوى على هذه الصورة عندما وصف فرار الجند الصليبيين في إحدى المعارك، حيث قال :-

جاءوا أسوداً لا تُنهته فانشكوا يحكون في الحرب النعمان المجلّلا

خاموا وراء النهر حتى أنهم * ظنوه مسلولا عليهم مُتصلا

فقد وصف الشاعر إقدام الأعداء وثقتهم بقوتهم، إلا أنهم ولوا مدعورين عند مصالحهم المسلمون بنيران حريقهم. ويتمتعون بهكمي ساخر، صور الشاعر الرعب الذي دبّ في قلوب الأعداء. فهم لشدة خوفهم تمثّل لهم النهر الذي جبنوا وراءه سيفاً مسلولا عليهم.

وإذا كانت ظروف الحرب، بما تولّده من مشاعر جامحة، تدعو إلى الاندفاع والمبالغة في الوصف والقول، فإن نظراً إلى العباس الجراوى في شعر أبي العتّاب المتنبي أوحى إليه بذلك حين وصف رعب الأعداء. يقول :-

ألقت بمن فيها المقاتل طاعةً وإنيابةً، عجباً لها أن تمقلا (١)

فهذا القول يذكر بقول المتنبي التالي :-

ألقت إليك دماء الروم طاعتها فلو دعوت بلا ضرب أجاب دم (٢)

وقد أشار أبو العباس الجراوى كذلك إلى محاولات الصليبيين المتكررة للفرار من معركة فحير، يلقون، حيث قال :-

وكم راموا الفرار من الرزايا ولكن أين من أجل فرار (٣)

كما أشار ابن مجير إلى التجاء الصليبيين إلى الكهوف، واختبأهم فيها من المسلمين، حيث قال :-

أو فارق المضرور منهم كهفاه يوماً فكان له إليه إياب (٤)

١ - شاعر الخلافة الموحّدية : الملحق : ص ٨ .

٢ - ديوان المتنبي : ج ٢ ص ٢٦٧ .

٣ - البيان المضرّب : ج ٣ ص ٤٧ .

٤ - زاد المسافر : ص ٥٣ .

وقد تحدّث الشعراء عن أسلحة العدو حديثاً مقتضياً . من ذلك حديث موسى بن هرون عن ضخامة الأسطول الصليبي . وقد وصف ابن حزمون الخيول المدججة بالسلاح التي استخدمها العدو في المعركة التي استشهد فيها أبو الحملات، قائد الأعنسة في بلنسية، حيث قال : —

إذا رأى الأعلاج	وكيئرا	ثم انبرى يماصع
رأيتهم كالذجاج	منقرا	وسط العرا الواسع
جالت بتلك الفجوج	تحت المفاج الأخصر	
خيولهم في بروج	من الحديد الأخصر	

(١).....

ويقدّم التعبير الشعري صورة ساخرة لجند الأعداء، وقد كرّ عليهم أبو الحملات، فتناثرت صفوفهم في الخلال الواسع، وتبدّت خيولهم مكسبة لباساً سابغاً من الحديد .

وقد وصف أبو المباس الجراوى حصون العدو وقلاعه التي استولى عليها المسلمون من الصليبيين في معركة الأرك . ويظهر أنها قلاع قديمة، منيعة، شاهقة الارتفاع، مورثة عن الآباء والجداد : —

وأسلم مما أثلته جدد	نجوم قلاع تزحم الأنجم الزهرا
من النيرات الزهر ضوءاً ورفعة	ولن لم يسمها كما ولا نسرا (٢)

وقد استعان أبو بكر بن مجبر بالمعنى القرآني عندما أشار إلى مسلك العدو في بثّ الجواسيس والعميون في صفوف المسلمين لاستراق السمع عنهم، إلا أن تيقظ الجنود المسلمين يحول بينهم وبين ذلك، حيث قال : —

هل ربّ منهم في حماكم دارج	إلا وصّب عليه منك عقاب
أو جاء مسترقاً إليكم مارد	إلا وأحرقه هناك شهاب (٣)

ومن الوسائل الفعّالة التي طالما لجأ إليها العدو للفت من عضد المسلمين واضعاف قوتهم في الأندلس العمل على ربّ الفركة بينهم، فهم عندما رأوا تنازع المسلمين،

١ — المغرب : ج ٢ ص ٢١٧ .

٢ — شاعر الخلافة الموحّدية : الطحى : ص ٧ .

٣ — زاد المسافر : ص ٥٣ .

وتفرّق أهوائهم، عملوا جاهد بين بما أوتوا من قوّة على توسيع الشقّة، وإحياء الأحقاد في نفوسهم، ونههوا في ذلك إلى حدّ لو استطاعوا أن يحييوا الأحقاد بين الأمسوات لفعلوا. وقد أشار إلى ذلك موسى بن شرون، حيث قال: —

لَمَّا تَفَرَّقَتِ الْأَهْوَاءُ وَاضْطَرَمَّتْ	نَارُ الْبَغَاةِ فَقَامَتِ لِلرَّدَى عِلْمًا
وَنَوَّعَ الْأَمْرَ أَهْلُوهُ وَقَامَ بِهِرَمٌ	مَنْ لَمْ يَجِدْ قَدَمًا غِيَهُ وَلَا قَدَمًا
ثَارَتْ حَفَائِظُ لِلتَّثْلِيثِ فَاِبْتَدَرُوا	وَأَيَّقُظُوا مِنْ سَنَاتِ الْفَقْلَةِ الْهَيْمًا
وَأَنْشَرُوا مِيتَ الْأَحْقَادِ بَيْنَهُمْ	وَلَوْ أَطَاعُوا لِمَمْرِي أَنْشَرُوا الرَّمَمَا (١)

(ح) تصوير هزائم الصليبيين : —

رسم الشعراء صورة دموية لهزائم الصليبيين . وهي صورة يرى فيها منظر الفرار ، والقتل ، والأسر ، والسبي ، والتخريب ، والتدمير . ولا غرابة في ذلك ؛ فالصراع بالصراع العنيف . وأبى عنف يفوق تمليك رؤوس القتلى بأبواب المدن (١) .

انعكس عنف الصراع على معاني القصائد ، بحيث أضحي التفني بقوة المسلمين ، والفتك بالأعداء ، وإلحاق الهزائم بهم ، سمة مميزة لهذا الشعر .

والصورة العامة لهزائم الصليبيين ، هي صورة جيش يجبن في المعركة ؛ فيولّي الأدبار ، فتلاحق جيوش المسلمين ، وتفتك به ، وتأسر من نجا من القتل منه .

فالقتلى الذين يكثرون الحصى صورة قديمة استوحاها أبو العباس الجراوي عندما أشار إلى كثرة قتلى الصليبيين في إحدى الممارك . يقول : —

عدد المصرع منهم عدد الحصى ديهات أن يحصى وأن يتحصّلاً
كم أجدل منهم أدل بيأسهم ما هم أن ينقصر حتى جُذلاً (٢)

وصورة القتلى الذين تناثرت أشلاؤهم فوق الهضاب ، فأكلت منها سباع الأرض حتى شبعت صورة قديمة أيضاً . وقد اتكأ ابن حريون على هذه الصورة عندما تحدّث عن كثرة قتلى الأعداء : —

قريتم سباع الأرض منها فأصبحت كأن رباها للموافي موائيد

كتائب كالخامات خاموا فأصبحوا * وهم للسيوف المرحفات حصائد (٣)

وكما ارتبطت صورة القتلى قديماً بالسبع ، فقد ارتبطت بالطيور القشاعم التي تطير بالأشلاء . وقد استحوذت هذه الصورة على أبي العباس الجراوي عندما وصف قتلى الصليبيين في معركة الأرك : —

ألف غدت مأهولة بهم الفلا وأست خلاء منهم دورهم قفرا
ودارت رحي الهيجا عليهم فأصبحوا هشيماً كحينا في مهب الصبا يذرى
ياير بأشلاء لهم كل قشعم فما سئت من نشر غدا بطنه قفرا (٤)

١ — انظر : المن : ج ٢ ص ١٩٨ .

٢ — شاعر الخلافة الموحدية : الطلق : ص ٨ .

٣ — المن : ج ٢ ص ٢٤٩ .

٤ — البيان المغرب : ج ٣ ص ١٩٧ ، شاعر الخلافة الموحدية : الطلق : ص ٧ .

وقد قدّم أبو الحكم بن رضى البلنسي صورة د مويّة لقتلى الأعداء في معركة السبيكة .
فمن أشلاء ممزقة ، وحامات مفلّقة ، إلى جسد مفوّود ، وجسم مشكول : —
سائلٌ بفزناطة عنهم ومرسيلٌ فر فعنهم خبرٌ في الناس منقـولٌ
يجبك هامٌ وأشلاء ممزقة في في كلّ قاع ومفوّودٌ ومشكولٌ (١)

ويرتبط حديث الشعراء عن هزائم الروم بوصف التدمير والتخريب الذي يلحق
ديارهم بعد الطارك . فقد صور أبو الربيع الموحّد ديار الصليبيين خاوية على عروشها ،
بعد أن دمّرها المسلمون ، وحجّرها أهلها خوفا منهم : —

هذي ديار العدا يبابٌ تقوي بأرجائها الذئبابُ
أجلّى من الخوي ساكنوها فمها النهب والخراب (٢)

وقد ظلّت غيول المسلمين في معركة الأرك تلاحق فلول المهزمين : فجاست
خلال ديارهم ، وعاشت فيها ، ولم تترك مكانا إلا داسته ، ممّا جعل الأعداء يلجأون إلى
الجبال الشامقة ، يحتمون بها : —

جاست جنبات الكفر فلم تترك لهم ما لم تجر
لم يبق بها مئوى رجـل إلا وعليه شذى قـر
لحقوا بقرن الشم فـلا سقيا لطلولهم السـر (٣)

وقد أشار الشعراء إلى أسرى الصليبيين ، وجلّ ما قالوه عنهم : أنهم سلّموا
أنفسهم إلى المسلمين ، وأنهم من فضلات القتل ، ولم يكن من السهل التغلب عليهم
من قبل : —

أتتكَ أسارى الروم وهي أقلها
وما كان قبل اليوم سهلاً مرأها
فمن فضلات القتل ينتجع الأسرى
ولكن علا الإسلام ما تضح الكفر (٤)

-
- ١ — المن : ج ٢ ص ٤٢٧ .
 - ٢ — ديوان أبي الربيع : ص ٣٥ .
 - ٣ — المعجب : ص ٣٧٠ .
 - ٤ — البيان المغرب : ج ٣ ص ١٧٧ .

ومن الصمد التي يفرّ منالها في شمر الجهاد ، صورة السبايا الصليبيّات .
وقد أشار ابن حزمون إلى وقوع بعضهن في أيدي المسلمين في معركة الأرك ، حيث
قال : —

سهر الموتور وأرقسه	تذكر المنصل والمُرسر
وبكاء عقال هاتفة	كالورق ينحن مع الفلّس
برزت وكان ذوائبها	أزناج رومحة شمّس
ترنو كظباء الرمل على	وجلّ لضراغة شمس
قد كنّ مها أنس ففدت	تحت الرايات بلا أنس (١)

فالشاعر يصور وجد القائد الصليبي على السبايا الصليبيّات اللواتي أسرنّ المسلمون
في معركة الأرك . ويظهر أنّهن قد استهوين الشاعر ، لذلك فقد جنح إلى ألفاظ الفزل
عندما وصفهن .

(د) القائد الصليبي :-

وقد تحدّث الشعراء عن القادة الصليبيين ، ونعتوهم بنعوت متفرقة ، والقادة الذين ورد ذكرهم فيما وصل إلينا من شعراء الجهاد هم :-

((الملج الذميمة الأقرع حفيد البرهانس)) (١). وقد وردت الإشارة إليه في قصيدة أبي الحكم بن رضى البلنسي ، حيث قال :-

حالت على ابن عبيد* بعد أقرعه بها فأردتها رجاجة جـول (٢)

وبهذا اللقب ((الأقرع)) عرفته الرواية الإسلامية (٣). و ((الأقرع)) هذا من قواد الفونسو السابع. وقد كانت له مواقف مشهورة قتل فيها كثيرا من الخلق. لذلك فإن اسمه قد رسخ ولا يعرغ أبناؤه وحفدته إلا به (٤).

الفونسو ابن الرّيك (٥) : وقد قام هذا القائد بسلسلة من الاعتداءات على أراضي الأندلس ، استطاع فيها الاستيلاء غدا على بعض المدن في الغرب (٦) وهو من القادة

١ - المن : ج ٢ ص ١٩١ .

* - ابن عبيد : هو صهر ابن مردنيش وأحد معاونيه . المن : ج ٢ ص ١٩٩ .

٢ - المن : ج ٢ ص ٤٤٧ .

٣ - القرطاس : ص ١٩٦ .

٤ - المن : ج ٢ ص ١٩١ تعليق رقم (()).

٥ - هو الفونسو إنريكيث ملك البرتغال . وتصفه الرواية الإسلامية بصاحب ((قلمورية)) ، أو ((قلمرية)) ، أو ((قلنبرية)) ، أو ((قلنبرية)) . وتسميه كذلك ((ابن الرّيق)) أو ((ابن الرّيق)) أو ((ابن الرّيك)) . وقلمرية : هي عاصمة البرتغال . انظر : أعمال الأعلام ، ج ١ ص ٥١ ، الاحاطة : ج ١ ص ٣٠ . المصجب : ص ٣٠٠ و ص ٣٣٣ و ص ٤٠٠ ، الدليل والشكلة : ج ٥ ص ١٩١ ، صفة جزيرة الاندلس : ص ١٠٦ و ص ١١٤ و ص ١٦١ ، الروض المصطار : مادة قلمرية ص ٤٧١ ، مختاروط الحلل السندسية : ورقة ٤٥ ، البيان المفرب : ج ٣ ص ٧٨ ، التاريخ الأندلسي : ص ٤٦١ ، الحلة السيرا : ج ٢ ص ٢٠ ، المن : ج ٢ ص ٥٢ ، ص ٢١٦ و ص ٣٧٢ و ص ٥٢٦ .

٦ - الحلة السيرا : ج ٢ ص ٢١٧ .

الصلبيين الذين اشتركوا في معركة الأرك (١).

وقد وردت الإشارة الى هذا القائد بكنية ((ابن الرّيق)) في قصيد لابن المنخل الشّليبي ، قالها سنة ٥٥٥ هـ : -

أقيموا الى ابن الرّيق بعد صدورها وليس عليكم أن تروى ضمراً قباً (٢)

كما أشار اليه ابن حريون في قصيدة قالها سنة ٥٦٤ هـ بكنية ((ابن الرّك)) : -

وكيف رأى ابن الرّك مركباً بغيّة إذا اعتاز من دهم الجياد الأدهما (٣)

ومن القادة الصليبيين الذين ورد ذكرهم فيما وصل إلينا من شعر الجهاد ابن ريمند . فقد ذكره ابن المنخل الشّليبي في قصيدة قالها سنة ٥٥٥ هـ : -

فقل لابن ريمند تأمّجّب لفوزة يسدّ عليكم جيشها الأفتح السّهباً (٤)

ولم يستطع الدّارس أن يتبيّن المقصود بهذه الكنية . فقد يكون المقصود فرانده الثاني بن الفونسو ريمونديس ، المعروف بـ ((الببوع)) (٥) . وقد يكون المقصود حاكم أرغون ، رُمند بن بَلَنْقِير الرابع ((ريموند برنجير)) (٦) .

والذي أوقع الدّارس في هذا الالتباس أن كلا هذين القائدين كان حيّاً عندما قيلت القصيدة ، وأن كليهما كان يوجّه الضربات إلى البلاد الإسلاميّة (٧) .

-
- ١ - مخدّوط الحلل السندسية : ورقة ٤٥ .
 - ٢ - المَن : ج ٢ ص ١٥٢ .
 - ٣ - المَن : ج ٢ ص ٣٨٥ .
 - ٤ - المَن : ج ٢ ص ١٥٤ .
 - ٥ - حكم ليون . والببوع لقبه . ومعناه كثير اللعاب ، أو الأحمق . وقد هاجمته جيوش المسلمين في قاعدة السّبطاط . توفي سنة ٥٨٤ هـ . انظر : - المعجب : ج ٢ ص ٤٠٠ و ج ٤٥٣ ، المَن : ج ٢ ص ٢١٩ - ٢٢٠ ، عصر المرابطيين والموحدين : ج ٢ ص ٤٦١ .
 - ٦ - وجه ضربات عنيفة إلى الشّرق الأعلى في الأندلس . توفي سنة ٥٥٨ هـ ، انظر : عصر المرابطيين والموحدين : ج ١ ص ٤٦٩ - ٥٠٢ .
 - ٧ - عصر المرابطيين والموحدين : ج ١ ص ٤٦٩ - ٥٠٢ و ج ٢ ص ٤٦١ .

وقد ذكر هذه الكنية كذلك، أبو العباس الجراوي في قصيدة قالها في غزوة للمنصور (١) : —

جَمَحَ ابْنُ رِيْمَنْدُ فَرَدَّ جَمَاحَهُ
عَزَمَ لَوْ اعْتَمَدَ الرُّوَاسِي زُلْزَلَا (٢)

ومن غير الممكن أن يكون المقصود بهذه الكنية هو فِرَّانْدَه البهوج، لأنَّه مات سنة ٥٨٤ هـ، والخليفة المنصور لم يبدأ جهاده في الأندلس إلا بعد سنة ٥٨٦ هـ (٣).

وهنا يبقى احتمالان حول المقصود بابن ريموند. الأول : أن يكون المقصود الفونسو الثاني من ريموند بن بلنكير الرابع حاكم أرغون (٤). والثاني : الفونسو الثامن ملك قشتالة (٥). إلا أن مجريات الأحداث آنذاك ترجح أن يكون الفونسو الثامن هو المقصود بابن ريموند، وقد كتبه الشاعر بذلك نسبة إلى جده الفونسو ريموند يس. فقد كان له راع محتدم ما بين الموحدين وبين الصليبيين بقيادة هذا الفنس، ووصل ذروته في معركة الأرك (٦). ولا يستبعد الدارس أن تكون القصيدة التي ورد فيها ذكر ابن ريموند قيلت في معركة الأرك، فمما نلاحظه فيها توحى بذلك (٧).

وقد كان الفونسو الثامن من أشد ملوك الصليبيين وطأة على المسلمين : فهو الذي قاد معركة الأرك، وهو الذي قاد معركة العقاب (٨). وقد تردد اسم هذا القائد في شعر الجهاد كثيرا بلقب ((الفنس)) (٩).

- ١ — شاعر الخليفة الموحدي : الطحق : ج ٨.
- ٢ — المرجع السابق : ج ٩.
- ٣ — البيان المغرب : ج ٣ ص ١٧٧.
- ٤ — توفي سنة ٥٩٣ هـ. عصر المرابطين والموحدين : ج ٢ ص ٦٠١.
- ٥ — مات والده وهو طفل، فحكم البلاد تحت الوصاية، لذلك فإنه يعرب ((أذ فونش الصغير)) كما يعرب باسم ((الفونسو الهنش بن شانجه بن الهنش، إنبرزور)) توفي سنة ٦١١ هـ. انظر : الإحاطة : ج ١ ص ٣٨٣، المن : ج ٢ ص ٣٧١ و ج ٣ ص ٣١٧، عصر المرابطين والموحدين : ج ٢ ص ٥٨٣.
- ٦ — البيان المغرب : ج ٣ ص ١٩٢—١٩١.
- ٧ — انظر القصيدة في : — شاعر الخليفة الموحدي : الطحق : ج ٩.
- ٨ — المصجب : ج ٣ ص ٣٩٩، الإحاطة : ج ١ ص ٣٨٣.
- ٩ — انظر : المصجب : — ص ٣٧٢، البيان المغرب : ج ٣ ص ١٩٧.

ومن القادة الصليبيين الذين ذكرهم الشعراء في قصائد هم ((هِرَانْدُءُ بَنُ الْهَنْشُءِ)) (١) . وقد أنفق هذا القائد شطراً كبيراً من حياته في محاربة المسلمين ، واستطاع أن يحتل عدداً كبيراً من المدن الكبرى ، مثل : قرطبة وإشبيلية (٢) . وورد ذكر هذا القائد في قصيدة لموسى بن هرون في رثاء إشبيلية : -

فزعم أن فنش بأن الحصر يهلكها
والله يكذب ما روى وما زعماً* (٣)

والصورة العامة للقائد الصليبي في شعر الجهاد ، هي صورة قائد غوي ، يجهل أساليب القتال وخططه ، فيقود جنده إلى المهالك . وإذا ما جدّ الجدّ ترى هذا القائد قد ولّى هارباً ، غير مكترث بشيء ، إلا النجاة بنفسه . وغالباً ما ينجو من الموت فيعيش باقي حياته ذليلاً ، مهاناً ، تتقطع نفسه حسرات .

وقد ظهرت هذه المعاني واضحة في الأبيات التالية التي تصف هزيمة الغنصش ملك قشتالة في معركة الأرك : -

لقد أورد الأذفنشُ شيعته الردى
حكى فعلُ ابليس بأصحابه الأولى*
أطارت شداًت تولّى أمامها

وساقهم جهلاً إلى البطشة الكبرى
تبرأ منهم حين أورد هم سُدراً
شريداً ، وأنسته التعاظم والكفرا

*

تعوذ بالركز الحثيث من الردى
وقد أوردته الموت طعنة نائس
وما صبر من أفنى الزمان مماته

فلو سابق الأرواح*** عادرها حسراً
ولن لم يفارق من شقاوته العُمر
وجرعه من فقه أنصاره صبراً

فقد قدّم الشاعر في هذه الأبيات صورة حيّة للقائد الصليبي في معركة الأرك . وهي صورة فيها من البلاء قدر ما فيها من السمات والاستهزاء ، الهدى منها الإزراء بهذا القائد ، والانتقام من قدره ، وخلق حالة من عدم الثقة به . ولم يغفل الشاعر تصوير الآلام النفسية التي يعاني منها هذا القائد ، فهو يتجرّع كؤوس الألم والحزن على

١ - هو فرانه الثالث ملك قشتالة وليون . توفي سنة ١١٥٠ هـ . الإحاطة : ج ١ ص ٣٨٣

و ع ٥٥١ ، أعمال الأعلام : ج ٣ ص ٣٣٢ .

٢ - التكملة : ج ٢ ص ٩٠٣ ، الإحاطة : ج ١ ص ٥٥١ .

* - الوزن مكسور .

٣ - البيان المغرب : ج ٣ ص ٣٨٤ .

*** - هكذا ورد . والصواب ((الألى)) .

*** - الأرواح : جمع الريح .

فقد أنصاره .

ويمعن الشاعر في تهكمه وسخريته من هذا القائد ، حين يصفه بالفرور والفدر والفي ، وينصحه باعتزال الحكم ، لأن ذلك هو السبيل الوحيد إلى نجاته ، والحفاظ على حياته : —

فكيف رأى المفترع عبي اغتزاره وكيف رأى الفدار في غيه الفدرا

إذا نزعته الروم كانت نجاته * وقد أحرق جمر المنايا به غدرا (١)

وإذا كان الشاعر في الأبيات السابقة قد أزرى بالقائد الصليبي وحط من قدره ، فإنّه في الأبيات التالية يصور خطورته على بلاد الاسلام قبل هذه المعركة : —

تضحّض في وقت من الدهر بحرّه وقد ضاقت الاتفاق من فيضه دهرًا
وكان يرى أقطار أندلس لسه متى يرم لم يخطئ بأسمهم قطّرا (٢)

والقائد الصليبي — غالبا — قائد غير مجرب ، كثير الأخطاء . فقد أزرى أبو المباس الجراوى بآبن ريمند بمد أن هزمته جيوش المسلمين بقيادة الخليفة المنصور ، ووصفه بكثرة الهفوات التي كانت سببا في هزيمة وتدمير بلاده : —

جمح ابن ريمند فكف جماحه عزم لو اعتمد الرواسي زلّزا

يا حثّ به هفواته والمسا * بدّ له من أن يغير إذا غسلا
رأت معالمه الخراب مجاهلا وصفاء كدرا وجدته بكلا (٣)

واستثارة لمشاعر المسلمين ، فقد وصف الشمر القادة الصليبيين بالظلم والطغيان ، وصوّروا إصرارهم على احتلال الأندلس : —

ما محاسنها طامع أتيح لها ما نام عن هضمها حينًا ولا نمسا (٤)

هكذا

١ — هكذا ورد الشطر الثاني ، وهذا لا يستقيم المعنى ، ويظهر أن فيه تصحيف
ويبدو أن الصواب هو ((وقد أحرق جمر المنايا به غدرا)) و ((غدرا)) جمع
غدير .

٢ — البيان المغرب : ج ٣ ص ١٦٧ — ١٦٨ ، شاعر الخلافة الموحّدية : الطحّاق :
ص ٧ — ٨ .

٣ — شاعر الخلافة الموحّدية : الطحّاق : ص ٨ .

٤ — النفع : ج ٤ ص ٤٥٨ ، تاريخ ابن خلدون : ج ٦ ص ٦٠٣ .

(هـ) الصراع الحضاري :-

جاء المقاتل الصليبي إلى بلاد الاسلام، وهو يحمل عداوة أصيلة لكل ما أنتجته الحضارة الاسلامية في الأندلس. فعندما دخل الصليبيون بلنسية عاشوا فيها فسادا، وحولوا مساجدها كنائس، ونالها أنواع كثيرة من الاضطهاد، تعدى الأحياء إلى الأموات في قبورهم، فنبشت^(١).

وبعد استسلام مرسية صلحا لجائيش بن بطريرك ملك أرغون سنة ٦٦٤ هـ (٢) دخلها بجيشه، فتركها أهلها، وخرجوا بأمان إلى الرشاقة^(٣)، فسكنوا بها مدة من عشرة أعوام، إلى أن كان من أمرهم ما كان حين أخرجوهم في سنة ثلاث وسبعين، وغدروهم في الطريق أجمعين... غصبوا النساء والأطفال، وقتلوا جميع الرجال. وقد كانوا أخرجوهم بالأمان دون سلاح^(٤).

وبعد وقعة العقاب، ((فصل الأذفنش - لعنة الله - عن هذا الموضع بعد أن احتلّت يدها وأيدي أصحابه أموالا وأمتعة من متاع المسلمين، فقصد مدينتي بياسة وأبذة^(٥)، فأقام بياسة فوجدوها أو أكثرها خالية، فحرق أديرتها، وخرب مسجدها الأعظم. ونزل على أبذة، وقد اجتمع فيها من المسلمين عدد كثير من المهزومة، وأهل بياسة، وأهل البلد نفسه، فأقام فيها ثلاثة عشر يوما، ثم دخلها عنوة، وسبى وغنم، وفصل هو وأصحابه من السبي من النساء والصبيان)) (٦) بأعداد كبيرة، فكانت هذه أشد مسن المهزيمة على المسلمين.

أما أهل إشبيلية، فقد نالهم من أذى الصليبيين شيء كثير. فقد جرّوهم ((كأس الحمام، من كثرة المجاعة وعدم الطعام، فكل منهم في بحر المنايا غاص وعام، ممن حل بهم من الأوجال والآلام... غسلوا لهم المدينة، وخرج منها الخاضع من أهلها والعام)) (٧).

- ١ - التكملة : ج ٢ ص ٤٧٩.
- ٢ - الحلة السيرة : ج ١ ص ٦٣، ج ٢ ص ٣١٦. وقارن بما ورد في البيان المغرب : ج ٣ ص ٤٣٨، التكملة : ج ٢ ص ٦٥٢.
- ٣ - الرشاقة : من متفرجات مرسية المشهورة. المغرب : ج ٢ ص ٢٤٦.
- ٤ - البيان المغرب : ج ٣ ص ٤٣٨.
- ٥ - أبذة : مدينة صغيرة في الأندلس على مقربة من الوادي الكبير. بياسة : - بينها وبين جيان عشرون ميلا. وهي على كدية من التراب مطلة على النهر الكبير. الروض المعطار : مادة أبذة، ص ٦، ومادة بياسة، ص ١٢١ - ١٢٢.
- ٦ - المعجب : ص ٤٠٢ - ٤٠٣. وانظر : الروض المعطار : مادة أبذة، ص ٦.
- ٧ - البيان المغرب : ج ٣ ص ٣٨٥.

هذه بعض أعمال الصليبيين في المدن الإسلامية التي كانوا يحتلونها ، وهي أعمال
تصور مدى الحقد الذي ملأ قلوبهم على الإسلام وأهله .

صوّر الشعراء التدمير والتخريب الذي ألحقه الأعداء بالحواضر الإسلامية في
الأندلس . وغالبا ما كان ذلك في مواقف الاستنجاد والرشا ، فلهيهم بذلك يشيرون
إليهم ، ويحرّكون المزائم ، ويلهبون المشاعر .

فقد أغار الصليبيون على بلدة سهيل (١) وخربوها ، ودّمروا معالمها ، وعاشوا فيها
فسادا ، وشردوا وقتلوا كثيرا من أهلها (٢) . وقد صوّر ذلك العالم المتقن أبو القاسم
عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي الأعمى في مقموعة قالها : —

يا دار أين البيـــــــــــــــر وال آرام	أم أين جيران علي كرام
راب* المحب من المنازل أنسه	حيّا فلم يرجع اليك سلام
دمعي شهيدى أتى لم أنسهم	إن السل على المحب حرام*
لما أجابني الصدى عنهم ولم	يلج المسامح للحبيب كلام
طارحت ورق حمامها مترنما	بمقال سب والدموع سجام
((يا دار ما فعلت بك الأيام	فما منك والأيام لست تضام)) (٣)

والمقموعة تنضح بالمشاعر الحارة الأصيلية ، وتعبر عن لحظة عاطفية عميقة ، وتصور
حرقة الشاعر ووجدته على بلدته التي هاجمها الصليبيون ، ودّمروا معالمها ، حتى أنها
بدت حواء قواء لا حياة فيها .

وعندما سقطت بلنسية في أيدي الصليبيين جعلوها دكا ، فقد دّمروا معالم الحضارة
الإسلامية فيها ، وهجروا أهلها ، وقتلوا كثيرا منهم (٤) . ألهم ذلك عواطف الشعراء
فطفقوا يرثون هذه المدينة ، ويبكون ما حل بها . ومن هؤلاء أبو المطرف بن عميرة الذي
قال : —

١ — سهيل : من أعمال مالقة . مخطوط التحليل السندسية : ورقة ٨٢ .

٢ — مخطوط الوافي بالوفيات : ج ١٦ ورقة ١٠ .

* — ورد في الوافي ((دار)) .

* — لم يرد البيت في المصرب .

٣ — مخطوط الوافي بالوفيات : ج ١٦ ورقة ٩٠ ، المصرب : ج ٢ ص ٤٤٨ ، النفح : ج ٣
ص ٤٠٠ .

٤ — انظر : التكملة : ج ٢ ص ٤٧٨ ، عصر المرابطيين والموحدين : ج ٢ ص ٤٥٠ .

قُلْ كَيْفَ ثَبُتُ بَعْدَ تَمْزِيقِ الْحَدَا
آثَارُهُ، أَمْ كَيْفَ يَدْرِكُ شَارُهُ؟
مَا كَانَ ذَلِكَ الْمَصْرُ الْآجِنَّةُ*
لِلْحَسَنِ تَجْرَى تَحْتَهُ أَنْهَارُهُ

*

قَدْ كَانَ يَشْرَنُ بِالْمَدَايَةِ لَيْلُهُ
وَدَجَا بِهِ لَيْلُ الْخَطُوبِ فَصَبَحَهُ*
وَالآنَ أَظْلَمَ بِالضَّلَالِ نَهَارُهُ
أَمَّا عَلَى أَبْصَارِنَا إِسْفَارُهُ (١)

ويستشف من هذه الأبيات التي بدا فيها الشاعر يائسا من إصلاح حال المسلمين في الأندلس، مدى التخريب الذي ألحقه الصليبيون بمدينة بلنسية الإسلامية : فقد مرقوا آثارها، وبدلوا معالمها، وعفوا ربوعها، بعدما كانت جنة آمنة واعدة، ومرتما للحسن والجمال.

وقد بحث شاعر مجهول إلى أمير اغريقية أبي زكريا الحفصي (٢) قصيدة يحثه على القدوم إلى الأندلس لإنقاذها من خطر الصليبيين. وقد قدم الشاعر في قصيدته صورة لبعض مظاهر الصراع الحضاري بين المسلمين والصليبيين، حيث قال : —

بأبي مدارس كالطلول دوارس
نسخت نواقيس الصليب نداءها هـا
ومصانع كسف الضلال عباها
فيخاله الرأي إليه مساءها هـا
راحت به الورقا تسمع شدوها
وفدت ترجع نوحها وبكاها هـا (٣)

فقد رأى الشاعر في احتلال الصليبيين لمدينة بلنسية ثلثة للحضارة الإسلامية في الأندلس، وصور جزعه وتضايقه من إعلان شعائر الفرنجة في تلك المدينة، وتحدث عن سعيهم الدائب إلى تغيير معالم الحضارة الإسلامية فيها : فقد دمروا المصانع، وخربوا المدارس، وأخفوا معالمها.

وقد كان ابن الأبار من أكثر الشعراء المسلمين بلاغة في التعبير عما عانت منه مدينة بلنسية من كيد الصليبيين، حيث قال : —

- * — ورد في تحفة القادِم، وأعمال الأعلام، ومغفة جزيرة الأندلس ((بصيحة)) .
١ — صفة جزيرة الأندلس : ج ١، ٥١، الروعر المعطار : مادة بلنسية، ص ١٩ — ١٠٠، أعمال الأعلام : ج ٣، ص ٢٣٧ — ٢٧٤، رسائل أبي المطرف : ورقة ١٤٠، تحفة القادِم، نشر في مجلة المشرق، بيروت، مجلد ٤١، سنة ١٩٤٩، ص ٥٧٦ — ٥٧٧ .
٢ — هو أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفرة . أول أمراء الحفصيين . انظر : — البيان المغرب : ج ٣، ص ٢٧٥، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية : ص ١٠٧ — ١٠٩ .
٣ — النفع : ج ٤، ص ٤٨٠ .

وَصَيَّرَتْهَا الصَّوَادِي الْعَائِشَاتُ بِهَا
فَمِنْ دَسَاكِرْ كَانَتْ دُونَهَا عَرَسًا
يَا لِلْمَسَاجِدِ عَادَتِ لِلْعَدَا بَيْنَهَا
لَهْفِي عَلَيْهَا إِلَى اسْتِرْجَاعِ فَأَتَيْتُهَا
وَأَرْبَعًا نَمَمْتُ أَيْدِي الرَّبِيعِ لَهَا
كَانَتْ حِدَائِقُ لِلْأَحْدَاقِ مَوْثِقَةً
وَحَالَ حَوْلَهَا مِنْ مَنَظَرٍ عَجَبٍ
سَرْعَانِ مَا عَاشَ جَيْشُ الْكُفْرِ وَاحْرَبَا
وَابْتَزَّ بَرَّتْهَا لَهَا تَحْيِيفُهَا

يَسْتَوْحِشُّ الطَّارِفُ مِنْهَا ضَعْفَ مَا أُنْسَا
وَمِنْ كُنَائِشِ كَانَتْ قَبْلَهَا كُنُسَا
وَلِلْنَدَاءِ غَدَا أَثْنَاءَهَا جَرَسَا
مَدَارِسًا لِلْمُثَانِي أَصْبَحَتْ دُرُسَا
مَا شَتَّتْ مِنْ حِلَلِ مَوْشِيَةٍ وَكُشَا
فَصَوَّخَ النَّضْرُ فِنْ أَدْوَاهِهَا دَعَسَا
يَسْتَجْلِسُ الرِّكْبُ أَوْ يَسْتَرْكَبُ الْجُلُسَا
عَيْشَ الدَّبَا فِي مَفَانِيهَا الَّتِي كَبَسَا
تَحْيِيفَ الْأَسَدِ الضَّارِي لَهَا افْتَرَسَا

✱

وَرَجَّ أَرْجَاءَهَا لَمَّا أَحَاطَ بِهَا
فَقَادَرَ الشَّمَّ مِنْ أَعْلَامِهَا خُنُسَا (١)

فالشاعر يقارن بين حالي بلنسية قبل الاحتلال وبعده . وتذكر من هذه المقارنة مدى التذريب الذي ألحقه الصليبيون بتلك المدينة . فقد كانت تمتع بالناس ، عامرة الأسواق ، دأبة الحركة ، جميلة المنظر ، وعند ما دخلها الأعداء أضحت خلاءً موحشة ؛ فقد رجوا نواحيها ، وسلبوا حسناتها ، وعاشوا فيها فساداً ، ودمروا معالمها الإسلامية ، فحولوا مساجدها بيعة ، وخرّبوا مدارسها التي كانت تمتع بطالاب العلم . وحتى الجبال لم تسلم منهم ، فقد دكّوها . وهذه التصرفات تصوّر مدى الحقد الذي كان يملأ قلوب الصليبيين على الإسلام وحضارته .

وكانت محنة إشبيلية بعد أن احتلها الصليبيون عظيمة . فقد قتلوا الشيخوخ والأطفال ، وسبوا النساء ودمروا المساجد ، وأذاقوا أهلها من ضروب العذاب ألواناً شتى . وقد صور ذلك أبو موسى هرون في قصيدة قالها يرثي تلك المدينة ، حيث قال :-

عَفَّتْ يَدُ الدَّرَكِ مَا شَاكَ الدَّالِيفُ مِنْ
مَنْ يُبْصِرُ الْمَنْزِلَ الْأَعْلَى يَقْلُ وَلَهَا
أَيْنَ الْقَبَابُ الَّتِي كَانَتْ مُحَجَّبَةً
تَمْضِي الْمَزَائِمُ وَالْأَقْدَارُ تَسْعُدُهَا

قَصْرٌ وَمِنْ مَصْنَعِ ضَخْمٍ حَكِي إِرْمَا
مَا كُنَّا نَقْطُ لَذَا أَسْمَ وَلَا رُسْمَا
فِيهَا الْمُلُوكُ تَفْيِيرُ الْجُودِ وَالْكَرْمَا
فَلَا تَرْدُ لَهَا الْأَقْدَارُ مُقْتَرَمَا

١- النسخ : ج ٤ ص ٤٥٧ - ٤٥٨ ، وقارن براوية ابن خلدون : ج ٦ ص ٦٠٢ - ٦٠٣ .

فكم أسارى غدت في القيد موثقة
وكم صريح رضيع ظل مختطفاً
يدعو الوليد أباه وهو غي شغل
فكم ترى والهيا فيهم ووالهية
تتشكو من الذل أقداماً لها حطماً
عن أمه يشكو، فهو بالأموال قد فطم
عن الجواب يد مع سال وانسجماً
لا يرجع الطرف إن حاورته الكما
في كل حين ترى صرعى مجذلة*
وآخرين أسارى خطبهم عظماء (١)

ويصور الشاعر في هذه الأبيات فظائع الصليبيين وأعمالهم التخريبية التي اقترفوها عند دخولهم اشبيلية، فقد أهلبوا المدينة مدمرة القصور، مهدومة النيران، خاربة المصانع ملأى بالجنث والأشلاء. أما أهلها فقد أهانهم الصليبيون وأذلّوهم، وأذاقوهم من ألوان المذاب وصروفه ضرورياً شتى؛ فأتى رجعت الطرف وجدت صرعى مجذلين، وأسارى مقيدين عذم خطبهم، واشتدت محنتهم. وحتى الأطفال لم يسلموا من قسوة المعتدين؛ فقد قتلوهم. ولا شك أن هذه المعاني والمشاهد يرتعش لها الوجدان الانساني، ولا ينتهي الخيال من استعراضها وتطليها، ويقف العقل مشدوهاً تحت وقعها، كما تكشفت تلك المشاهد مدى العنف الذي كان يأخذ الصليبيون به المدن الإسلامية، وهو عنسوف مصدره حقد متأصل في نفوسهم على الإسلام وأهله.

(١) — البيان المفرب: ج ٣ ص ٣٨٣.

(و) حلفاء الصليبيين :

ومما يكمل صورة الصليبيين في شعر الجهاد حديث الشعراء عن حلفائهم، والمتعاونين معهم. والحليف الوحيد الذي أشير إليه في شعر الجهاد هو محمد بن مردنيش^(١).

استطاع محمد بن مردنيش أن ييسر نفوذه على سائر قواعد الأندلس الشرقية، من بلنسية حتى قرطاجنة^(٢) * وحفاظاً على هذه الممالك من نفوذ الموحدين، مال ابن مردنيش إلى التعاون مع الصليبيين، ومخالفتهم، وعقد المهادنات بينه وبينهم^(٣).

وقد دعا ابن مردنيش إلى جيشه كثيراً من المرتزقة الصليبيين، وابتنى لهم الأحياء والمعسكرات، وزودها بأسباب الرفاهية والحنان، ولقد ق عليهم الصلات الوفيرة من المال والاقطاعات، وذهب في ذلك إلى حد أن أقطع مدينة شنتيمية الشرق^(٤) إلى أحد أكابر الفرسان الصليبيين، وقد أنشأ بها هذا الفارس مركزاً لأسقفية^(٥).

١ — والاسم الكامل له : — أبو عبد الله محمد بن سعد بن محمد بن سعد بن مردنيش

(مردنيش) الجذامي، وقيل التجيبي. إلا أن بعض الباحثين المحدثين شكوا في نسبته المربية، وقالوا أنه من المولدين، وأن مردنيش تحريف للاسم الأسباني Martinez أو Martinizi أو Mardonias

وكان الصليبيون يطلقون عليه الملوك ((لوبي)) أو ((لب)) Reylope أو Lobo، أي : الذئب، لما أترعته من شجاعة وإقدام. وقد منحه البابسا لقب ((صاحب الذكر الحميد)) .

وكان ابن مردنيش شغوفاً بالتشبه بالقشتاليين، موثقاً زعيمهم، كلفا بلسانهم، مجيداً له، وقد أشارت الرواية الإسلامية إلى مجون ابن مردنيش وكرمه وشجاعته. انظر : وفيات الأعيان : ج ٢ ص ١٣١، الإحاطة : ج ٢ ص ١٢١-١٢٧، الحلة السيراء : ج ٢ ص ٢٣٢، المن : ج ٢ ص ١١٥، عصر المرابطين والموحدين : ج ١ ص ٣٦٦.

٢ — عصر المرابطين والموحدين : ج ١ ص ٣٦٦.

* قرطاجنة : — من كورة تدمير في الأندلس. معجم البلدان : مادة قرطاجنة.

٣ — الإحاطة : ج ٢ ص ١٢٤، عصر المرابطين والموحدين : ج ١ ص ٢٦٧.

٤ — هي سهلة بني رزين، وتوصف بأنها من أكبر مفاصل كورة شنتيمية تقع على نهر جايو من فروع نهر تاجه، الحلة السيراء : ج ٢ ص ١٠٩.

٥ — الإحاطة : ج ٢ ص ١٢٣-١٢٥، أعمال الأعلام : ج ٣ ص ٢٦٠.

لم يكتف ابن مردنيش بذلك وانما تمدها إلى القتال جنباً إلى جنب مع الصليبيين ضد المسلمين . فعلى سبيل المثال : فقد وقف إلى جانبهم عندما حاول المسلمون استرداد شجر المروة (١) ، وحاول غير مرة اقتحام الحصار الإسلامي لإنجاد الصليبيين المحصورين في هذه المدينة (٢) . وفي سنة ٥٥٤ هـ تحرك ابن مردنيش بجمة زميمة من أتباعه وحلفائه نحو مدينة جيان (٣) واستطاع احتلالها . . . ثم اتجه نحو قرطبة فنازلها ، ودمر زروعها ، وعق ربوعها . . . إلا أن واليها قتلته أشد قتال ، وصده عنها (٤) . وفي العام نفسه اتجه نحو اشبيلية ، وأقام على حصارها ثلاثة أيام ، ولقيت منه هذه المدينة عظيم الخطاب (٥) .

تركت تصرفات ابن مردنيش هذه أصداء واضحة في شعر الجهاد ضد الصليبيين ، حيث كان للشعراء موقف حاسم منه ، فقد حملوا عليه ، وهددوه ، وأزروا به ، وحاجموا تصرفاته ، وبصروه بالماقبة ، ونعتوه بصفات مختلفة تشير الحفيظة .

فقد هاجم ابن حربون موقف ابن مردنيش الخارج عن الجماعة الإسلامية ، وسمت بما آل إليه أمره بعد معركة السبيكة ، وأشار إلى كثرة القتل من أتباعه حيث قال : -

أَلَسْتَ تَرَى فِي النَّاكِثِينَ وَقَائِعًا	يَمِينُ الرَّدَى فِيهَا كَمَثَلِ يَسَارِهِ
حَصَائِدُ سَيْفِ الْحَقِّ صَرَعِي بِشَاهِقٍ	بِهَرَامِنِ الْمَفْتَرِ وَقَعَ حَازِلُهُ
لَقَدْ عَمِيتَ مِنْهَا الْبَصَائِرُ شَقْوَةً	أَحْلَتَهُمُ لِلْهَلَكِ دَارُ بَكْوَارِهِ
وَلَوْ قَرَعُوا لِلصَّفْحِ أَبْوَابَ تَوْبَةٍ	لَهُ لَمْ يَخَوْضُوا لِلرَّدَى فِي غَمَارِهِ (٦)

والأبيات فيها تقرير شديد لابن مردنيش . فقد صور الشاعر إنساناً شقيفاً ، عميت بصائر ، وأغرته أطماعه بالخروج عن الجماعة الإسلامية ومخالفة الصليبيين . وتؤكد الأبيات أن مصائر أولئك الخارجين عن الهلاك بسيف الحق ، مثلما حدث بأتباع ابن مردنيش ، الذين أحلتهم أطماعهم دار البوار ، ولو أنهم راجعوا بمصائرهم ، وعدلوا عن الخيانة ، وتابوا ، لصفح المسلمون عنهم .

١ - المروة : - تقع على شاطئ البحر الأبيض المتوسط جنوب شرقي غرناطة . المن :

ج ٢ ص ١٣٠ .

٢ - البيان المغرب : ج ٣ ص ٣٣ .

٣ - جيان : - تقع شرقي قرطبة ، وهي كثيرة البساتين . الروغ المعطار : مادة (جيان)

ص ١٨٣ .

٤ - المن : ج ٢ ص ١١٦ .

٥ - المن : ج ٢ ص ١١٦ .

٦ - المن : ج ٢ ص ٢٦٨ .

وقد أزرى الاستاذ ابن سيد بموقف ابن مردنيس المتواطىء مع العدو، حيث قال :-
 جن ابن سعد بالنفاق جنونه
 نظمت له جرد العتاق تائماً
 فقص حصاراً إذ: تيقن أنه
 غر الشقي بنأيكم عن أرضهم
 أو ما رأى شمس الضحى في جوها
 والى * * * * * لذ نوب فأوبقته كسيرة
 وطفى إلى أن بات فيه الأولس *
 ليست على أهل الجنون تملس
 إما قتل أو أسير موثس
 جهلاً، وظن بأنه لا يلحق
 والمغرب الأقصى لها والمشرق
 إن الذنوب إذا تالت توبس (١)

وتصور الأبيات مدى انجراف ابن مردنيس في خيانة الأمة، وموالاة الأعداء. لذلك فقد حمل عليه الشاعر، وأزرى به، وصوره إنساناً منافقاً، طاعياً، شقياً، مفتراً، جاهلاً، كثير الذنوب، في عقله مس من جنون.

وقد أوضح الشاعر موقف الأمة من هذا الخائن الطامع. فقد أعدت له الخيول الجرداء القوية، لتفتك به، وتقضي عليه. وعندما رآها رب الرعب في قلبه، وتيقن أنه لا مفر منها، فأما القتل أو الأسر.

وقد كان الشعراء المسلمون مدركين مدى خطورة تحالف ابن مردنيس مع النصارى، فهو يعضد عقيدتهم، ويخدم دينهم، ويثبت وجودهم في البلاد الإسلامية. لذلك فقد توعدوه، وهددوه، وتنباؤوا له بالموت، وإن لم يعدن عن مؤازرة الأعداء. وصوروه رجلاً ضالاً، خدعه الصليبيون، وزينوا له محالفتهم، فجلب بذلك النحاس والشقاء لنفسه.

وفي هذه المعاني قال ابن المنخل الشلبي :-
 وأرى الشقي بن الشقي تغرّه
 فنة أضل ضلالها اسلامها
 ليس ابن سعد حلف سعد إذ غدا
 حلف النصارى عاضداً أحكامها
 فلسوف يصبح بالفضاء مجداً
 إن لم تطهر نفسه آثامها
 ويمد للتوحيد كف ضراعة
 بمتاب نفس راحداً أجرامها (٢)

* — الأولس: الجنون. وقيل: الخفة من النشاط كالجنون. لسان العرب: — مادة ((ولق)) .

* * — ورد في المتن ((وإلى)) .

١ — المتن: ج ٢ ص ٤٥٤ — ٤٥٥ .

٢ — المتن: ج ٢ ص ٤٦٠ .

واستثارة لشاعر المسلمين ، فقد ربط أبو العباس الجراوى سلك ابن مردنيش وتصرفاته الخيانية بعقيدة الصليبيين ، ووصفه بالسفه والطيش : —

لقد ولّى عن الخير اختيـارا ووالى اللات والمزى سفاها
وآثر معشرا ضلّوا سبيـلا فما * عرفوا النبي ولا الإلاهـا (١)

وقد رأى أبو القاسم الرندي (٢) في شخصية ابن مردنيش، شخصية إنسان مارق على الإسلام ، خارج عليه ، لذلك تمنى أن يمدل عن موقفه هذا : —

أما ابن سعدٍ فهو أولُ مارقٍ يا ليتهُ بأبيه سعدٍ يكتنـي (٣)

وقد صور أبو المطاير محمد (٤) تأصل روح الإجرام في نفس ابن مردنيش ، وشغفه بسفك الدماء ، ولزهاق الأرواح ، وقتل الأنفس ، ليحقق أهدافه وأطماعه : —

فهذا الذّي بيني المساجد أمره وأمر ابن سعدٍ أن تشاد المعاصـر (٥)
وتحدث الشمراء عن هزائم ابن مردنيش ، وقد موها في إطار يبعث على السخرية منه ، وعدم الثقة به ، من ذلك الأبيات التالية لشاعر مجهول : —

فإن ينجُ اللّعينُ لفير منجـى لقد ففرت شعوبٌ * عليه فاهـا
تكتّم في غمار أو غبـارٍ وعينُ الحرب لم تـأحرّ قذاهـا
وولّى يقطع البطحا شـرا على شوها ما ونيث شواهـا
ولو فاتت وميغر البرق عـدا لخطاها ولم يحمد خطاهـا
وبات يصارع الظلما وهـنا ويحسد من كواكبها سهاهـا (٦)

* — ورد في البيان المغرب ((غما)) .

١ — المن : ج ٢ ص ٢٨٣ ، البيان المغرب : ج ٣ ص ٩٤ .

٢ — هو أبو القاسم أخيل بن ادريس الرندي . أحد الكتاب البلغاء والشمراء المجيدين . توفي سنة ٥٦٠ هـ أو ٥٦١ هـ . انظر : الحلة السيرة : ج ٢ ص ٢٤١ ، المن : ج ٢ ص ٢٤٤ .

٣ — النفع : ج ٢ ص ٢٠٢ .

٤ — لم نعثله على ترجمة . وقد ترجم ابن الأبار لوالده . انظر : الحلة السيرة : ج ٢ ص ٢٦٧ — ٢٦٦ .

٥ — الحلة السيرة : ج ٢ ص ٢٦٦ .

* — ورد في المن ((شعوب)) جمع شُعب ، وهذا ينكسر الوزن ، ولا يستقيم المعنى . ويظهر أن الصواب ((شعوب)) أي الضنية .

٦ — المن : ج ٢ ص ٢٨٣ — ٢٨٤ .

وتصوّر الأبيات هزيمة ابن مردنيش في معركة فحصر الجلاب سنة ٦٥٦ هـ (١). فقد أضمر في نفسه الهرب، وكتم أمره، وانسحب متستراً، والمعركة لم تنزل في شدتها، وجدّ في الفرار مدعوراً.

وبصورة تهكميّة ساخرة عبّر الشاعر الخطرات النفسيّة لهذا الخائن وقد ولّى عارها، فهو لشدة خوفه غير راض عن سرعة فرسه التي تحمله، به أنّه يتمنّى أن يختفي نجس السها — على ضعف نوره — لئلاّ يكشف أمره في ظلمة الليل الحالك الذي تستر به.

وقد أزرى ابن حربون بهذا الخائن بعد هزيمته في معركة السبيكة، وصوّر اختضاع أمره في الناس، وشماقتهم به، وسخريتهم منه، حيث قال: —

تجلّل منها المردنيشيّ خزيّة تناغى بها بين البيوت الولائد (٢)

وهكذا كان ابن مردنيش يمثل نفة الخونة والطامعين، الذين قادتهم أطماعهم إلى الخروج عن الجماعة الإسلاميّة ومخالفة الأعداء.

وقد أزرى الشعراء بهذا الطامع، وكشفوا حقيقته للأمة، ونعتوه بنموت مختلفّة تشير الحفيظة عليه. كما عدّوه، وتعدّوه، وتنبأوا بمصيره السيّء، وصوّروا موقف الأمة منه.

وتحدّث الشعراء عن الآثار الناجمة عن تخالف ابن مردنيش مع الأعداء، وبصّروه بالمناقبة، وأوضحوا له أنّ المسلمين فتحوا باب التوبة أمامه، إلّا أنّه ظلّ سادراً في غيّه وضلاله.

وقد صوّر الشعراء ابن مردنيش في ميدان القتال رجلاً خائراً المزيمة، لا يجروء على الثبات، وإنّما يولي الأربار.

١ — الحلة السيرا: ج ٢ ص ٢٦٠.

٢ — المن: ج ٢ ص ٢٤٦.

مواكبة الشعر لأحداث الصراع

استأثرت أحداث الصراع بين المسلمين والصليبيين ، على عهد الموحدين اهتماماً بالغاً من المؤرخين القدماء . وبلغ الجهد في هذا الفصل إقامة علاقة بين النصوص الشعرية والأحداث التاريخية المتعلقة بالصراع ، لكنرى مدى مواكبة الشعراء لأحداث الصراع بين المسلمين والصليبيين في الأندلس ، ومدى نجاحهم في تصوير تلك الأحداث ، واحتواء أبعادها .

وهنا لابد من الإشارة إلى طبيعة الاختلاف بين الشعر والتاريخ في تصوير الحدث ، فوظيفة الشاعر تختلف عن مهمة المؤرخ : فالشاعر لا يسجل الأحداث بموضوعية ، ولا يتحرى الدقة فيها ، في حين أن المؤرخ ملزم بطبيعة مهنته بالموضوعية ، لذلك فإن أى خروج عن ذلك يعتبر مأخذاً عليه (١) .

والحادثة الأولى التي سجلها ما وصلنا إليها من شعر الجهاد هي فتح مدينة المهدية في محرم سنة ٥٥٥ هـ (٢) . فقد روى صاحب البيان المغرب قصيدة لابن أبي المباسر الجراوى قالها في هذه المناسبة ، وقد استهلها بقوله : —

لِمن الخيول كأنهن سيول غصت بهنّ سباسب وهجول^١
 لم يبق لها الدنيا فأبعد ما انتحت دان ، وأبطأ سيرها تمجيد^٢
 يغزو أديم الأرض من صهلانها مثل أسما حتى تكاد تسزل^٣

والأبيات توحى بمظاهر القوة العسكرية للدولة الموحدية ، ويستشف منها ضخامة الجيوش الإسلامية التي اشتركت في فتح مدينة المهدية . والشاعر بذلك يتفق معها ذكره المؤرخون عن كثافة الجيوش التي تقدمت نحو تلك المدينة (٣) .

ونذكر نتيجة المعركة من هذا الاستهزاء بالصليبيين والسخرية منهم ، ونعتهم بالجهل لأنهم وقفوا أمام قوة المسلمين : —

- ١ — انظر : صدى الفزو الصليبي : ع ١٣٨ ، Martial Poetry, P. 129
- ٢ — انظر أخبار هذه الفزوة في : — تاريخ الكامل : ج ١١ ع ٢٤٢ — ٢٤٤ ، الحلل الموشية : ع ١٢٨ ، البيان المغرب : ج ٣ ع ٣٨ — ٣٩ ، رحلة التّجاني : ع ٣٤٦ ، الاستقصا : ج ٢ ع ١٣٩ .
- ٣ — الحلل الموشية : ع ١٢٧ .

جهلُ النصارى أنه الملكُ الذي يرثُ البلادَ وعذْرُهم مقبولٌ^١
أهلُ الجبالِ همُ فكيفُ ألومُهُمُ وعلمتُ أن الطبعَ ليس يحسولُ^٢

ويستوعب الشاعر ما ذكرته الرواية التاريخية (١) حين يشير إلى استسلام الصليبيين ،
وقد وصفهم إلى عبد الموءن ، وطلبهم الأمان منه ، واستجابته لهم : -

ودرتُ نفوسُهُمُ بأنك طاهرٌ فأتتُ تقدم اليه وتوولُ*
فمفوتٌ عفواً القادرينَ تكرمُ عنهم ، عفواً القادرينَ جميلُ^٣

ودخول المسلمين مدينة المهدية يمكن أن نلمحه من مقارنة الشاعر بين حالها
قبل الفتح وحالها بعده ، حيث يلتفت إلى مستلزمات الأقوس المتعلقة بعقيدة الصليبيين
ويربطها بشمائر العبادة عند المسلمين : -

بالأمر يملأُ سمعُها ناقوسُهُم واليوم يملأُ سمعُها التهلِيلُ^(٢)

وهكذا سجل أبو المباس الجراوي هذه الحادثة بشعره ، وقد وفق في ذلك
إلى حد بعيد ، فما ورد في القصيدة يتفق مع الرواية التاريخية عن فتح هذه المدينة
بصورة كبيرة مع اختلاف في طريقة التعبير .

وقد نسب الرواة إلى الخليفة عبد الموءن قصيدة قالها في هذا الفتح ، ومما
ورد فيها قوله : -

وأشرقَت الشمسُ المنيرةُ فوقنا وأصبحَ وجهُ الحقِّ غيرَ محجَّبِ
وطهرَ هذا الصُّقعَ من كلِّ كافِرٍ وعادَ به الإسلامُ بعدَ تَقَلُّبِ
وكسرتُ الصليبانُ في كلِّ بقعةٍ ونادى منادي الحقِّ في كلِّ مرقبِ

ونذكر من الأبيات السابقة انتصار المسلمين وتفوقهم . وحديث الشاعر عن هذا
الانتصار يوحي بإدراكه أهميته ووعيه خطورة نتائجه . وهو حديث يتفق مع ما
أورده المؤرخون المعاصرون لأحداث الصراع عن هذا الفتح . فقد ورد في كتاب
(المعجب) أن الله ما بهذا الفتح ((الكفر من إفريقية ، وقطاع عنها طمع العدو ،

١ - انظر : البيان المغرب : ج ٣ ص ٣٩ ، شذرات الذهب : ج ٤ ص ١٦٩ .

* الشطر الثاني من هذا البيت مكسور الوزن .

٢ - البيان المغرب : ج ٣ ص ٤٨ .

فانتبه بها الدين بعد خموله، وأضاء كوكب الايمان بعد انلماسه وأقوله (١) (١٠٠٠).

وأثناء اقامة الخليفة عبد المؤمن في إنريقية التحق به كثير من أبناء القبائل
الحرية بنودا في جيشه (٢)، وقد أشار الشاعر إلى ذلك في مصرعته تهديده الأعداء
ببؤس العرب :-

ويضربو بلاد الروم جيش عرمرم^٣ تخير من قبس وأبناء يمم^٤ عرب (٣)

والقصيدة بعد ذلك تخلو من اللغات الوصفية لأحداث الفتح وكيفيته، ولمصل
هذا يعود إلى أنها جاءت ضمن رسالة نشرية يبشر فيها الخليفة السيد أبا حفص
بمذا النصر، كما أن قائلها ليس شاعرا متمرسا في قرض الشعر. ومع ذلك غلب
القصيدة أبرزت أهمية هذا الفتح الذي ظهرت به أفريقية من الكفر بعد أن كان
يضعف الوجود الإسلامي هناك.

وقد ذكر صاحب المن أن ابن حبوس الفاسي قال قصيدة في هذا الفتح لم يورد
منها إلا قوله :-

كُذِّبَتْ إِلَيْكَ عَلَى الرِّيحِ سُجُوجُ^٥ أَيْنَ الْغُرَارُ بِأَمْرِكُمْ يَا جُجُ^٦ (٤)

وقد أورد صاحب زاد المسافر بيتين آخرين من القصيدة، هما :-

مَهْمَتْ بَدْعُوتِكَ الرِّيحُ الْهَوَجُ^٧ وسطا بأمرِكَ ذابلٌ ووَشِيحُ^٨ ج
وتقدّمَتِكَ إِلَى الْمَدَى مَهَابَةٌ^٩ يَشْقَى بِهَا فِي سَدِّهِ مَا جُجُ^{١٠} (٥)

ومن المؤسف أن الدارس لم يعثر في المصادر التي استقناها على هذه
القصيدة كاملة. ولا يخفى على القارئ أن الأبيات السابقة عاغلة بإيعاءات الضخامة
والغفامة التي لجأ الشاعر من أجل إبرازها إلى التلميح لتاريخ الإسكندر الأكبر،
وبما جوج وما جوج (٦).

وقد أشار الأصم المرواني إلى فتح المسلمين مدينة المهدية في مصر في قصيدة
قالها عندما عبر الخليفة عبد المؤمن إلى الأندلس سنة ٥٥٥ هـ (٧). وقد تحدث
الشاعر في هذه القصيدة عن حصانة هذه المدينة وقوتها، بحيث قال :-

١ - المصعب : ص ٣٠٠.

٢ - رحلة التجاني : ص ٣٤٤، العلل السندسية في الاخبار التونسية : ج ١ ص ٢
ص ٤٧٩.

٣ - الحين : ج ٢ ص ١٢٤ - ١٢٥، البيان المنرب : ج ٣ ص ٤١.

٤ - المن : ج ٢ ص ١٢٢.

٥ - زاد المسافر : ص ٤٤ - ٤٤.

٦ - انظر الحديث من قصة الاسكندر الاكبر وما جوج وما جوج في آخر سورة الكهف،
وكتاب التسهيل : مجلد (١) ج ٢ ص ١٦٤ - ١١٥.

٧ - النفع : ج ٣ ص ٥١٢ - ٥١٣.

منيفة من ذرى سرور تكفها
وزاخر مرند الأمواج من غنى سب
تخلعت في شناق الجوّ ساعدة
حتى حسبت مدار النجم في سب

والوصف الذي قدمه الشاعر لمنحة مدينة المهدية يتفق مع ما أورده المؤرخون .
فهي من محافل المغرب المنيفة ، ذات أسوار عالية تحميها ، بالإضافة إلى البحر
الذي يكتنفها من ثلاث جهات ، فأكسبها حماية طبيعية (١) .

ويتحدث الشاعر عن محاصرة المهدية ، ويشير إلى حلول هذا الحصار الذي
أرسله الأعداء ، وأرغمهم على الاستسلام :-

وعين قادتنا بأول الحصار لها
كأنها مركب أشفى على المكاب
أثقت إليك بأيدي الذل طائفة
ومكثت من السلوب والسلب

ويرسم الشاعر صورة معبرة للأعداء الذين من الخليفة عبد المؤمن بالمغزو
عليهم ، وأهلاً لهم الأمان على أنفسهم بعد أن سلموا المدينة للمسلمين :-

سار العلوج وفي أعناقهم منن
من عفو مقتدر للفرز منتدب
مدوا الأكتف للمس النجم من فرح
وشمروا لوثوب البحر من السرب (٢)

وفي شهر ذي القعدة من عام ٥٥٥ هـ عبر عن عبد المؤمن البحر من سبته* إلى
الأندلس . ونزل في مرناً جبل المارن ليجتمع باللبة الموحدين الذين فيها ، وينظرون
كيف يكون فوز الصليبيين العائشين في نواحيها .

وقد عبرت مع عبد المؤمن جموع ضخمة من العرب ، وكان يوم العبور ((يوماً مذكوراً
مشهوراً ، ظهر فيه من فخامة الطك والأمر ما لم يتقدم في سالف الأزمان)) (٣) .

لعب عبد المؤمن في جبل المارن الذي ألق عليه - للتو - ((جبل الفتح))
زهاء شهرين (٤) . وكان خلال ذلك يدبر شؤون الأندلس ، ويبذل لمختلف الوفود
وعوده محمداً بغيرها ، ومجاعة أعدائها ، وفجلاً فقد كوّن في مكان اقامته
بديلاً مشتركاً من الأندلسيين والموحدين (٥) .

كان عبور عبد المؤمن هذا يوماً مشهوراً من أيام الشمر ، حيث استدعى الخليفة
عدد كبيراً من الشرائك من بينهم جماعة من أقباب الشعر في المغرب والأندلس .

١ - أنظر :- المصجب : ص ٢١١ ، الحلل الموشية : ص ١٢٨ - ١٢١ .

٢ - المن : ج ٢ ص ١٦٢ .
* سبته : من العدو المغربية ، تقع على شاطئ المتوسط . معجم البلدان :
مائة سبته .

٣ - المن : ج ٢ ص ١٤٧ .

٤ - عبر المرابطين والموحدين : ج ١ ص ٣٨٥ .
٥ - انظر حركة عبد المؤمن هذه : البيان المغرب : ج ٣ ص ٤٦ ، الحلل الموشية :

ص ١٢٦ - ١٣٠ ، المن : ج ٢ ص ١٤٧ - ١٥٠ .

وقد ذكر صاحب المصنوع أن ابن حبوس الفاسي قال في هذه المناسبة قصيدة لم يورد منها إلا قوله :-

بلغ الزمان يهديكم ما أملا
وتعلمت أيامه أن تمـ...
وبعده أن كان شيئا قابلا
وجد الهداية سورة فتشكلا (١)

ومن المؤسف أن الدارس لم يصل إلى القصيدة كاملة . ولا يرى في البيتين السابقين أية إشارة تاريخية إلى حركة عبد المؤمن، وإنما في مجموعتهما إشادة بهذا الخليفة، وهي إشادة مستوحاة من تعاليم الموحدين في الإمامة .

وقد روى صاحب المصنوع قصيدة قالها أبو بكر بن المنخل الشلبي في هذه المناسبة، وما ورد فيها قوله :-

فتحتم بلاد الشرق فاعمدوا الغربا
فإن نسيم النصر بالفتح قد نبأ
أعزتم إليه الفيل وهي أجادل
فسالتكم بكم بعرا والمارت بكم ركبا **
ودستم بها هامات كل مضلل
ولم تتركوا حمما دناك ولا عربا
رمىتم بها مثل السهام فأصبحت
كأنتهم سرعى وأموالهم نهبا

وتتضمن الأبيات حديثا مجعلا عن عروب الموحدين في إفريقية، وشهادة جيوشهم التي اعتمدوا عليها . وهي توحى بشعور التفوق في تلك العروب، وبالمنف الذي أخذ به الموحدون الأعداء، كما تحمل أساس الشاعر بقوة الدولة الموحدية وعنفوانها وهي في أول عهدنا بعد . ولعل من المفيد الإشارة إلى أن المصادر الإسلامية قد تحدثت عن العديد من مشارك الموحدين في إفريقية (٢) .

وقد كان ابن الرنك من أكثر القادة السليبيين ولما على المسلمين في الفترة التي هبر فيها الخليفة عبد المؤمن إلى الأندلس (٣) . ويبدو أن الشاعر كان مدركا لهذا الأمر، إذ ذلك فقد عت الخليفة عبد المؤمن على التوجه لمحاربة هذا العدو، ورد كده :-

- ١ - المصنوع : ص ٢٨٣ .
- ** ورد في البيان المنرب ((الفتح)) .
- ** ورد في البيان المنرب ((والمالت بكم شعبا)) . هذا ولم يورد ابن عذارى إلا البيتين الأولين . انظر : البيان المنرب : ج ٣ ص ٤٥ .
- ٢ - انظر : - الكامل : ج ١١ ص ٢٤١-٢٤٧ ، اخبار المهدي : ص ١١٥ ، العلل السندسية في الاخبار التونسية : ج ١ ق ٢ ص ٣٥٦ و ٤٧٧-٤٧٨ ، رحلة التجاني : ص ٣٤٤ .
- ٣ - انظر : الحلة الثيرة : ج ١ ص ٢٧٢ ، صخلو العلل السندسية : ورقة ٤٥ .

أَقِيمُوا إِلَى ابْنِ الرَّيْقِ بَعْدُ مَدْرَهَا وليس عليكم أن تُرَى ضَمْرًا قُبْرًا

ضَمْرًا أَنْ عَلَيْكُمْ أَنْ تَبِيحُوا حَرِيمَهُ * وَأَنْ تَكْسِرُوا فِيهَا التَّمَاثِيلَ وَالنَّعْلِيَا (١)
والقصيدة بحد هذا قصيدة حماسية لا يستشف منها ملامح حد شعبي، بل
أنها غلت من الإشارة إلى عبور الخليفة عبد المؤمن إلى الأندلس.

وقد أشهد أبو العباس بن سيد الإشبيلي، المعروف بـ ((اللسان)) قصيدة أولية،
ملاحمها :-

فَقَبَّرَ عَنِ الشَّمْسِ وَاسْتَقْصَرَ مَدَى زُحُلٍ وَانْظُرْ إِلَى الْجِبَلِ الرَّاسِي عَلَى جَبَلٍ * (٢)

ويلمح من البيت نزول الخليفة عبد المؤمن في جبل المارق وإقامته فيه. هذا
ولم يستشف الخليفة عبد المؤمن هذا المطلع، فقد قال للشاعر عندما سمعه : ((ثقلتنا
يا رجل)) (٣) وأمره بالجلوس.

والإشارة الصريحة إلى عبور الخليفة عبد المؤمن إلى الأندلس كانت في البيت
التالي :-

لَتَمُنَّ أَنْدَلَسًا أَنْ زَارَهَا طَلْعُ أَعْيَى وَأَنْشَرُ فِيهَا مَيِّتَ الْأَمَلِ

وتتشتمل القصيدة بإشارات إلى فتح الموحدين في إفريقية :-

سَمَا إِلَى الشَّرْقِ يَجْتَابُ الْبَابَ بِهِ عَتَقَ الْمَهَارَةَ وَالْمَهْرَةَ الدَّلِيلَ

وفي القصيدة استعراى للجيش التي اعتشدت في جبل المارق غداة عبور
الخليفة عبد المؤمن :-

وَبَحْفَلٍ لَجِبُ سُدِّ الْفَجَاجِ بِهِ وَأَعَثَرُ الدَّلِيلُ مِنْهُ فِي ذُرَى الْأَسَلِ

تَمَدُّوْ عَلَيْهِ ذَكَاءٌ وَهِيَ قَدْ نَهَبَتْ فَتَسْتَجِدُّ أُنَاةً مِنْ سُنَى الْمُقْلِ

مَسَاجِدِيَا مَثَلَهُ فِي الْيَمِّ مَقْمَرًا مِنْهُ بِحَزْمٍ وَعَزْمٍ غَيْرُ مُنْقَسِرٍ

مِنْ كُلِّ عَاقِمٍ فِي شَكْلِ الْمَاشِـرَةِ تَشَاكُلُ الْأَمْْرِ فِيهَا كُلُّ مُشْتَكِلِ

ونبتشف من الأبيات ضخامة تلك الجيوش وكثرة عدد ها. فهناك الجموع البرية
الكثيفة وترافقها قناعات بحرية تماثلها في الكثرة.

١ - المن : ج ٢ ص ١٥١-١٥٥.

* ورد في رايات المبرزين ((الجبل)) .

٢ - لم يرد في الرايات إلا البيت الأول، وفي المعجب البيتان الأولان، ورد في زاد
المسافر ثلاثه أبيات على غير ترتيب. انظر : الرايات : ص ٤٨، المعجب : ص ٢٨٦،
زاد المسافر : ص ١٤٠.

٣ - المعجب : ص ٢٨٦، انظر المن : ج ٢ ص ١٥١.

وندرك من القصيدة تمكّن سلمان الموحدين في إفريقية وتوّلن أركان دولتهم :-
 حتى إذا استوسق الأمر العليّ له بالشرق رُكز لنسر الغرب في عَجَل (١)
 وقد روى صاحب المن قصيدة طويلة قالها الأصم مرواني عندما عبر الخليفة
 عبد المؤمن إلى الأندلس، استهلّها بقوله :-

ما للحداء جنة أوقى من الهرب* أين المفر وخيل الله في اللب (٢)؟

هذكو المؤرخون أنّ أبناء القبائل السريّة كانوا يشكلون فئة كبيرة من الحشود
 التي جازت مع الخليفة عبد المؤمن إلى الأندلس (٣). وقد أشار الشاعر إلى ضخامة
 تلك الحشود قائلاً :-

حدثت عن الروم في أقطار أندلس والبحر قد ملأ العبرين بالمسرب
 من كل من يترك الهيجا في حلك جمر إذا اخضرت الغبراء بالمعشرب
 ويتحدث الشاعر عن نزول الخليفة عبد المؤمن في جبل طارق، ويقرن ذلك
 بنزول سيدنا موسى عليه السلام في جبل الطور :-

وطور طارق قد حلّ الإمام به كالطور كان لموسى أين الرتب
 لو يصرّف الطور ماغشاه من كرم لم ييسط الفور فيه الكف للسحب
 ولو تيقن بأسا حلّ نروثه لعدا كالمهمن من خوف ومن رمب

وحين يتحدث الشاعر عن فتوح الموحدين في إفريقية يشير إلى فتك الموحدين
 بقبيلة ريان، وقتلهم زعيمها محرز بن زياد الفارغي (٤) الذي رفع الإزعاج لهم :-

- ١ - المن : ج ٢ ص ١٥٦ - ١٥٧ .
 * لم يستحسن عبد المؤمن أن يهرب الأعداء منه . فقال إلى أين ، إلى أين ؟
 فأكمل الشاعر بيته . انظر المعجب : ص ٢٨٥ .
- ٢ - اكتفى عبد الواحد المراكشي بالأبيات الثلاثة الأولى من القصيدة ، واكتفى ابن
 عذاري بالبيتين الأولين . وأورد صاحب النفح عدة أبيات منها على غير
 ترتيب . انظر : - المعجب : ص ٢٨٥ ، البيان المنرب : ج ٣ ص ٤٥ ،
 النفح : ج ٣ ص ٥١٢ - ٥١٣ .
- ٣ - انظر : - المن : ج ٢ ص ١٤٤ ، المعجب : ص ٢٩٣ - ٢٩٤ .
- ٤ - انظر : تاريخ ابن خلدون : ج ٦ ص ٤٤ .

— ١٣٢ —

صَدُرَتْ بِالْمَرْبِ الْعَرَبَاءُ وَانْقَلَبَتْ
عَنِ الْحَسَامِ (رِيَّاحٌ) شَرٌّ مُنْقَلِبٌ
فَكَانَ سَيْفُكَ نَقَادًا لَهُ بَصَرٌ
نَفَقَ الزِّيُوفُ وَأَبْقَى خَالِصَ الذَّهَبِ
وَرَدَّ رَأْسَ زِيَادٍ مَالَهُ جَسَدٌ
مَنْ مَارِنٍ بِالدَّمِ الْمَوَارِ مَخْتَصِبٌ

ويظهر أن الأصم المرواني كان يستشعر الخطر الذي يهدد المسلمين في
الأندلس، لذلك فإن في القصيدة إرغاسات بتردى الأوضاع فيها، فقد ((أصبحت
مسودة الطنب)) : —

إِنَّ الْجَزِيرَةَ مِنْ طَوْلِ انْتِظَارِكُمْ^١ لَهَا بِكُلِّ طَرِيقٍ لِحْظٌ مُرْتَقِبٌ
صَارِحٌ بِتِلْكَ الْيَدِ الْبَيْضَاءِ قَبَّتْهَا فَإِنَّهَا أَصْبَحَتْ مَسُودَةً الطَّنْبِ^(١)

ومن الشعراء الذين أنشدوا عبدالمؤمن في جبل الفتح الشيخ أبو الحسين
عبدالله بن محمد بن صاحب الصلاة الباجي، حيث قال قصيدة مطالعها : —
تَلَأَّ مِنْ نَوْرِ الْخِلَافَةِ بَارِقٌ^٢ أَضَاءَتْ بِهِ الْآفَاقُ وَاللَّيْلُ غَاسِقٌ^{*}
وقد أشار الشاعر إلى قدوم الخليفة عبدالمؤمن إلى الأندلس ونزوله في جبل
طارق : —

وَهَبَّ بَرِيَّاهُ النَّسِيمُ فَخَلَّتْهُ^٣ يُخْبِرُنَا أَنَّ الْخَلِيفَةَ لَا حِجْرَ^٤
إِلَى جَبَلٍ قَدْ كَانَ لِلْفَتْحِ مَنْزِلًا وَلَا نَذْرَ بِهِ بِالْفَتْحِ مُوسَى وَطَارِقٌ^٥

ويذكر المؤرخون أن وفودا كثيرة قدمت إلى المغرب تدعو عبدالمؤمن إلى
الأندلس وتستنصره للجهاد فيها (٢)، وقد أشار الشاعر إلى ذلك قائلا : —
وَكَرَّ إِلَى نَصْرِ الْجَزِيرَةِ بَعْدَ مَا أَنَاهُ^٦ مَعَ الرُّكْبَانِ نَاعٌ وَنَاعِ^٧
وندرك من القصيدة أن الجيش الذي عبر مع الخليفة عبدالمؤمن إلى الأندلس
جيش ضخم تخيّن عنه الأغر : —

بِحَيْشٍ تَضْمِيئُ الْأَرْغُ عَنْهُ بِطُولِهَا وَتَرْجِيهِ^٨ لَوَعَايِنَتُهُ الْعَمَالِ^(٣)

وقد أنشد أبو عبدالله محمد بن غالب المعروف بالرصافي، البُلَنَسِي — وهو لم
يبلغ العشرين بعد — قصيدة بين يدي عبدالمؤمن استهلها بقوله : —

- ١ — المصن : ج ٢ ص ١٦٠ — ١٦٤ .
- * — أورد ابن عذارى أربعة أبيات من القصيدة . البيان المغرب : ج ٣ ص ٤٦ .
- ٢ — انظر : المرقبة العليا : ص ١٠٦ ، النّجّ : ج ٢ ص ٣٠ ، عصر المرابطيين والموحدين :
ج ١ ص ٢٦٧ ، المعجب : ص ٢٨١ — ٢٨٢ .
- ٣ — المصن : ج ٢ ص ١٦٤ — ١٦٨ .

لو جئت نار الهدى من جانب الطور^١ قبست ما شئت من علم ومن نور^٢
والفكر العامة في هذه القصيدة هي الاشارة بالخليفة عبد المؤمن الذي ورث
الهداية والنور عن المهدي ابن تومرت. ويتخلل ذلك إشارة إلى نزوله في جبل
طارق : -

يا داره دار أمير المؤمنين بسفح الطود ، طور الهوى بوركت في الدور
ويصف الشاعر السفن التي أقلت الخليفة عبد المؤمن وحشوده ، ويحدد الطريق
التي سلكتها حتى وصل جبل الفتح : -
تسّم الفلك من شطر المجاز وقد
فسرّق يحملن أمر الله من طوك^{*}
لما تسابقن في بحر الزقاق به^{*}
ذو المنشآت الجوّاري في أجرتها^{*}
حتى رمت جبل الفتحين^{*} من كعب^{*} بساطع من سناه غير مبهور^(١)

وإنّ يشير الشاعر في هذه الأبيات إلى عبور الخليفة عبد المؤمن إلى الأندلس
ونزوله في جبل الفتح ، كذلك فأننا ندرك منها قوة الأسطول الموحدى وكثرة قطاعاته .
فقد أشارت المصادر إلى القوة البحرية الهائلة التي كان يتمتع بها المغرب والأندلس
في عصر الموحدين . كما أشارت إلى مصانع السفن التي كانت منتشرة في أرجاء الدولة^(٢) .

وورد في كتاب المغرب أنّ أبا جعفر بن سميد أنشد الخليفة عبد المؤمن
وهو بقصره في جبل الفتح قصيدة استهلّها بقوله : -

تكلّم فقد أصغى إلى قولك الدهر^١ وما لسواك الآن نهى ولا أمر^٢
والقصيدة لم يصلنا منها إلا بضعة أبيات ، وهي لا تزيد على أن تكون اشارة
بعبد المؤمن وثناء عليه بما هو أهله . وتخلل ذلك إشارة إلى نزوله في جبل
الفتح : -

* - جبل الفتحين : هو جبل الفتح ، ثناه الشاعر وهو مفرد تفاؤلا وثيقنا .

١ - ديوان الرضا في البلبسي : ج ٢٨٧ - ٢٩٠ .

٢ - المن : ج ٢ ص ٦٤ .

ألا إن قراة بدا لي بأفقر محياك أهل أن يغرله البدر
أطال على البحر المحيط مرقعا فذمه الشعرى وتوجهه التسر (١)
وتذكر المصادر أن الخليفة عبد المؤمن شكل أثناء إقامته في جبل الفتح
جيشا مشتركا من الأندلسيين والموحدين (٢) . وقد توجه هذا الجيش نحو
((فحصر بلقون)) فوجد النصارى قد استعدوا للقاء المسلمين ، فاشتبك الفريقان ،
وكان بينهما ((حرب شديدة نصر الله فيه المسلمين على أعدائهم الكافرين ، وكانت
هزيمة لم يعهد مثلها)) (٣) .

وقد قال أبو العباس الجراوى قصيدة في هذه الموقعة ، مما جاء فيها :-
أعليت دين الواحد القهار بالمشرفة والقنا الخدأ
ورأى بأن الإسلام قوة عينه وغدت بك الفرا دأر قرار
وسلكت من أرق الهداية لاجبا طوبى لمن يمشي على الأثوار (٤)
والأبيات توحى بتفوق المسلمين على أعدائهم في هذه المعركة ، وتحمل
إحساس النشوة بهذا الدافر الإسلامى .

ويسخر الشاعر من الأعداء حين يرسم مشهدا حيا ، للحالة النفسية التي
اعترتهم بعد هذه المعركة :-

وحللتكم جبل الهدى فحللتكم منه عقود عزائم الكفار
لو بدّلوا أقدامهم بقوادم داروا عن الأوطان كل مكار (٥)
وما عدا هذه الأبيات التي تشير إلى نتيجة المعركة ، فإننا لا نجد في
القصيدة أية إشارة تاريخية تعين على إقامة علاقة بينها وبين الحدث الذي قيلت
فيه ، حيث كانت القصيدة مفعولاً للإشارة بعيد المؤمن ، وتمجيد الانتصار .

١- انظر أبيات من القصيدة في : المغرب : ج ٢ ص ١٦٥ ، الإحاطة :

ج ٢ ص ١٦٦ ، التحلل الموشية : ص ١٦٠ ، مخطوط التحلل السندسية :
ورقة ٦١ ، وقد ترجم Dr. Conde القصيدة إلى الأسبانية ، ونقلها
Mrs Jonthan Foster عن الإسبانية إلى الإنجليزية . انظر :

Hist . of the dominion of the Arabs in Spain, Pp . 3-4

٢- التحلل الموشية : ص ١٢٩ ، البيان المغرب : ج ٣ ص ٤٦ .

٣- البيان المغرب : ج ٣ ص ٤٦ .

٤- البيان المغرب : ج ٣ ص ٤٦ - ٤٧ .

وفي سنة ٥٥٧ هـ عبرت جيوش موحدية ضخمة إلى الأندلس لانتقام للمهزيمة التي ألحقها ابن همشك (١) وحلفاؤه الصليبيون بالمسلمين في معركة من الرقاد بظاهر غرناطة (٢).

وفي مساء يوم الخميس، السابع والعشرين من رجب سنة ٥٥٧ هـ التقى الفريقان في معركة عنيفة في موضع السبيكة (٣). أبلى المسلمون في هذه المعركة بلاءً حسناً، وقتلوا جموعاً غفيرة من الأعداء، ولما بأت الصباح حتى انكشفت المعركة عن انهزام ابن همشك وحلفائه، وقتل معظم قادتهم وفي مقدمتهم ((الملج الذميم الأقرع)) الذي احترت رأسه، ورفعت على باب القنطرة في قرطبة (٤).

وقد قال الشواش السلمي في هذه المعركة قصيدة مطلعها :-

عزمت منصور العزائم غالب
ضمنت فتوح مشارق ومفسارب

وهذا المطلع حافل بمعاني القوة التي توحى بشعور التفوق.

والإشارة الصريحة إلى انتصار المسلمين في هذه المعركة كانت فيما يلي :-

يا سعد دين الله أفلح حزبه
وهوت عداؤه في عذاب واصب

ويقدم الشاعر صورة للقتال في هذه المعركة في الأبيات التالية :-

واستجدت بنجاحه وهمنهم
فقطعن عرعر البید غیر لواغب

بسوابق كوارق، ومواكب
ككواكب، وجنائب كخائب

كأثر أعداء الحصى وثقالب
منها غساح أجارع وأخاشب*

طعن على الأعداء سحباً للردى
سالت دما بأباطح ومذانب

١ - هو إبراهيم بن محمد بن مفرج بن همشك، رومي الأصل، كان في جملة النماميين

في إقصاء الموحدين عن الأندلس. انظر: الإحاطة: ج ١ ص ٢٦٦-٣٠٣،
المعجب: ص ٢٠٨.

٢ - وقعت سنة ٥٥٧ هـ. انظر: البيان المغرب: ج ٣ ص ٥١، الحلة السيرة: ج ٢ ص ٢٥٨.

٣ - السبيكة: - بسيط أخضر شاسع يقع جنوب شرقي الحمراء. الإحاطة: ج ١ ص ١١٦
تعليل رقم (٦).

٤ - انظر تفاصيل المعركة في: المن: ج ٢ ص ١٩٨، الحلة السيرة: ج ٢ ص ٢٥٨-٢٥٩، الإحاطة: ج ١ ص ٣٠١، ج ٢ ص ١٢٧.

* - الجنائب: جمع جنيبة، وهي الناقة التي تحمل الميرة، والخبائب: جمع خبيبة،

وهو الخط من السحاب أو الرمل. لسان العرب: مادتا ((جنب)) و ((خب)).

** - الأجارع: - الأرض المستوية، والأخاشب: - الجبال الفليضة الخشنسة.

لسان العرب: مادتا ((جرع)) و ((خشب)).

ولا نرى في الأبيات وصفا تفصيليا للقتال ، وإنما هي إشارة خاطفة يستشرف منها ضخامة الجيوش الإسلامية التي اشتركت في المعركة ، واستخدام المسلمين الخيول والإبل فيها ، وفتكهم بالأعداء .

وتذكر المصادر أن هذه المعركة وقعت ليلة الجمعة ، وقد أشار الشاعر السـ
ذلك : —

يومُ العُروبة (١) أَعْرَيْتَ فَتَكَاتُـهُ
في الكُفْرِ عَنْ فَتْحِ مَبِينٍ رَاتِبِ
ويتحدث الشاعر عن فتوح الموحدين في إفريقية وتغلّبهم على أعدائهم —
هناك : —

أَمْضِ إِلَى الشَّرْقِ الْقَصِيَّ عَزِيمَةً
نَالَتْ قِيَادَ أَعَاجِمٍ وَأَعَارِبِ
تبدو بها شمسُ النهار سَقِيمَةً
تشكو الضَّغْنِ مِنْهَا بِلَوْنِ شَا حَبِ (٢)
وقد أشار أبو الحكم بن رضى البلنسي إلى هذه المعركة في قصيدة ذكر فيها
ما تقدّم من الفتوح ، حيث قال : —

حالت على ابن عبيد بعد أقرعه
بها ، فأردتهما رجاجة جُولِ
ولم تدع مرد نيشا عند جولتها
يومُ العُروبة إلا وهُوَ مذهُولِ
سائل بغرناطة عنهم ومرسيّة
فعنّهم خبر في الناس منقُولِ
يجبك هامٌ وأشلاء ممزّقة
في كل قاع ومفوءٍ ومُشْكُولِ (٣)

وقد احتوت هذه الأبيات بعدد المعلومات الإضافية عن معركة السبيكة . فقد
ذكرت قادتها ، وهم : ابن همشك والآخر النصراني ، وتحدثت عن تضعف قوى ابن
مردنيش بعد هذه المعركة . وأشارت إلى يوم وقوعها ، وهو : يوم الجمعة ، كما
أشارت إلى كثرة قتلى الأعداء فيها .

وفي أول شهر ربيع الأول من عام ٥٦٠ هـ تحرّك السيد الأعلى أبو حفرة من
حضرة مراكن بمسكر مختار من أنجاد الموحدين متقدما به إلى قرطبة وإشبيلية لحمايتها
ودفع النصارى والأشقياء عن معمرها (٤) .

١ — وهم محقق كتاب المنّ عندما ضبط . ((العُروبة)) بضمّ الميم ((العُروبة)) ، نسبة

إلى العرب ، والصواب بفتحها ، وهو يوم الجمعة . انظر : لسان العرب : مادة

((عرب)) ، المنّ : ج ٢ ، ص ٤٢٧ .

٢ — الميّن : ج ٢ ، ص ٢٠٨ — ٢١١ .

٣ — المنّ : ج ٢ ، ص ٤٢٧ .

٤ — البيان المصنوع : ج ٣ ، ص ٦٣ ، المنّ : ج ٢ ، ص ٢٥٠ — ٢٥٣ .

رصد الشعراء هذه الحركة، ومن هؤلاء ابن حربون الذي قال قصيدة مطلعها :
 قد حَصَّحَ الحقُّ لا ريباً ولا غندُ هذي الفتوح التي كانوا بها وعدوا
 ويشير الشاعر إلى قدوم أبي حنيفة إلى الأندلس ونزوله فيها :
 خذوا بحقكم يا أهل أندلسٍ منها، فما لغاؤ من بعد ما رُشدُ

هذا سليلُ إمام الحق بينكم * لا المال مدخر عنكم ولا الولدُ

ويحدث الشاعر المكان الذي نزل فيه أبو حنيفة وهو جبل طارِق : —

انظر إلى مجمع البحرين كيف حوى من الفضائل ما لم يحوه بلدُ
 لاقى الكليم على الشاطئ به خضراً وفيه لاقى آخاه السيدَ السيدُ

وتدرك من البيتين أنَّ السيدَ أبا حنيفة قد التقى في جبل الفتح بأحد السادة
 الموحدين، وهو — فيما يروى ابن صاحب الصلاة — أبو سعيد عثمان (١). وقد استوحى
 الشاعر القصص القرآني عندما قرن لقاء أبي حنيفة بأخيه في مضيق جبل طارِق بما ذكره
 بعض المفسرين عن التقاء نبي الله موسى بالخضر عليه السلام في المكان نفسه (٢).

ويضفي الشاعر على قصيدته سمة الواقعية في الوصف حين يتحدث عن التشكيلات
 البحرية التي أقلت الجند المسلمين وعبرت بهم البحر إلى الأندلس : —

يا من رأى الخُلُك فوق الموج طافيةً كما كفات قباها وسطها العمودُ
 ينساب منهن في أغلى غواريسه أساود سكنت أجوافها أسودُ

وفي القصيدة ذكر صريح لاسم أبي حنيفة الذي قاد هذه الجيوش : —

بحر كأن أبا حنيفة بصهوتسه لقمان والمركب الجارى به لبد

ويذكر صاحب المن أن ابن حربون كان شاجد عيان لحركة أبي حنيفة (٣)،

لذلك فإننا نطفر بوصف حي لتقدم الجيوش الإسلامية التي رافقته : —

ها أنما كالدبا تنساع نحوكم فيها الحفاظ وفيها الصبر والجلدُ
 ترى الكماة التي ما شأنها خورهُ على الجياد التي قد زانها الجيدُ
 شيب ومرد ينادى بالبأس أن ركبوا : أين النواة الأولى قد طال ما بُردوا

١ — المن : ج ٢، ص ٢٥٣، وأبو سعيد هو أحد أبناء الخليفة عبد المؤمن . المن :

ج ٢، ص ٢٢٢.

٢ — انظر : — كتاب التسهيل : مجلد (١) : ج ٢، ص ١٩١ — ١٩٣، قصص الانبياء :

ص ٣٠٢.

٣ — المن : ج ٢، ص ٢٥٣.

طنّوا بها قد أتت تُزجي مقانيها
وللذّ وابل في أرجائها نفسم
من كلّ أزرّق آثار الدّما به
مثل الرّواعد فيها البرق والبُرْد
كأنّ كلّ سنان طائر غرر
كأنه مقلّة قد مسّها رُمْد (١)

والأبيات تقدّم صورة حيّة للجيوئن الإسلاميّة المتقدّمة . فهي كثيرة العدد ، واسعة الانتشار ، سريعة الحركة ، تضمّ فرسانا مجرّبين ، يمتطون عسوات خيول أصيلة ، ويحملون رماحا سامقة بدت عليها آثار الدّما . وأخال أن الشّاعر لم يكن مبالغاً في وصفه ، فقد أشارت الرواية الإسلاميّة إلى ضخامة الجيوئن الإسلاميّة التي عبرت مع أبي حفص (٢) .

وهكذا فالقصيدة ذات محور واحد تنشد في إليه خيوطها جميعاً ، وهو وصف حركة أبي حفص إلى الأندلس ، وقد أتى الشّاعر في هذا الوصف ببعض المعلومات التاريخية المفيدة .

ويبدو أن عبور أبي حفص إلى الأندلس قد استحقّ من هذا الشّاعر أكثر من قصيدة ، فهناك قصيدة أخرى قالها عندما عاد أبو حفص من حرّكه ، وقد استهلّها بقوله : —

بأيمن طائر كان الإيـاب
وأنجح مَطلب بلغ الطّـلاب

وقد اتخذت القصيدة منذ البداية طابع التهنئة بالعودة ، ونظفّر خلال ذلك بإشارات إلى عبور أبي حفص إلى الأندلس على رأس جيش ونزوله فيها : —

دلفتم بالأسود إلى بلاد
أشبهتها غداة حللتهمها
ثوت حجّجا تعيثُ بها الدّثاب
بلاّ الدّجذب حلّ بها السّحاب !

ويذكر ابن صا حب الصلاة أن عددا كبيرا من أبناء القبائل العربيّة عبر مع أبي حفص إلى الأندلس في حرّكه هذه (٣) . وقد أشار الشّاعر إلى ذلك قائلا : —

جمعتُ من بني قيس عويـبا
تجانس جيشهم لفظاً ومفـتى
تسيلُ بها المـحاني والقـصاب
فهم عربّ وخيلهم عـراب

وندرّك كثرة الجيوئن التي عبرت مع أبي حفص من البيت التالي : —

١ — الميّ : ج ٢ ص ٢٥٣ — ٢٥٧ ، البيان المغرب : ج ٣ ص ٦١ .

٢ — الميّ : ج ٢ ص ٢٥٠ — ٢٥١ .

٣ — الميّ : ج ٢ ص ٢٥١ .

سَرَى عَنْكُمْ بِبَحْرِ مَكْفَهٍ سَرَّ
يُصَبُّ عَلَى الْعَصَا بِهِ الْعَذَابُ (١)

وهناك قصيدة أخرى قالها ابن حريون في المناسبة نفسها ، مطلعها : -
حُثُوا الْمَطْلَى فَقَدْ قَضَتْ أَوْطَارَهَا وَاحْدُوا إِلَى بَابِ الْأَمِيرِ قُدَّارَهَا

والقصيدة كسابقتها اتخذت طابع المدح ، والإشارة بأبي حفص ، وتمنتتسه
بالمسودة ويتخلل ذلك حديث عن عبوره إلى الأندلس بوصف للجيش الذي دخل معه ،
يقول : -

جَهَزْتُمْ نَحْوَ الْأَعَادِي فَمِلَقَاً سَحَابَ أَذْيَالِ الْقَنَا جَرَّارَهَا
جَاءُوا تَقَدَّمَهَا السَّعُودَ طَلَائِعَا وَتَرَى مَلَأَكَةَ الْمُلَا أَقْصَارَهَا
لَبَسَتْ بِهَا شَمْسُ الظَّهِيرَةِ حُلَّةً خَلَطَ الْمَجَاجُ لَجِينَهَا وَنَضَارَهَا
فَتَطَلَّعَتْ مِنْهُ تَطَالُحُ غَادَةٍ تَبَدُّو وَأَحْيَانًا تَضُمُّ خَمَارَهَا (٢)

وهذه الأبيات لا يستشف منها إلا الإشارة إلى عبور أبي حفص إلى الأندلس
على رأس جيش ، وتصوير انفعالات الشاعر إزاء ذلك ، دون أن يجد الدارس فيها
حديثاً تفصيلياً عن هذه الحركة ، والجيش التي رافقتها .

وهناك مقطوعة لابن حريون قالها في حركة أبي حفص ، وهي في مجملها إشادة
بشجاعة أبي حفص وعلو همته ، وصفاء عزمته ، دون أن يوجد فيها ما يستفاد به من
معلومات تاريخية (٣) .

وقد قال الشواش الشلبي قصيدة في هذه الحركة مطلعها : -

وَعَحَّتْ بِأَنْوَارِ الْهَدْيِ قَسَمَاتُهُ مَوْبَانَتْ الْهَدْيِ الْقَوِيمِ سِمَاتُهُ (٤)

كذلك فقد قال الكاتب أبو عبد الله الشاطبي (٥) قصيدة مطلعها : -

سَلَامٌ كَمُفْرِ الرَّوْثِ رَغَبَ قِطَارِهِ تَحِيَّةٌ مَشْتَاقِ الْفُؤَادِ مُطَارِهِ (٦)

وكلتا القصيدتين تخلو من أية لمسات تفصيلية أو إشارات تاريخية عن حركة
أبي حفص ، وتحولت إلى مخرج إشادة به وبالاخلاق الموحدة .

١ - المن : ج ٢ ص ٢٦٢ - ٢٦٤ .

٢ - المن : ج ٢ ص ٢٦٥ - ٢٦٦ .

٣ - انظر : - البيان المفرب : ج ٣ ص ٦١ ، المن : ج ٢ ص ٢٥٦ - ٢٥٧ .

٤ - البيان المفرب : ج ٣ ص ٦٢ ، المن : ج ٢ ص ٢٦٠ - ٢٦٢ .

٥ - لم نشر على ترجمة فيما قرأناه .

٦ - المن : ج ٢ ص ٢٦٦ - ٢٦٨ .

وفي عام ٥٦٠ هـ خرجت من إشبيلية جيوش موحّدية ضخمة بقيادة أبي حنيفة، واتّجهت نحو مرسية بقصد غزو ابن مردنيش وحلفائه.

وفي الوقت نفسه كان ابن مردنيش قد حشد قواته. وفي السابع من ذي الحجة سنة ٥٦٠ هـ التقى الفريقان في معركة عنيفة في موضع يعرف بـ ((فحس الجلاب)) (١).

استمرت المعركة حتى مغيب الشمس، وقد أهلك المسلمون فيها بلاً حسناً، وفتكوا بأعدائهم فتكا ذريعاً، وانجلى القتال عن انهزام ابن مردنيش وحلفائه، وتشتت قواهم (٢).

وقد قال شاعر مجهول قصيدة في هذه المعركة يبشر فيها بالانتصار، استهلها بقوله : —

لَقَدْ بَلَغَتْ جِهَادُكُمْ مَدَاهَا	وَنَالَتْ مَا أَرَادَتْ مِنْ عِدَاهَا
وَمَا هِيَ فَاسْأَلُوا إِلَّا صَبَاحَ عَتَمِهَا	بِحِمْلِ اللَّهِ قَدْ حَمَدَتْ سُرَاهَا
تُعَدُّ رِضًا كُمْ عِزًّا وَجَاهَهَا	فَمَا تَشْكُو عَلَى حَالٍ وَجَاهَهَا
تَهْمُ بِحَدِّ طَاعَتِكُمْ فَتَطْلُوِي	بِسَادِ الْقُفْرِ حَتَّى قَدْ طَوَاهَا

ونستدلّ من الأبيات انتصار المسلمين على أعدائهم في هذه المعركة، إلا أنّها جاءت خالية من الحماسة التي تتناسب مع روح الانتصار العسكري الذي تشير إليه، فهي أشبه بالأخبار التقريرية.

ويحدد الشاعر بعض مواقع القتال وهي : أرض الشرق وتدمير (٣)، ويصف ما نال العدو فيها : —

لَقَدْ شَنَّتْ بِأَرْضِ الشَّرْقِ حَتَّى	أَبَاحَتْ بَعْدَ مُنْعَتِهَا * جَمَاهَا
أُتِيحَ بِهَا لُتْدُمِيرٌ دَمَارٌ	فَذُكَّ عَلَى تَرَائِبِهَا رِيَاهَا

وينفرد الشاعر بذكر غزو المسلمين مدينة تدمير وفتكهم بها، وهذا ما لم تشر إليه الرواية التاريخية.

- ١ — فحس الجلاب : يقع على بعد عشرة أميال من مرسية. المن : ج ٢ ص ٢٧٣.
- ٢ — انظر أخبار هذه الموقعة في : المن : ج ٢ ص ٢٧٢-٢٨٢، الحلة السيرا : ج ٢ ص ٢٦٠، الإحاطة : ج ٢ ص ١٢٧.
- ٣ — تدمير : هو الاسم القديم لكورة مرسية، الحلة السيرا : ج ١ ص ٦٢.
- * — ورد في البيان المفرب : ((محتنها)) ج ٣ ص ٦٥.

وقد أشارت المصادر إلى عنف المعركة وضراوة القتال فيها ، ويمكن أن نتلمّس طرفاً من ذلك في الأبيات التالية : -

ألا لله أبيُّ مقامٍ هـُـوَلٍ كَحُلِّ الرَّاسِيَّاتِ لَهُ حُبَاهَا
إِذَا سَمِعَ الْقَنَازِئُ حَدِيثاً ثَنَى أَعْطَافَهُ دُكْرِيَا وَتَاهَا
تَرَكَمْتُ الْقَسَاطِلُ فِيهِ حَسْبَتِي جَلَّتْ أَنْوَارُ سَعْدِكُمْ دُجَاهَا

ويشير الشاعر إلى فتك المسلمين بالأعداء وقتل معظمهم : -
ذَرَبْتُهُمْ فِيهِ رِيحُ النِّصْرِ لِحُسْنِهَا غَدَاةً أَدَارَتْ الْهَيْجَا رَحَاهَا

ويذكر ابن صاحب الصلاة أن ابن مردنيش عندما عاين مصارع أصحابه وأحزابه الكفرة ، ولّى مهزوماً واستند إلى جبل قريب من المعركة إلى أن ستره الليل ، فركب فرسه وقرّ إلى مرسية (١) . وقد ضمّن الشاعر هذه المعلومات قصيدته : -

فَإِنْ يَنْجُ اللَّحْيُنُ لَفِيرٍ مَنْجَى لَقَدْ فَفَرَتْ شُعُوبٌ عَلَيْهِ فَاهَا
تَكْتُمُ فِي غَمَارٍ أَوْ غَيْبَارٍ وَعَيْنُ الْحَرْبِ لَمْ تَطْحَرْ قَدْ اهْكَأ
وَوَلَّى يَقْطَعُ الْبَطْحَاءَ شَكْرًا عَلَى شَوْهَاءٍ مَا وَنَيْتُ شَوَاهَا
وَلَوْ فَاتَتْ وَمِيْزَ الْهَرَقِ عَدُوًّا لَخَطَّاهَا وَلَمْ يَحْمَدْ خُطَاهَا
وَبَاتَ يَصَارُ الظُّلْمَاءُ وَهْنًا وَيَحْسَدُ مِنْ كَوَاكِبِهَا سُهَاهَا (٢)

وهكذا فقد استوعب الشاعر بعض الحقائق التاريخية عن هذه المعركة فهي قصيدته ، مثل : - الإشارة إلى انتصار المسلمين ، والتلميح إلى عنف القتال . وكثرة قتلى الأعداء ، وتحديد بعض مواقع العمليات العسكرية ، ووصف فرار ابن مردنيش بدقة . ومع ذلك فإن القصيدة خلت من الروح الحماسية التي تناسب أجواء الحرب .

وفي الثاني والعشرين من شهر شعبان سنة ٦٤ هـ دارت حول مدينة بطلوس معركة عنيفة استطاع المسلمون في إثرها تحرير المدينة من الصليبيين الذين كانوا قد احتلّوها في شهر رجب من عام ٦٤ هـ (٣) .

وقد قال ابن حربون قصيدة في هذا الفتح مطلعها : -

- ١ - الميّ : ج ٢ ص ٢٧٤ .
- ٢ - الميّ : ج ٢ ص ٢٨٣ - ٢٨٥ ، البيان المغرب : ج ٣ ص ٦٥ .
- ٣ - الميّ : ج ٢ ص ٣٨٠ - ٣٨٢ ، البيان المغرب : ج ٣ ص ٨٠ - ٨١ ، أشباخ : ص ٢٨٠ .

بسمرك أضحى الدين جذلانَ باسمَا وباسمك أسمى الشرك للشرك هاربًا
ويحمل هذا المعالج مشاعر الابتهاج التي يستشف منها انتصار المسلمين
على أعدائهم، كما يوحي باشتراك بعض المشركين مع المسلمين في فتح مدينة
باليوس، ولا شك أن هؤلاء المشركين هم قرانده البهوج وجنوده. فقد ذكر المؤرخون
أن البهوج هذا قد أمد المسلمين بجند من عنده في هذه المعركة (١).
والإشارة الصريحة إلى مخالفة البهوج المسلمين في هذه المعركة ومسالمة لهم
كانت فيما يلي : —

بحلفكم الميمون أدرك شاره^٢ وإن لم يجثكم مسلماً فمسا لما
ويذكر ابن صاحب الصلاة أن القائد الصليبي الذي هزم في المعركة هو
ابن الرنك (٢)، وقد أشار الشاعر إلى ذلك : —
وكيف رأى ابن الرنك مركباً بغير
إذا اعتاغر من دهم الجبابر الأدا
وإن يتستصها محارم عزيمة^٣ فيها هو قد لاقى عليها المحارم
لقد رام منها شهدة ما استساغها ولا لا كها حتى استحالت علقماً (٣)
فالشاعر الذي شاهد غارات ابن الرنك على الأندلس فطرة من الوقت لم تفته
ملاحظة الوضع الجديد الذي آل إليه بعد هذه المعركة.

والقصيدة — على ما أولها — لم تخصر للموضوع الرئيسي — وهو فتح مدينة
باليوس — إلا أبياتاً معدودة. وهذه الأبيات ليس فيها عن الفتح إلا الإخبار به.
والإشارة إلى مخالفة البهوج المسلمين، وذكر القائد الصليبي الذي هزم في هذه
المعركة.
ويروى ابن عذارى المراكشي قصيدة لأبي العباس الجراوى قالها في فتح مدينة
باليوس، مسالمة : —

-
- ١ — المَن : ج ٢ ع ٣٨٠ — ٣٨٢ .
 - * — ورد في البيان المغرب ((بخلقكم)) .
 - ٢ — المَن : ج ٢ ع ٣٨٠ .
 - ٣ — المَن : ج ٢ ع ٣٨٤ — ٣٨٧ ، البيان المغرب : ج ٣ ع ٧٦ و ٨٢ .

نَصْرٌ بِكُلِّ سَعَادَةٍ مَقَرُونُ نالت به الدنيا المُنَى والذِّمْنَ (١)

ويوحى المطالع بانتصار المسلمين ، وقد قدّم الشاعر هذا النصر في إطار من التفاؤل والاستبشار . والقصيدة بعد هذا المطالع ما هي إلا أبيات يشيّد الشاعر فيها بقائد الفتح ، دون أن يجد الدّارس فيها أية إشارة تاريخية لفتح مدينة هبليوس .

وفي السابع والعشرين من شهر رمضان سنة ٦٦ هـ عبر الخليفة يوسف البحر بجيش ضخم للقيام ببعض الأعمال الجهادية في الأندلس . وكان الخليفة قد احتفل بذلك احتفالا عظيما ، فاستدعى العرب من أرض إفريقيا والزّاب (٢) ، وجمع الموحّدين من أرض العدو ، واستنصر صنف الأجناد والمطوعة .

مكث الخليفة يوسف في الأندلس خمسة أعوام قام خلالها ببعض الغزوات لسمّيجن من ورائها ما كان يرتجى من النصر (٣) .

رصد الشعراء هذه الحركة ، وقالوا القصائد فيها ، ومن هؤلاء الأستان ابن سيّد الإشبيلي ، الذي قال قصيدة استهلها بوصف الجيش الذي عبر مع الخليفة يوسف : —

السَّعْدُ يقدّمُ والعزائمُ تصدّقُ والنَّصرُ بينهما يخبُ ويَقْنَقُ
وأما مَها ملكُ أغرُ يحقُّه جيشٌ تفرُّ به البلادُ وتشرقُ
ملأ البسيطة منه بحرٌ زاخرٌ في لجّته كلُّ بحرٍ يفرقُ

وحدث الشاعر عن الجيش المسلم يوحى بكثرتة ، ويصوّر تقدّمه بقيادة الخليفة يوسف .

وقد تحدّث ابن سيّد عن موقف ابن مردنيش المتعاون مع العدو ، والصق به مجموعة من الصفات التي تميّز من شأنه ، وتوغر المقلوب عليه (٤) .

ويراوح الشاعر بين مدح الخليفة يوسف والحديث عن سبب عبوره إلى الأندلس : —

* — ورد في البيان المغرب ((نظر)) .

١ — البيان المغرب : ج ٣ ص ٨١ .
٢ — الزّاب : كورة عظيمة ، ونهر جرار على سمت البلاد الجريدية . عليه بلاد واسعة ، ومدن كثيرة . معجم البلدان : مادة الزّاب .

٣ — انظر : — البيان المغرب : ج ٣ ص ٩٢ ، المن : ج ٢ ص ٤٣٦ — ٤٥٣ ، التاريخ الأندلسي : ص ٤٦٢ .

٤ — انظر : ص ٢١ من هذا البحث .

— ١٤٤ —

ملك أفاثر على الجزيرة رحمة
واقي ليرتق فتقها لما رأى
أحيا الرجاء بها حيله* المفرق
أن لا سواء يسئله أو يرتبـق
ويشي التعمير الشعري باستشراء الضعف في قوة المسلمين في الأندلس ، وتنبه
الشاعر لذلك . فالخليفة عبر اليها ((ليرتق فتقها)) .

ويصور الشاعر حقيقة تاريخية عن الدولة الموحدية حين يقول :-
ولقد تيقن أن ستفتح فارس
بجنود وقسرا وتفتح جلق
ولم يكن هذا القول مبالغة من مبالغات الشعراء . فقد كانت الدولة الموحدية
تسمى إلى ((وحدة إسلامية)) تربط بين أجزاء العالم الإسلامي ، لذلك فقد تحدث
الشعراء الموحدون عن فتح فارس ودمشق ، أو عن المشرق والمغرب (١) .
ويشير ابن سيّد إلى نزول الخليفة يوسف في مدينة إشبيلية :-
أوما ترى الأيام تندى نضرة
من حل حصا واليالي تشرق
ويتحدث الشاعر عن الاستقبال الحافل الذي أقيم للخليفة يوسف عندما دخل
مدينة إشبيلية :-

برزوا ليوم بروزه في عارض
يقي اللسان لوصفه والمنطق
من كل نوامير كلما حضر الوغى
بسلت به حوماتها والمسايق
وقفوا على سوق لرؤية وجهه
وبودهم أن الرؤوس الأسوق
وقد قال الشيخ ابن المنخل الشلبي قصيدة في المناسبة السابقة مالمعها :-
شرف الخلافة أن ملكت زمامها
وغدت من عقب الإمام أمانها
وقد أشار ابن المنخل الشلبي إلى قدوم الخليفة يوسف إلى الأندلس ، وقيادته
الجيوش لجهاد الأعداء ، والدفاع عن الإسلام :-

لما رأيت الدين أظلم جـوه
أقبلتها شعث النواصي شـزبا
والحرب قد سدت عليه قتاهها
جسدا تباري في الفلاة سماءها

* - قرئت في المن ((حياة)) .

- ١ - مجلة التربية الوطنية ، الرباط ، شهر مارس ، سنة ١٩٦٢م ، ص ١٦-٢٢ ،
وعدد إبريل من السنة نفسها : ص ٢١-٣١ .
- ٢ - المن : ج ٢ ص ٤٥٤-٤٥٧ .
- ٣ - المن : ج ٢ ص ٤٥٨-٤٦١ .

ويظهر من القصيدة أن مدح الخليفة يوسف كان هدفاً للشاعر، لذلك فإن الدارس لم يعثر فيها على أية إشارة تاريخية مفيدة عن عبوره إلى الأندلس إما عدا البيهقيين السابقين .

وقد أشار أبو العباس الجراوي إلى القطاعات البحرية التي راغقت الخليفة يوسف في حركته إلى الأندلس، وذلك ضمن قصيدة قالها في هذه الحركة :-

وَصَلَّتْ وَصَلَّتْ فَلَا مَوَاهُ تُجَسِّرِي وَغَلَبَ الْأُسُودُ تُحَذِّرُ فِي شَرَاهَا (١)

وفي سنة ٥٦٨ هـ بدأ فراند، الببوج ((صاحب السباط)) بمهاجمة بلاد المسلمين ناقضاً بذلك المعاهدة التي توهمته بالموحدين (٢). وعلى الفور أمر الخليفة يوسف بغزوه في عقر داره ((السباط))، فخرج أبو جعفر من إشبيلية في الثالث من صفر على رأس جيش إلى تلك القاعدة، فهاجمها بقواته، وقتل بها، إلا أنه لم يستطع احتلالها (٣).

وقد قال أبو علي الأشيري قصيدة في هذه المعركة استلهمها بقوله :-

دارت رحا الهلكات بالسباط وسطا بها ريب الزمان الساطي
وأهين فيها الشرك، أي إهانة شفت كربه هياطها بميات
إن لم تقم فيها قیامة ملکهم فلقد رأوا جملاً من الأشراط
وأصارها وطء الجيار هشيمة سوداء معتبراً لعین الواطي

وقد تألفت الصياغة الشعرية في الأبيات السابقة مع المعنى لا ليحا، بمعنى المعركة، وضراوة القتال، وفداحة التدمير الذي لحق قاعدة السباط العسكرية، لذلك جاءت الأبيات حافلة بمعاني القوة والضخامة.

وندرك من القصيدة عدم تمكن المسلمين من احتلال هذه المدينة :-

١ - البيان المغرب: ج ٣، ص ٩٣-٩٤ .

٢ - البيان المغرب: ج ٣، ص ١٠٣، المن: ج ٢، ص ٥١٨-٥١٩ .

٣ - اختلفت المصادر في تاريخ هذه المعركة، فقد جعلها ابن صاحب الصلاة سنة ٥٦٨ هـ، وابن الأثير سنة ٥٦٩ هـ، وابن عذاري سنة ٥٧٠ هـ . انظر: المن: ج ٢، ص ٥٢١-٥٢٢، التكملة: ج ١، ص ٢٧٠، البيان المفسر: ج ٣، ص ١٠٤ .

لولا خروج الفصل عن معتباره لم يمهّلوا مقدار سمّ خباط
ولمّا ينوّا من أخذهم بذنوبهم ما عاين النعمان في * ساباتر * (١)

وإن لم ينقل أبو علي الأثيري صورة حية للقتال الذي دار في معركة السباط، فإن أبياته أوحى بالجوّ العام لتلك الواقعة. وقد تخلل ذلك بعض الإشارات التاريخية عن المعركة، مثل: تحديد مكانها، وهو: مدينة السباط، وتصوير فداحة التدمير الذي لحق تلك المدينة، والإشارة إلى إخفاق المسلمين في احتلالها. وقد سجّل الشاعر لنا غوق هذا وذاك مشاعر الحقد والكراهية التي كانت تملأ نفسه على أولئك الأعداء.

وقد قال أبو العباس الجراوي قصيدة في معركة السباط، والقصيدة منسوبة
مطلعها إشارة بقائد المعركة أبي حنيفة: —

عن أمركم يتصرّف الثقلان — ونصركم يتعاقب الطلوان ***
وبما يسوء عدوكم ويسركم — تتحرّك الأفلاك بالسدران (٢)

وعلى الرغم من المبالغة التي تظهر في هذه الأبيات، فإن هذه الإشارة مرتبطة
بالجوّ العام للمناسبة، بماذ يلمح فيها تفوق أبي حنيفة على أعدائه، ومشايعة القدر
له... ومن هذا ندرك نتيجة المعركة، وانتصار المسلمين.

وفي أواخر محرّم سنة ٥٨٦ هـ تحرّك الخليفة المنصور من رباط الفتح (٣)، وتماهى
السير إلى قصر مموده (٤). وجدر من هناك المخاطبات إلى أهل الأندلس

* — ورد في زاد المسافر ((من)) .

* — الإشارة إلى قصة النعمان بن المنذر مع أبرويز ملك الفرس. انظر: معجم
البلدان: مادة: سابات كسرى .

١ — زاد المسافر: ص ١٠١ .

* — الطلوان: بفتح الميم واللام الثانية: الليل والنهار. لسان العرب: مادة
((ملا)) .

٢ — البيان المغرب: ج ٣، ص ١٠٤ .

٣ — رباط الفتح أو المهدية يقع على شاطئ المحيط الأطلسي، وقد اهتم به الموحدون .
المن: ج ٢، ص ٤٤٦ .

٤ — قصر مموده: هو قصر المجاز، لا يبعد عن طانجة، وتقابله جزيرة طريف من
الأندلس. ومنه غالباً كان يتم عبور الجيوش إلى الأندلس. انظر: — مقدّمة
الفتح: ص ٢٢، وصف المغرب: ص ١٦٦ .

يبشرهم بقدمه مع جيوشه إليهم . وفي أثناء ذلك بدر من بواكير الفتوح ما عكس أجفان الروم ، فقتل منهم خلق ، وأسر آخرون (١) ، ((فهنيئاً بذلك المنصور وامتدحه الشعراء)) (٢) ومن بينهم أبو بكر بن مجبر ، الذي قال قصيدة طويلة لم يبق منها إلا جذبات أبيات ، وهي منذ صالحتها : —

دلائل * فتح كان يذخرها الدهر فلما أردت الفوز أبرزها النصير
فها هي * مذ جدت ركابك تنبري سراعاً ، فمن أفراحها الشفع والوتر
فدونكها منسوقة فلشد مـ تسابق فيها نحوك البر والبحر
هو الفتح يا مولاي ما فيه مريـ ولا للليالي في تعذره عذر

ونستشف من هذه الأبيات صغر هذا الانتصار وضآلة نتائجه ، لذلك فقد اعتبره الشاعر بشري بين يدي فتوح أخرى يذخرها الدهر للخليفة ، كما أكدّه وأبرزه في البيت الأخير بصورة تعبيرية خاصة .

ويستوعب الشاعر ما ذكرته الرواية التاريخية حين يشير إلى وقوع بعض القتل في صفوف الأعداء ، وأسر بعض جندهم . ويظهر أن هؤلاء الأسرى كانوا قلة : —
أتتلك أسارى الروم وهي أغلبها فمن فضلات القتل ينتجع الأسر
وما كان قبل اليوم سهل مرأها ولكن علا الإسلام ما تضع الكفر
وحين يشيد الشاعر بالخليفة المنصور يبصره بواقع الأندلس ، ويحثه على العناية بها : —

لقد أيقنت هذي الجزيرة أنها سيجبرها من لا يهاغر له جبر
لئن كان مات الأمن في جنباتها فقرب أمير المؤمنين له تشـ (٣)

والقيمة التاريخية لهذين البيتين تبدو في دراسة واقع الأندلس الإسلامية في هذه الفترة ، فإن فيهما إحياءات بذلك الواقع : فقد ((مات الأمن في جنباتها)) .

١ — انظر تفاصيل ذلك في : — البيان المغرب : ج ٣ ص ١٧٧ ، الروز المعطار : مادة شلب ، ص ٣٤٢ .

٢ — البيان المغرب : ج ٣ ص ١٧٧ .

* ورد في الروز المعطار ((قلائد)) . هذا ولم يرد في المصدر السابق إلا هذا البيت . الروز المعطار : مادة شلب ، ص ٣٤٢ .

٣ — البيان المغرب : ج ٣ ص ١٧٧ .

وهكذا سجّل ابن مجبر هذه الحادثة في شعره، ومع أنه أشار إلى صفرها، وضآلة نتائجها، وأسرى الأعداء، فإنه لم يقدم في قصيدته معالم واقعة معينة تمين على ربط القصيدة بالحدث الذي قيلت فيه.

وقد أثار عبور الجيوش الإسلامية بقيادة المنصور أسباب الجزع بين الصليبيين؛ فبادر ملوكهم إلى طلب الصلح من الموحدين، إلا أنهم ردوهم؛ فتكرر الطلب منهم؛ فاستجاب الخليفة لهم لأنه رأى مصلحة المسلمين في افتراق كلمة الكفر، وعقد الصلح مع ملكي قشتالة وليون (١).

وقد نسب إلى شاعر لم يذكر اسمه قصيدة قالها في هذه المناسبة لم يبق منها إلا ثلاثة أبيات هي :-

أهل بآن يُسقى إليه ويرتجى	ويزار من أقصى البلاد على الرجاء
من قد غدا بالمكرات مقلدا	وموشحا، ومختما، ومتوجعا
عمرت مقامات الملوك بذكرهم	وتعطرت منه الرياح تارجعا (٢)

والأبيات في مجموعها إشادة بالخليفة المنصور، وهي إشادة مستوحاة من طبيعة الموقف. ويستشف منها أن هناك سميا موجها لهذا الخليفة، وهو - دون شك - سمى ملوك الصليبيين ورجاؤهم.

وفي سنة ٥٨٦ هـ قام الخليفة المنصور بتمييز (٣) الجيوش الموحدية، وفرّق فيها البركة، وأمر بمقد الرايات، وخرج من قرطبة غازيا متجها نحو الشمال الغربي إلى وادي التاج (٤) * وقد قال أبو بكر بن مجبر في هذه الحركة قصيدة لم يبق منها إلا ما يلي :-

- ١ - رسائل موحدية : ص ٢٢٢-٢٢٣، وفيات الأعيان : ج ٧ ص ٤، البيان المصرب : ج ٣ ص ١٧٦-١٨٠.
- ٢ - النفح : ج ١ ص ٤٤٤.
- ٣ - تمييز الجيش أي استعراضه عند كل مناسبة هامة. وهي عادة عرفت منذ عهد ابن تومرت، وكان يقصد منها تنظيم الجيش، والحرص على انسجام الكتائب، وقد كان للتمييز ديوان خاص. انظر : أخبار المهدي : ص ٢٩، ص ٣٢-٣٥.
- ٤ - البيان المصرب : ج ٣ ص ١٧٩، الرونر المصطار : مادة شلب، ص ٣٤٢.
- * - نهر التاج : نهر عظيم يشق طليطلة، ويصب عند لشبونة في المحيط - صفة جزيرة الأندلس : ص ٣٤٢.

بُشْرَايَ ٥. ذَا لَوْاءٍ قَلَّ مَا عَقِدَا
وَأَقْبَلُ النَّسْرُ لَا يَمُدُّ وَمَنَاحِيَهُ
وَاسْتَقْبَلَتْهُ تَبَاشِيرُ الْفَتْوحِ وَقَدْ (٢)
وَقَرَّبَ الْفَلَكَ الدَّوَّارُ يُفَيْتِكُهُ
أَمَامَ حَيْسٍ أَرَادَ اللَّهُ نَصْرَتَهُ
إِنِّي لِأَحْكُمُ بِالنَّصْرِ الْعَزِيزِ لَهُ
يَا لَأَوْمَدَ لَهُ الرُّوحُ الْأَمِينُ يَسُدَا
فَحَيْثُمَا قَصَدَتْ رَايَاتُهُ (١) قَصَصَا
كَارَتْ تَكُونُ عَلَى أَكْثَافِهِ (٣) لُبْدَا *
فَلَوْ تَنَاولَ بِعَدْرِ الْفَلَكَ مَا بُعِدَا
فَأَرْسَلَ الْمَلَأُ الْأَعْلَى لَهُ مُسَدَدَا
وَإِنْ سَكَتَ فَإِنَّ الْوَحْيَ قَدْ شَهِدَا (٤)

ونذكر من الأبيات انعقاد ألوية المسلمين، وتجهيزهم للغزو. إلا أننا لا نعرف فيها على أية إشارة تاريخية عن وجهة هذه القوات وتركيبها وقيادتها... أو غير ذلك، مما يمين على استيحاء حدث معين منها. فهي مجموعة من الانفعالات المستوحاة من طبيعة الموقف.

وفي غرة ربيع الآخرة من سنة ٥٨٧ هـ خرج الخليفة المنصور من إشبيلية بجيوش كثيفة ((حسنة الأمانة والهيئة والنظام)) (٥)، واتجه نحو مدينة شلب (٦) لاستعادتها. استمرت هذه الغزوة ثلاثة أشهر استطاع المسلمون فيها استرداد مدينة شلب، وقنسر أبي دانس (٧)، وحصن قلالة (٨) * *

- ١ — ورد في البيان المغرب: ((أريابه)) .
- ٢ — ورد في البيان المغرب: ((فقد)) .
- ٣ — ورد في البيان المغرب: ((أكثافه)) .
* لم يرد في الروض المعطار إلا الأبيات الثلاثة الأولى .
- ٤ — البيان المغرب: ج ٣، ص ١٧٩، الروض المعطار: مادة شلب، ص ٣٤٢ .
- ٥ — عصر المرابطين والموحدين: ج ٢، ص ١٨٦ .
- ٦ — شلب: تقع على مقربة من شاطئ المحيط الأطلسي جنوب باجة. تقويم البلدان: ص ١٦٧ .
- ٧ — نسبة إلى بانيه أبي دانس، يقع جنوب شرقي أشبونة، ويطلق عليه ((قصر الفتح)) .
جمهرة أنساب العرب: ص ٥٠١، الحلة السيرا: ج ٢، ص ٢٧٢ .
- ٨ — حصن قلالة: حصن منيع يقع شمال مدينة شلب. البيان المغرب: ج ٣، ص ١٨٥ .
* * انظر أخبار هذه الغزوة في مـ البيان المغرب: ج ٣، ص ١٨٥—١٨٦، المعجب: ص ٣٥٦، الروض المعطار: مادة شلب، ص ٣٤٢—٣٤٣ .

ويظهر أن الشاعر أبا بكر بن مجبر كان مرافقاً للجيش في هذه الفزوة الطويلة، ويبدو هذا في قصيدة قالها يحن إلى وطنه بعد الفزوة سنة ٥٨٧ هـ. ولم يبق من القصيدة إلا ما يليها : —

دعا الشوق قلبي والركائب والركبا
فلبوا جميعاً وهو أول من لبس
وظلنا نشاوى للذي بقلوبنا
نخال الهوى كأساً وحسبنا شرباً
إذا القصب هزتها الرياح تذكروا
قدود الحسان البيغر فاعتنقوا القصباً (١)
ومن المؤسف أن الدار لم يصل إلى القصيدة كاملة. والأبيات الباقية ما هي
إلا أبيات وجدانية لا ندرك منها ملامح حادثة معينة.

وتذكر الرواية التاريخية أن عدداً من المعارك المتفرقة حصلت في هذه
الفزوة (٢). وقد أنشد القائد أبو بكر بن وزير الشلبي قصيدة يخاطب بها يعقوب
المنصور فيما جرى في وقعة مع الفرنج أثناء هذه الفزوة كان الشلبي المذكور مقدماً
فيها، ولم يبق منها إلا قوله : —

ولما تلاقينا جرى الطعن بيننا
فمنا ومنهم بائعون عديد (٣)
وجال غرار الهند فينا وفيهم
فمنا ومنهم قائم وحصيد (٤)
فلا صدر الآفيه صدر مثقف
وحول الوريد للحسام وورد (٥)
صبرنا ولا كهف سوى البيض والقنا
كلانا على حر الجراد جليد (٦)
ولكن شدتنا شدة فتبلدوا
ومن يتبلد لا يزال يحيى
فولوا وللبيغر الرقاق بها مهم
صليح وللسمر الطوال وورد (٧) *

١ — الروض المعطار : مادة شلب، ص ٣٤٣.

٢ — البيان المغرب : ج ٣ ص ١٨٥—١٨٦.

٣ — ورد في المغرب ((فمنا ومنهم قائم وحصيد)) .

٤ — لم يرد هذا البيت في المغرب.

٥ — ورد في الحلة السيرا* ((كلانا على حر الطعان جليد)) .

٦ — لم يرد هذا البيت في الحلة السيرا* .

٧ — لم يرد البيت في المغرب. وورد في النسخ هكذا : —

وولوا وللسمر الطوال بها مهم ركوع وللبيغر الرقاق سجد

* — انظر المقطوعة في : النسخ : ج ٤ ص ٣٨١، الحلة السيرا* : ج ٢ ص ٢٧٣،

المغرب : ج ١ ص ٣٨٢.

ولم تحدّد الرواية التاريخية الدارثة التي قيلت فيها هذه المقطوعة، وبمقدّر استقراء الأبيات نجد أنّها تشير إلى قتال عنيف وقع فيه كثير من الجند المتحاربين صرعى، وقد انكشف هذا القتال عن انتصار المسلمين وانهزام أعدائهم. ومع ذلك فالأبيات لا تحدّد هوية واقعه معيّنة من تلك التي حصلت في هذه الغزوة. فهي أبيات حماسيّة تمجّد بطوّلة المسلمين، وتشيد بشجاعتهم في الحروب، وصبرهم على منازلة الأعداء، وتصور انتصارهم على أولئك الأعداء الذين أبلّوا في الدفاع عن أنفسهم أحسن البلاء.

ولمّا انتهت مدّة الهدنة بين المنصور وملك قشتالة، ولم يبق منها إلا قليلاً بدأ الأعداء بمهاجمة الأندلس والحيث فيها. فأعدّ المسلمون حملة توجّهت إليها بقيادة الخليفة المنصور نفسه. علم المسلميون بذلك، وجمعوا جموعاً كثيفة من أقاصي بلادهم وأدانيها. نزلت الجيوش المليئة في مكان ((الأرك)) (١). وهناك دارت معركة عنيفة انتصر فيها المسلمون على أعدائهم نصراً مؤزراً (٢).

ورد في ((الفتح الطيّب)): ((لما قفل أمير المؤمنين يعقوب المنصور من غزوة الأندلس المشهورة... ورد عليه الشعراء من كل قطر يهنئونه. فلم يكتفهم لكثرتهم أن ينشد كل إنسان قصيدة، بل كان يختار منها بالانشاد بالميتين أو الثلاثه المختارة... قال: وانتهت رقاع القوائد وغيرها إلى أن حالت بينه وبين من كان أمامه لأثرتها)) (٣). وهذا يدل على مدى مشا رقة الشعراء الأئمة في هذا النصر الإسلامي الكبير. ومع ذلك، لم يبق من هذا الشعراء الأعقائد معدودة. منها قصيدة لعليّ بن حزمون، استشهد بها بقوله:-

حيثك معدّة النفوس —————
نفحات النصر بأندلس —————
قدّر الفأز ومأتمهم —————
إن الإسلام لفي عُرس —————

- ١- الأرك: حصن منيع من قلعة رباح. وتسميّة بعض المصادر الإسلامية ((الأرك)) أو ((الأرك)) وتسميّة المصادر الأوروبية Alarcos. انظر: - الروض المصنوع: مادة الأرك، ٢٦٦، الفتح: ج ١٧٢، ٤٥٤، بغية الملتبس: ج ٤٥٥، الذيل والثلمة: ج ١٨٨، ١٣٩ Moorish Cult., P. 139
- ٢- أن تاريخ المعركة يوم الأربعاء التاسع من شعبان سنة ٥١١ هـ. انظر تفاصيل ذلك في: رقم الحل: ج ٥٦٥، البيان المغرب: ج ٣ ص ١٦٤-١٦٥، ورفع الحجب المستورة: ج ٥٦٢، المعجب: ج ٣٥٨-٣٥٩، الثلمة: ج ١ ص ٥٥١-٥٥٢، الروي المصنوع: مادة الأرك، ٢٦٦، مخطوط الحل السندسية: ورقة ٤٥.
- ٣- الفتح: ج ١٧٢، ٤٥٤.

ويحمل هذا المطلع البار في مناه ومعناه بشرى انتصار المسلمين في معركة الأرك، ومشاعر الفرح والابتهاج بهذا الطائر العظيم الذي اعتبره الشاعر ((عرسا)) للإسلام، و ((مأتما)) للكفر.

وتشير الرواية التاريخية إلى ضخامة الحشور الصليبية التي خرجت لهزات المسلمين في معركة الأرك، ومشاعر الثقة التي غمرت الأعداء بسبب كثرة جيوشهم، إلى حد أنهم جلبوا معهم بعض تجار اليهود لا يشتروا أسرى المسلمين (١)، وقد تحدث الشاعر عن ذلك قائلا : —

جاءوك تضيئ الأغر بهم — عدا لم يحذر ولم يقس
خرجوا بطرا ورثاء النسا — س ليختلسوا مع مختلس
أما حديث الشاعر عن قتل الأعداء فإننا نذكر منه كثيرهم (٢) : —

وتساوى القاع بهامهم — المرفق مع الحذب الضرس
سقيت بنجيعهم أكرمهم — وطئوا منهن على دهم

إن تصور الموقع الجغرافي لهذه المعركة يكشف ما في هذين البيتين من دقة في الوصف. فقد ذكر المؤرخون أن حصن الأرك يقع فوق رابية عالية، في بساط واسع تتخلله بعض الهضاب الضرس (٣). ويظهر من قول الشاعر أن قتل الأعداء كانوا كثيرين إلى حد ساووا بين تلك الهضاب. ولم يكن الشاعر مبالغا في ذلك، فقد قدرت بعض الروايات قتل الأعداء في هذه المعركة بمائة وستة وأربعين ألفا (٤).

ويتفق الشاعر مع الرواية التي تشير إلى ملاحقة الخيول الإسلامية لفرل المنهزمين وعيشها في ديارهم (٥)، حيث قال : —

أزوي الصلبان وراءكم — خيل الملك الخبر النسا
جاست جنبات الكفر فلم — تترك لهم ما لم تجرس

١ — بغية الملتصق : ص ١٧٢ .

٢ — هذا وصف محمد عبد الله علان، وقد زار موقع المعركة : عصر المرابطين والموحدين :

ج ٢ ص ٣٠٣ .

٣ — النامل : ج ١٢ ص ١١٥ .

٤ — البيان المغرب : ج ٣ ص ١٩٥، القرطاس : ٢٢٨ .

ويضفي الشاعر ظلالاً واقعية على القصيدة، جميع يتحدث عن لجوء الأعداء إلى الجبال فراراً من المسلمين، ووقع بعض نساءهم سبايا في أيدي المجاهدين (١).

ويذكر المؤرخون أن القائد الصليبي قد ولي هاربا من المعركة، ناجيا بنفسه (٢). وقد صور الشاعر زعيم هذا القائد وفراره : —

إِنْ كَانَ نَجَا أَذْفَنُشْهُمْ فإلى عيشش نَكِدْ تَمَرَسْ
فمضى لم يلو على أَحَدٍ * ورمى بالدرع وبالتُّرْسِ (٣)

هذه هي قصيدة ابن حزمون، وهي دافقة بالنشوة والفرح ومشاعر الابتهاج بهذا النصر الكبير. وقد أتى الشاعر فيها بما قاله المؤرخون عن هذه المعركة حين تحدث عن ضخامة الظفر الذي أحرزه المسلمون فيها، وكثافة جيش العدو، والهيئة التي خرج عليها، وكثرة قتلاه، وهرب قائده. بل أنه زاد عليهم، فما من أحد أخبرنا بأن الصليبيين احتموا بالجبال أو وقع بعض السبايا الصليبيات في أيدي المسلمين. وقد قال أبو العباس الجراوي قصيدة في هذه المعركة استهلها بتمجيد النصر، والاشادة به : —

هو الفتحُ أعيا وصفهُ النَّظْمُ والنِّشْرُ وعَمَّتْ جميع المسلمين به البشْرِ
وأنجَدَ في الدنيا وفار حديثُه فراقَتْ به حُسْنًا، وهابَتْ به نُشْرًا
تميّز بالأحجال والفرر التَّسِي أقلّ سناها يبهز الشمس والبدر

وندرج نتيجة المعركة من خلال هذا التفاؤل الكبير، ومشاعر الاستبشار الدافقة التي غمرت الأبيات.

ويتفق الشاعر مع ابن حزمون حين يشير إلى هرب القائد الصليبي من المعركة عندما رأى مصارع أصحابه، إلا أن أبا العباس الجراوي ينفرد بالإشارة إلى إصابته هذا القائد بطعنة قوية. وهذا ما لم تشر إليه المصادر كذلك : —

رأى الموت للأبطال حوله ينتقي فطار إلى أقصى مصارعه دُعْرًا
وقد أوردته الموت طعنة ثائر وإن لم يغارت من شقاوته العُمر

وتجمع المصاير على كثرة قتلى الأعداء في هذه المعركة (٤). وقد أشار الشاعر إلى ذلك، فهم يعدون بالألوف : —

١ — انظر ع ١٠٨ من هذه الدراسة.

٢ — البيان المغرب: ج ٣ ص ١٩٥.

٣ — المعجب: ص ٣٧٠ — ٣٧٣.

٤ — انظر: عصر المرابطين والموحدين: ج ٢ ص ٢١٠.

أَلَوْ كُنْتُ مَأْمُولَةً بِهِمُ الْفَسَادِ وَأَمْسَتْ خَلَاءُ مِنْهُمْ دُورَهُمْ قَقْرَا
وَدَارَتْ رَحَا الْهَيْجَا عَلَيْهِمْ فَأَسْبَحُوا هَشِيمًا طَحِينًا فِي مَهَبِّ الصَّبَا يُذْرَا

ونعلم من القصيدة أنَّ المعركة وقعت يوم الأربعاء؛ وفعلًا كان كذلك (١) :-
فسلَّه يوم الأربعاء عن المنى فما يُرْجِي مِمَّا تَمَلَّكُهُ شَبْرَا (٢)

والقصيدة بعد هذا تكاد تتفق مع ما أورده ابن حزمون في قصيدته السابقة.
فقد أشار الجراوي إلى ضخامة الانتصار، وكثرة قتلى الأعداء، وفرار القائد الصليبي،
ونجاته من الموت، كما ذكر يوم المعركة... وهذه المعلومات أتت بها المؤرخون.
بل أنه زاد عليهم عندما أشار إلى إصابته في المعركة بطعنة قوية.

وقد قال القاضي الأديب أبو حنيفة الأغماتي (٣) قصيدة في انتصار الأرك لم يبق
منها إلا تسعة أبيات تبدأ بقوله :-

أَطَاعَتْكَ الذَّوَابِلُ وَالشَّفَارُ وَلَبَّى أَمْرُكَ الْفَلَكَ الْمُرَارُ

ويستشف من هذا البيت تفوق الخليفة المنصور، وانتصاره على أعدائه بالقوة.

وقد كان هذا النصر عظيمًا، ومن آثاره كبت ملك قشتالة وإيقاف عملياته العدوانية
عن الأندلس إلى حين. لذلك غانَّ الشاعر يرى أنه من الجدير تهنئة الأندلس بهذا
المعهد الجديد الذي فتحه لها هذا النصر :-

ليهنني أَرْحُ أُنْدَلُسَ بِبُدُورٍ من السَّرائِ ليس لها سُرَارُ

ويتحدث صاحب البيان المفرن عن محاولات الصليبيين الدائمة للفرار من معركة
الأرك، فيقول : ((وخلق الكفار عن مراكزهم، ونسخ الله ما أراهم من اغترارهم، فوَلَسُوا
الأدبار)) (٤) إلا أن سيوف المسلمين ركبتهم، وأعملت مضاربها فيهم، وقد أشار الشاعر
إلى ذلك حين قال :-

وَكَمْ رَامُوا الْفَرَارَ مِنَ الرِّزَايَا وَلَكِنْ أَيْنَ مِنْ أَجْلِ فَرَارٍ
تُدَارُ عَلَيْهِمْ حَمْرُ الْمَنَايَا بَكَاسٍ فِيهِ عَقْرٌ لَا عُقَارُ* (٥)

١ - البيان المفرن : ج ٣ ص ١٩٥.

٢ - البيان المفرن : ج ٣ ص ١٩٧-١٩٨، شاعر الخلافة الموحدية :- الملحق :

٧ - ٨.

٣ - هو عمر بن أبي محمد عبد الله بن عمر السلمي، من أهل أغمات، كان فقيهاً، أديباً،
شاعراً، ورعاً، فاضلاً. توفي سنة ٦٠٤ هـ. انظر : صلة الصلة : ص ٧٢، الفصول

البيان : ص ٩١-٩٢.
٤ - البيان المفرن : ج ٣ ص ١٩٥، ذكريات المشاهير : عدد ٣، ص ٧ وما بعدها.
٥ - المُقَرَّرُ : بفتح العين : النحر، العقار : بضم العين : الخمر، لسان العرب :

مَادَّةٌ ((عقار)) .

٥ - الفصول البانعة : ص ٩٦-٩٧.

ومع أن الشاعر استوعب بعد ما قاله المؤرخون عن ضخامة هذا النصر، ومحاولات الأعداء للهرب من المعركة. فإن الأبيات لم تقدم ملامح حدث معين، وإنما تصوّر مشاعر الأكرار والإعجاب بهذا النصر.

وقد قال أبو بكر يحيى بن مجبر قصيدة في هذه المعركة لم يبق منها إلا عشرة أبيات تبدأ بقوله : —

قضى حقوق الله في أعدائه ثم انثنى والنصر تحت لوائهم
وهذا المطالع يوحى بتفوق المسلمين، وانتصارهم على أعدائهم.

وتشير الرواية التاريخية إلى ضخامة جيش المسلمين الذي اشترك في معركة الأرك (١). وقد استوحى الشاعر أروع الألفاظ التي تشمر المسلمين بالبأس والقوة حين تحدث عن كثافة ذلك الجيش : —

أغزى بهم جيشاً تضيق الأغرغنه أمواجه والوهم عن إحصائهم
كالمارغر، الشجاج ملء هوائهم لكن دم الأبطال من أنوائهم
وتمتج أسمى مطاهر الشجاعة بالعقيدة الإسلامية حين صور الشاعر دأب
ال خليفة المنصور في قتال الأعداء، وإعراجه على استئصالهم، والقضاء عليهم : —
لما رأى للشرك رسماً ماثلاً أوهى قواه وجد في إقوائهم
أنحى عليه بالمصّارم والقنا حتى إذا لم يبق غير زمايرهم
أبقاه والدعّر المخيف بيده فكأنه سبّح على أشلائهم (٢)

وإذا كان الشاعر لم يوفق في الأبيات السابقة في تقديم ملامح خاصة لمعركة الأرك فإنه وفق في تصوير مشاعر الإعجاب بقائد تلك المعركة. فقد كان التركيز على شخصية هذا القائد والإشارة بها محور تلك الأبيات. وهي إشارة مستوحاة من روح هذا الانتصار المسكري.

ولأبي الوليد الشقندي (٣) قصيدة في هذه المعركة لم يبق منها إلا بيتان هما : —

- ١ — البيان المغرب : ج ٣ ص ١٩٢، القرطاس : ٢٢٢.
- ٢ — رفع الحجب المستورة : ج ٢ ص ١٥٥.
- ٣ — هو أبو الوليد اسماعيل بن محمد الشقندي، نسبة إلى شقنده. صاحب الرسالة الشهيرة في فضل الأندلس. توفي سنة ٦٢٩ هـ. النّج : ج ٣ ص ٢٢٢—٢٢٣، المغرب : ج ١ ص ٢١٨—٢١٩.

إذا نهضت فإن السعد* منتبض^٩ ترمي السعد سهاماً والمداء غرض^٩
لك البسيطة تطويها وتنشرهما فليس في كل ما قد رمت* ممتدراً^(١)

ولا يرى في هذين البيتين إلا الإشادة بقائد المعركة. وقد جنح الشاعر
فيها إلى المبالغة، ويفسر ذلك طبيعة الموقف الحماسي.

وفي منتصف رجب الفرد سنة ٥٩٢ هـ تحرك المنصور من إشبيلية لفرز الأندلس
ملك قشتالة في عقر داره طليطلة. وعندما وصل المسلمون المدينة أقاموا عليها أسبوعاً
يشنون الفارات على أرجائها... ثم أمر المنصور بعد أن أشعر المدوّ بقوة المسلمين،
وعظمة حشدهم بالانسحاب دون أن يستغل ضعف الصليبيين بعد معركة الأرك في
احتلال قاعدة الكفر طليطلة*** (٢).

ولشا عن الخلافة الموحّدية أبي المباس الجراوى قصيدة في هذه الفزوة
جاء فيها :-

قد أصليت نارها المداة ^٩	وأنجزت بهم المداات ^٩
وعصمهم بالدمار يوم ^٩	تقصر عن وصفه الرواة ^٩
مشهد لا تزال تتلوى	آياته وهي بينات ^٩
فتح مفاتحه المواضع	والعزمات المؤبدات ^٩

ذلّوا لأمر الله قسراً * وهم أولو نجدرة أبادة^٩

والأبيات توحى بشعور التفوق، وحافلة بايحاءات القوة، والإيمان بها سبيلاً
لقهر العدو، وفتح البلدان. ويتخلل ذلك حديث عن الدمار الذي لحق بلاد
الأعداء، واستباحة المسلمين أرضهم.

وضخامة الجيوش الإسلامية التي اشتركت في هذه الفزوة نلمسها في قول الشاعر :-

* - ورد في النفّح ((السيف)) .

* - ورد في النفّح ((تنويه)) .

١ - النفّح : ج ٣، ص ٢٢٣، المفرد : ج ١، ص ٢١٩ .

*** - ورد في النفّح أن المنصور فك الحصار عن طليطلة رافة بوالدة الأندلس ونسائه

وبناته اللواتي خرجن إليه مستصرخات . انظر النفّح : ج ١، ص ٢٢٤ .

٢ - انظر أخبار هذه الفزوة في : البيان المغرب : ج ٣، ص ١١٨ - ١١٩، رسائل

موحّدية : ص ٣٣٦ - ٣٣٧، النفّح : ج ١، ص ٢٢٤ .

وَفَرَّقَتْ جَمْعَهُمْ بِحَارِهِ أَمَاجُهَا الْخَيْلُ وَالْكَمَاطَةُ

ويصور الشاعر معاناة الصليبيين من المسلمين في هذه الغزوة، ومحاولاتهم الدائبة للفرار منهم : —

رَأَوْا لِحْزَبِ الْإِلَهِ صَبْرًا وَالْمَوْتُ حَقَّتْ بِهِ الْجَهَنَّمَاتُ

فحاولوا منهم انفلتسًا وليس للخائن انْفِلَاتُ (١)

ومع أن الشاعر أشار في الأبيات السابقة إلى ضخامة جيش المسلمين الذي اشترك في هذه الغزوة، العنيف الذي أخذ به المسلمون الأعداء، ومحاولاتهم للفرار. إلا أننا لا نعثر فيها على تفصيلات تحدد عمومية واقعة معينة، أو تعين على إقامة علاقة بينها وبين الحدث الذي قيلت فيه.

وفي يوم الاثنين الخامس ((أو الرابع عشر)) من صفر سنة ٦٠٩ هـ (٢)، التقى المسلمون بقيادة الخليفة الناصر بالفونسو ملك قشتالة عند ((حصن العقاب)) (٣) وقد كان مع هذا الفونسو حشود هائلة من الصليبيين الوافدين من أنحاء دول أوروبا، التي تولّى البابا أنوسنت الثالث تشجيعها على المشاركة في حرب المسلمين في الأندلس (٤).

انتهى هذا اللقاء بهزيمة المسلمين هزيمة نكراء، وتشتت قواهم. وقد أشارت الرواية الإسلامية إلى الخسارة البشرية الهائلة التي مني المسلمون بها، فوصفت الموقعة بالهزيمة العظمى ((التي فني فيها أهل المغرب بالأندلس)) (٥)، أو التي خلا بسببها أكثر المغرب (٦)، أو حسبما تقول رواية أوضح وأشمل : ((أن المغرب

١ — البيان المغرب : ج ٣ ص ٢٠٠.

٢ — انظر أخبار هذه المعركة في : — المعجب : ص ٣٩٩ — ٤٠٢، الحلة السمرية : ج ٢ ص ٢٧٣، التكملة : ج ١ ص ١٠٢ و ص ١٦٤ و ص ٢٠٢، المغرب : ج ٢ ص ٧٣، الإحاطة : ج ١ ص ٣٨٣، البيان المغرب : ج ٣ ص ٢٤٠ — ٢٤١، النفح : ج ٤ ص ٣٨٣، الروض المصطار : مادة العقاب، ص ٤١٦.

٣ — العقاب : — بكسر العين، حصن بين جيان وقلعة رباح . الروض المصطار : مادة العقاب، ص ٤١٦.

٤ — المعجب : ص ٣٩٩، Moors in Spain, P.168; Moorish Cult.,

٥ — الحلل الموشية : ص ١٣٤، P. 140

٦ — النفح : ج ١ ص ٤٤٦.

قد بارأه ورجاله ، وفني خيله وحماته وأبطاله ، وقتلت قبائله وأقباله ؛ قد استشهد
الجميع في غزوة العقاب)) (١)

أثارت هذه الهزيمة أسباب الجزع والفرح في الأندلس يومئذ (٢) . وقد تردد هذا
واضحاً في قول ابن الدباغ الاشبيلي (٣) : -

وقائلة أراك تاهل فكسراً كأنك قد وقفت لدى الحسباب
فقلت لها : أفكر في عقاب غدا سببا لمعركة العقاب
فما في أرض أندلس مقام وقد دخل البلاء من كل باب (٤)

والأبيات ليست وصفاً لواقعة معينة ، وإنما هي وقفة من هذا الشاعر عن
نتائج معركة العقاب ، التي استحوذت على تفكيره ، وأسرت عقله ، ويستشف منها تنبّه
الشاعر لمعنى تلك النكبة وأبعادها . فقد وجد أن هذه المعركة فتحت باب البلاء
على الأندلس ، وأدخلت الوباء إليها ، لذلك حذر المسلمين من الإقامة فيها ، مبيّناً
لهم أن ذلك عقاب على تقصيرهم وإهمالهم .

ويلاحظ أن ابن الدباغ قد آثر موقفاً سلبياً من هذه المحنة ، ولكن هذا اللون
السلبي من التعبير عن الواقع كان حينئذ مبالغة في التنبيه والتذكير .

١ - الذخيرة السننية : ج ٢٦ .

٢ - أشارت الرواية الإسلامية إلى نتائج هذه المعركة وأبعادها . فقد وصفها
الحميري بأنها كانت ((أول وعمن دخل على الموحدين)) ، ووصفها ابن عذاري
بأنها ((كانت السبب في هلاك الأندلس)) ، وذكر ابن الأبار أنها ((التي
أفضت إلى خراب الأندلس . . .)) .

وقد قال ابن أبي زرع : أن الأندلس لم تستقل بعد هذا العثرة . انظر : -
صفة جزيرة الأندلس : ج ١٣٨ ، البيان المفرب : ج ٣ ص ٢٤٠ ، التكملة :
ج ١ ص ١٠١ - ١٠٢ ، القرطاس : ص ٢٨٢ .

٣ - لم نعر على ترجمته .

٤ - النفح : ج ٤ ص ٢٦٤ ، مخطوط الحلل السندسية : ورقة ٨ .

وفي سنة ٦٢٢ هـ (١) هزم المسلمون هزيمة نكراء على مقرية من ((طَلِيَّاطَة)) (٢) ، ولم يمض على ذلك شهران حتى حلت بهم هزيمة مماثلة في شرقي الأندلس على مقرية من ((عَفْر)) (٣) . وفي الوقت نفسه دخل الصليبيون مدينتي ((لَوْشَة)) (٤) و ((قِيَجَا طَة)) (٥) * .

وقد سجّل أحد المرسيين هذه الحوادث المتتالية في مقطوعة قالها ، جاء فيها : -

هوقمة عَفْرٍ و طَلِيَّاطَة	تكامل إقبال أَيْامِنَا
فبالقرب تلك وبالشرق ذي	أناخا علم شَمَّ أعلامِنَا
وفي وسط الأرض قِيَجَا طَة	ولوشة خفًا بأحلامِنَا
وليس الصليب يرى مانِعَا	لفير تواتر إعدائِنَا
وسيدنا ناظر في الجواز	يروم النجاة بإسلامِنَا (٦)

وهذه الأبيات تشير إلى مجموعة من الوقعات التي أخفق فيها المسلمون . ويظهر فيها استشعار الخطر المحدق ، وإلحاح ذلك على وعي الشاعر الذي تردى في همومة اليأس ، وأدركه القنوط . وتخلّل ذلك حسرة مريرة على موقف الخليفة الموحدى - وهو العادل (٧) - الذي آثر النجاة بنفسه على نصرة المسلمين .

١ - ينفرد صاحب الروض الممطر بما يقدمه عن معركتي ((عَفْر)) و ((طَلِيَّاطَة)) ولكنه لم يحدّد تاريخهما بدقّة ، فأحيينا - يجعلهما سنة ٦٢١ هـ ، وأحيانا سنة ٦٢٢ هـ . انظر : الروض الممطر : مادة طَلِيَّاطَة ، ص ٣٦٥ ، ومادة عَفْر ، ص ٤١٥ .

٢ - طَلِيَّاطَة : - بينها وبين اشبيلية ما يقارب عشرين ميلا . الروض الممطر : مادة طَلِيَّاطَة ، ص ٣٦٥ .

٣ - عَفْر : بالقرب من مرسية . الروض الممطر : مادة عَفْر ، ص ٤١٥ .

٤ - لَوْشَة : - من أقاليم البيرة . الروض الممطر : مادة لَوْشَة ، ص ٥١٣ .

٥ - قِيَجَا طَة : أو قيشاطة ، مدينة بالأندلس من عمل جيان . الروض الممطر : مادة قِيَجَا طَة ، ص ٤٨٨ .

* البيان المغرب : ج ٣ ص ٢٤٦ ، القرطاس : ص ٢٤٦ .

٦ - الروض الممطر : مادة عَفْر ، ص ٤١٦ .

٧ - هو عبد الله بن يعقوب المنصور بويغ سنة ٦٢١ هـ ، وتوفي سنة ٦٢٤ هـ .

انظر : القرطاس : ص ٢٤٥ - ٢٤٧ .

وقد اعتمدت المقطوعة المزاجية بين إظهار الحزن وتصوير الواقع المؤلم بصورة بسيطة خالية من التكلف، لذلك جاءت كأنها ((رواية تاريخية)) لا قطعة شعرية .

وفي أوائل سنة ٦٢٧ هـ احتل الصليبيون مدينة بطليموس بعد معركة عنيفة (١) وقد بعث أبو المطرف بن عميرة رسالة إلى أهل بطليموس معزيا لم يبق منها إلا قوله: -

ولم أر مثل الحق، أما طريقه ، فأمن من، وأما جاره فعزير
إذا ما أمروا آوى إليه فحصبه حصن من، وماواه المباح حريز
فكن معه تظفر بما شئت من منى مصارفها بالصالحات يفوز
ومن خير ما حاز الفتى الصبر أنه أداة كموفور الثواب تحوز
رأينا التقى كنزاً يدوم الفن به إذا فنيت للموسرين كنوز
وكأين رأينا من حوادث أقبلت فلخلق تسريح بها ورؤوز
تقابل بالنسليم لله وحده فتمضي ولم يشعر بها وتجاوز (٢)

ويظهر من الأبيات أن ابن عميرة محكم ثقافته الفقهية أثر النصيح والارشاد على تصوير مدنة المسلمين في بطليموس. فقد حدث في أبياته على اتباع الحق والالتزام به لأنه الحصن الذي يقي الانسان، ويحقق له الأمن. ودعا كذلك إلى الصبر على المصائب، والأخذ بأسباب التقوى، والتسليم لأمر الله وقضائه. وأحال أن ابن عميرة في موقفه التأمل في هذا يستوحى حال المسلمين في الأندلس. فهم لم يفضوا إلى مثل هذه الحالة إلا لأنهم حادوا عن الحق، وأنهمو السبل فتفرقت بهم عن طريق الله القويم.

وفي يوم الخميس الموفي عشرين من ذي الحجة عام ٦٣٤ هـ وقعت بين المسلمين والصليبيين معركة أنيشة ((أنيجه)) (٣) على مقربة من بلنسية. وقد اشترك في هذه المعركة جملة من علماء بلنسية من بينهم كبير علماء الأندلس ومحدثيها أبو الربيع سليمان ابن سالم الكلاعي .

قاتل الفريقان ببسالة، وانتهت المعركة بأن أصيب المسلمون بهزيمة فادحة قتل فيها جملة كبيرة منهم. وكان من بين القتلى جملة كبيرة من علماء بلنسية

١ - انظر : البيان المغرب : ج ٣ ص ٢٧٠ .

٢ - تحفة القادم، نشر في مجلة المشرق، بيروت، مجلد ٤١، سنة ١٩٤٩، ص ٥٧٧ .

٣ - أنيشة أو أنيجه : - موضع على مقربة من بلنسية . الروعر المعطارة : مادة أنيشة ، ص ٤١ .

ووجوهها وصلحاتها ، وفي مقدمتهم أبو الربيع (١).

وقد قال ابن الأثير قصيدة في هذه المعركة يرثي أبا الربيع ومن استشهد معه بدأها بقوله : —

ألمّا بأشلاء العلى والمكارم فُتدُّ بأطراف القنا والصوارم
وعوجاً عليها مأرباً وحفـاوةً مصارع غصت بالهـللى والجماجم
نحيي وجوهاً في الجنان وجبهةً بما لقيت حمراً وجوه الملاحم

وندرك من هذه الأبيات كثرة قتلى المسلمين في هذه المعركة ، واستشمار ابن الأثير فداحة المصيبة . فقد غصت الأرض بالأجساد الممزقة ، والجماجم المفلقة ، والوجوه المخضبة بالدماء .

ويشيد الشاعر بضائق هؤلاء الشهداء مركزاً إشارته على شجاعتهم في هذه المعركة وحسن بلائهم فيها : —

تساقوا كؤوس الموت في حومة الوغى فمالت بهم ميل الفصوص النواعم
مضوا في سبيل الله قد ما كاتما يطايرون من إقدامهم بقسـوام
يرؤون جوار الله أكبر مفسـم كذاك جوار الله أسنى المقانم

وفي القصيدة ذكر ليوم المعركة وهو يوم الخميس ، وإشارة إلى المكان الذي وقعت فيه وهو ((أنيشة)) : —

أضاعهم يوم الخميس حفاظهم وكرهم في المأزق المتلاحم
أصيبوا وكانوا في العبادة أسوةً شباباً وشيباً بالفواشي الفواشم
ويتغلر الشاعر تخلصاً حسناً من رثاء الشهيد عامة إلى رثاء أبي الربيع الكلاعي فيصور عظم مصيبة الأمة به ، وفداحة خسارتها بهذا الشهيد الذي يشق على الإسلام موته : —

وبين الثنايا والمخارم رمة سرى في الثنايا طيبها والمخارم
يشق على الإسلام إسلام مثلها * إلى خامعات بالفلا وقشاشم
فوا أسفي للدين أعزل داؤه * وأياس من حاس لمسراه حاسم

١ — انظر : الذيل والتكملة : ج ٤ ص ٨٩ — ٩٠ ، الروز المصطار : مادة أنيشة ،

ويشير الشاعر صراحة إلى استشهاد أبي الربيع الكلاعي عندما يذكر اسمه في القصيدة :-

سألام على الدنيا إذا لم يلح بها محباً سليمان بن موسى بن سالم

وتعني القصيدة على هذا النحو من البكاء والتفجع وتوسير المحنة . والإيحاء بفداحة المصيبة ، دون أن يجد القارئ فيها وصفاً لوقائع معركة ، أو تصويراً لحدث معين . ولولا ذكر المكان الذي وقعت فيه المعركة ، وذكر اسم الشهيد الكلاعي لما استطاع الدارس أن يحدد الحدث الذي تبلى فيه .

ومع ذلك فإن بعض الملاحظات التاريخية المفيدة وردت في القصيدة . مثل : كثرة القتلى من المسلمين ، وشجاعتهم وبسالتهم ، واشتراك الكلاعي في المعركة ، واستشهاده . كذلك فإن في القصيدة إشارات بالجو العام الذي خيم على الأندلس بعد هذه المعركة التي أظهرت صعوبة في الموقد ، لذلك فقد بدأ الشاعر قلقاً على المستقبل متوجساً منه ، عيئ ، قال :-

منوجساً

فما أنا ذا في خوف دهر محارب وكنت به في أمن دهر سالم (١)
وقد قال أبو المطرف بن عمير قصيدة رثى فيها الكلاعي بدأها بقوله :-
ألا مسعداً أو الأصاحب
لذي نصب الله ناصباً (٢)
والقصيدة في مجموعها رثاء يظهر فيها الشاعر حزنه ولوعته على أبي الربيع ، ولم نجد فيها ما يشير إلى موقعة معينة .

وقد نحا أبو الحسن بن شلبون (٣) نحو ابن عميرة في قصيدة قالها تبدأ بما يلي :-

شلبون الخلوب دعي الملاء مصابه فابدأ بدمعك أن يقل مصابه (٤)

وفي سنة ٦٣٥ هـ هاجم ملك أرغون مدينة بلنسية ، وكان معه كثير من الجنود الوافدين ، منهم حشود المشيخة الفرنسيين ، وآخرون من جنوة (٥) .

- ١ - الذيل والتكملة : ج ٤ ص ٩٠-٩٥ ، المرقبة الحلبي : ص ١٢٠-١٢٢ .
- ٢ - رسائل أبي المطرف : ورقة ١٩٦ وما بعدها ، صفة جزيرة الأندلس : ص ٣٤٥ .
- ٣ - هو أبو الحسن علي بن لب بن شلبون المصافري . من أهل بلنسية ، مات سنة ٦٣٩ هـ ، الذيل والتكملة : ج ٥ ص ٢٧٤ .
- ٤ - تحفة القاد م نشر في مجلة المشرق ، بيروت ، مجلد ٤١ ، سنة ١٩٤٩ ، ص ٥٧٨ .
- ٥ - تاريخ ابن خلدون : ج ٦ ص ٦٠١ .

ضربت القوّات الخازية حصاراً عنيفاً حول تلك المدينة ، وما زال المسلمون تحت ذلك الحصار ((تنقص أعدادهم . . . إلى أن نفذت الأقوات ، واستولى الجوع ، وضربت القوّات ، وأكلت الجلود . . . وبلغ الكتاب أجله)) (١) فكانت المروضة على تسليم المدينة يوم الثلاثاء سابع عشر صفر سنة ٣٦٠ هـ (٢).

كان لسقوط هذه المدينة أصداء واضحة في الشعر الأندلسي ، فقد ألف الشاعر يروشون هذه المدينة ويحثّون على إنقاذها . من ذلك قصيدة الشاعر مجهول قالها مخاضاً صاحب غريقية أبا زكريا بن عبد الواحد بن أبي حفص . وقد استعملها الشاعر بحمّة على التوجه لانتقاد عموم الأندلس :-

نادتلك أندلسٌ غلبت نداءها	واجمل دواغيت السليب فداءها
صرخت بدعوتك العلية فاحبها	من عاطفاتك ما بقي كحواها
واشدّت بحبلبك جرد خيلك أرزها	تردّد على أعقابها أرزاءها
في دارك القسوى أوت لا يالدة	ضمنت لها مع نصرها ايواءها

وتفتّح القصيدة منذ البداية على تصوير مهنة الأندلس عامّة ، فالبلاد في حالة حرج ، وقد أخطأت بها الرزاء من كلّ ناحية . لذلك لم يأل الشاعر جهداً في اصطناع آية وسيلة لاثارة الأمير الحفصي ، وحثّه على إنقاذ البلاد ، ودفع دواغيت السليب عنها . ونستشف من الأبيات تحوّل الأندلس عن الدولة الموحّدية إلى الدولة الحفصية ، واعتراغها بدعوتهم .

ويؤيّد الشاعر الأمير الحفصي إلى تصوّر الضيق الذي يعاني منه المسلمون في الأندلس ، فيقول :-

وبها عبيدك لا بقاء لهم سوى	سبل الضراعة يسلكون سواءها
كلحت قلوبهم هناك عزاءها	لما رأت أبنارهم ما ساءها
دغضوا لأبكار الخيلوب وعونها	فهم الفداة يسابرون عناءها

وتصوّر هذه الأبيات الأوضاع العامّة للمسلمين في الأندلس بعد سقوط مدينتي بلنسية . فهم يدغمون إلى الحرب دفعا ، ويكابدون عناءها ، وقد دب اليأس في قلوبهم عندما رأوا ما حلّ بهم ، ولا يملكون غير التضرّع والتذلّل شيئا .

وندرج خلاصة الوضوح في الأندلس من الأبيات التالية التي تحدّث من مأساة

رأية :-

- ١ - أعمال الأعلام : ج ٣ ص ٢٧٣ .
- ٢ - التكملة : ج ٢ ص ٦٤٠ ، الحلة السيرة : ج ٢ ص ١٢٧ ، النّج : ج ٢ ص ٥٩ ، أزهار الربا : ج ٣ ص ٢٠٥ ، عنوان الدراية : ج ٣ ص ٣١١ ، مختار الحلل السندسية : ورقة ٢٢ .

تلك الجزيرة لا بقاء لها إذا لم يأت من الفتح القريب بقاءها

أشقى على أرف الحماية ذما وينا * فاستبق للدين الحنيف ذما

وكأني بالشاعر يحل الأمير الحفصي بوضفه القوة العسكرية والسياسية القادرة حينئذ سرورية إنقاذ الأندلس، والدفاع عنها، لذلك فقد بصره بواقعها، وعدّره من القبا في التوجه إليها، فهي لم يبق فيها إلا رفق من معية.

وبعد ذلك يلتفت الشاعر إلى مدينة بلنسية، فتشير الحسرة في نفسه، ويتساءل من سبل الخلاص، وهو في تحسره يقدم لنا هذه المدينة في مجموعة من ذكرياته وعبراته فيها :-

يايه بلنسية وفي ذكراك ما يَمري الشوقون ذماها لا ماها

كيف السبيل إلى احتلال معاند شَب الأعاجم دونها عيهاها

والى ربي وأباطح لم تعر من حلل الربيع مبيها وستاهها

باب الممرس والمقيل خلالها وتطلعت فمرر المني أثناهها

ويصل اضطراب الشاعر وانفعاله مداه حين عجز عقله عن إدراك حقيقة دخول الكثار بلنسية مع أنها ((جنّة)) على حدّ قوله :-

محباً لأهل النار كلوا جنّة منها تصدّ عليهم أغياها

ويذكر الشاعر بعض فضائل المسلمين في مدينة بلنسية :-

أما الملوك فقد أحالوا حالها فمن الصالح علاجها وشفاها

أحدى إليها بالمكاره جان للكفر كره ماها وبغواها (١)

وتمضي القصيدة على هذا النحو من الحث والبهكا وتعوير المحنة. وهي سهلة سائغة خالية من الافتعال والتكلف تقوم على المراوحة بين الإثارة والتفجيع والبعد القبيح، لذلك فقد قدّمت محنة بلنسية خاصة، والأندلس عامة في حاراتها التاريخية.

وقد كان أبو المطرف بن عميرة من أكثر الشعراء إحساسا بغاجة المسلمين في بلنسية. فقد أسلمه ذلك لساعات وجد عنيقة. ولعل حب الشاعر لهذه المدينة يحكم تجاربه فيها مع ما طبعت عليه نفسه من رقة واحساس، جعله يعيش في مثل هذه الأجواء الحزينة.

ومن القصائد التي قالها قصيدة ضمن رسالة نثرية، وقد استهلها بقدمية
وبدائية مؤثرة :-

ألا أيها القلب المصن بالوجد
وهذا من سلو يرتجى لمتيهم
بين إلى نجد ونبيات حرمت
فيا هبل الريان لا رى بعد ما
بها أهل ودي والعواد تفتني
أما لك من بادي الصباة من بدر؟
له لوعة السادي وروعة ذي الصخر؟
صروك الليالي أن يعموك إلى نجد
عدت غير الأيام عن ذلك السور
غلو ي عن أدل يضاف إلى السور

فقد ران على ابن عميرة حزن عميق ملك مناعره، وأخذ عليه أقدار نفسه، فغبدى
في الأبيات السابقة إنسانا مأزوما دائم البكاء والسمابة . . . ويبحث عن الجسد
والصبر، و((يعمى إلى نجد)) حيث الهدوء والأمانينة النفسية . وقد بلغ الانفعال
النفسى مداه في تلك الأبيات حين رفع ابن عميرة عقيرته، ولهج بالدعاء على ولده
((هبل الريان)) الذي عدت عليه غير الأيام وسلبته بهاءه .

مغيزته

ويظهر الشاعر اندماجه التام في الجماعة الإسلامية، ويتحدث بلسانها حين
يحمل سقوطه بلنسية فاتحة الصائب على بلاد الأندلس :-

أمن بعد رز في بلنسية كوى
يرتجى أناس بنة من مصائب
بأحنائنا كالنار منيرة الوقود
تلمعن فيهم بالثقفة الطود

ويتردد الشاعر بين الرجاء واليأس، والأمل والقنوط، حين يستشرف آفاق مستقبل
مدينة بلنسية من خلال وضع المسلمين السي :-

ألا ليت شعري نل لها من مطالع
وتنهي القصيدة بيت مكثز بالإيماء والإثارة، حيث يستنكر الشاعر ما لحق
المسلمين في مدينة بلنسية ونما ننب اقترفوه :-

وهل أن ننب الأبناء ننب أبيهم
وهناك قصيدة أخرى قالها المؤلف في المناسبة نفسها بدأها بقوله :-
ما بال دملك لا يني مد راره
أم ما لقلبك لا يقر ق راره
ألموع بين السلوع لطاعين
سارت ركابه وشطت داره
أم الشباب تقاذفت أولمانه
بعد الدنو وأغفقت أوطاره

أم للزمان أتى بخطب فاسدٍ من مثل حادثه خلت أمصاره
بحرمن الأحزان (١) عبعباهه وارث ما بين الحشا زخاره

ونستشف من الأبيات الأحوال النفسية للمسلمين في الأندلس، وهم يعانون وطأة الصليبيين وذل الهزائم. وهذه أحوال لا نستطيع أن نجد لها في المصادر التاريخية بمثل هذا الإيحاء. فالأبيات تصور انسانا يعيش في ((بحر من الأحزان)) مضطربا، كثير البكاء، شديد الوجد والصبابة، ويبحث عن الخلاص من هذه الحالة، إلا أنه لا يفر لها علّة أو سببا.

ويصور الشاعر الوضع الخريب في مدينة بلنسية بعد احتلالها بمبارات مؤثرة :-

أما بلنسية فمشوى (٢) كافر حقت به في عقرها (٣) كقار
زرع من المكروه حل (٤) حصاره عند (٥) الفدو غداة لجّ حصاره
وعزيمة للشرك جفجج بالهدى أنصارها إذ خانه أنصاره

فقد أصبحت هذه المدينة مشوى للكفر الذي حوّف بها من كلّ الجهات، فسي الوقت الذي تخاضل فيه المسلمون عن نصر دينهم، والدفاع عنه، وجهاد أعدائهم.

ويتضح مقدار الألم الذي اعتصر ابن عميرة عندما يتساءل عن السبيل إلى الصبر على ما حلّ بالمسلمين، ويودع ذلك قلقه وتحفزه لادرات الثأر :-

قل كيف تثبت بعد تمزيق العدا آثاره، أم (٦) كيف يدوك ثاره ؟

ويتردى ابن عميرة في حموة اليأس حين يقارن بين حال المدينة قبل الاحتلال وحالها بعده، ويدرك أن لا أمل في انقشاع الغمة عن بلنسية :-

- ١ - ورد في أعمال الأعلام ((الأشجان)) .
- ٢ - ورد في تحفة القادم ((بمشوى)) .
- ٣ - ورد في تحفة القادم ((غفرها)) .
- ٤ - ورد في تحفة القادم ((جلّ)) .
- ٥ - ورد في تحفة القادم والرسائل ((هيد)) .
- ٦ - ورد في تحفة القادم والرسائل ((أو)) .
- ٧ - ورد في تحفة القادم ((تحتها)) .

ما كان ذاك المصر إلا جنّة للحسن تجرى تحته (١) آساره

طابت (٢) به أيب بهاره أصله * وتمطرت بنسيمه أسحاره (٣)

قد كان يشرق بالهداية ليله * والآن أظلم بالضلال نهاره

ورجعه به ليل الخطوب فصبحه (٤) أعيا على أبصارنا إسفاره (٥)

ولا بن عميرة أبيات أخرى ((فيها استسقاء للديار على عادة الأشعار)) (٦) قالها في محنة مدينة بلنسية : -

زدنا على النائين عن أوطانهم وإن اشتركنا في العصابة والجوى
إنا وجدناهم قد استسقوا لها من بعد أن شطت بهم عنها النوى
ويصدنا في ذاك عن أوطاننا مع حبها الشرك الذي فيها ثوى
حسناء طاعتها استقامت بعدنا لعدونا ، أفستقيم لها الهوى ؟ (٧)

وفي تعليق ((صاحب النفح)) على هذه الأبيات ما يوفي بالغاية ، حيث قال : -
((وما رأيت ولا سمعت مثل هذه الأبيات بمعناها ، العالوية في صناها ، فإن فيها الإشارة إلى استيلاء النصارى - دمرهم الله - على تلك الديار ، وثبوت قدمهم فيها على طابق ما حصل لهم فيه اختيار ، مع إدماج حبه لها الذي لا يشك فيه ولا يرتاب ، واشتمالها على المحاسن التي هي بغية الرائد ونجمه المنتاب)) (٨)

١ - ورد في تحفة القادم ((تحتها)) .

٢ - ورد في تحفة القادم ((طافت)) .

٣ - ورد في الروغز المعطار وأعمال الأعلام : ((أشجاره)) .

٤ - ورد في صفة جزيرة الأندلس ، وأعمال الأعلام وتحفة القادم ((بصحة)) .

٥ - انظر القصيدة في : - صفة جزيرة الأندلس : ع ٥١ ، الروغز المعطار : مادة

بلنسية ، ع ١٦ - ١٠ ، أعمال الأعلام : ق ٣ ص ٢٧٣ - ٢٧٤ ، رسائل أبي المطرق ،

مخطوط ورقية ١٤٠ ، تحفة القادم ، نشر في مجلة المشرق ، بيروت ،

مجلد ٤١ ، صفحة ١٩٤٩ ، ع ٥٧٦ - ٥٧٧ .

٦ - النفح : ج ١ ع ٣١٠ .

٧ - النفح : ج ١ ع ٣١٠ .

٨ - النفح : ج ١ ع ٣١٠ .

وبعد فهذا بعض ما قاله ابن عميرة في سقوط مدينة بلنسية . وهذا الشعر ذو قيمة خاصة في دراسة الأجواء النفسية التي كانت سائدة في عموم الأندلس بعد غلبة الكفار على بعض مدنها الكبرى ، فهو يصور اضطراب المسلمين وجزعهم ، وتششت أنفسهم ، وبأسهم ، والحزن العميق الذي ران على قلوبهم . فابن عميرة في القصائد السابقة لم يكن مؤرخاً ولا مصوراً ، وإنما كان متفاعلاً مع الحدث ينقل أصداءه ، ويستكنه جوانبها وأبعادها . . . لذلك جاءت أبياتها حية مؤثرة ، تصوّر النفوس القلقة والفازعة أحسن تصوير .

وفي أواخر سنة ٦٤٢ هـ انعقدت بين ابن الأحمر وملك قشتالة هدنة كان من شروطها تسليم مدينة جيان الإسلامية لهذا الملك الصليبي (١) . وقد أنشد بعد أجل جيان عند الخروج منها بعد أن تغلب العدو عليها البيتين التاليين : —
أودّعكم وأودّعكم جناني (٢) وأنشر عبرتي نشر الجمان
وإني لا أريد لكم فراقاً ولكن هكذا حكم الزمان (٣)

وترديد هذين البيتين يمكن أن يكشف الانفعال الوجداني العميق الذي تملك الشاعر الذي قبل أن يفارق وطنه ظاهراً ، ولكنه يرفضه رفضاً قلبياً . ويستشف من السياق الشعري سياسة الصليبيين في إخلاء البلاد الإسلامية من أهلها ، وإرغامهم على الهجرة منها ، والابتعاد عنها .

وفي السابع والعشرين من شهر رمضان عام ٦٤٦ هـ كان استيلاء ملك قشتالة على مدينة اشبيلية سليماً ، وذلك بعد أن ضرب حولها حصاراً برياً وبحرياً استمر عاماً ونصفاً (٤) .

وقد نظم أبو موسى هرون بن هرون قصيدة يرثي أهل اشبيلية ، ويصف ما نالهم من الكرب والشدة ، ويحرض المسلمين على الجهاد . والقصيدة تبدأ بمقدمة وجدانية جاء فيها : —

يا حمص أقصدك المقدور حين رمى لم يرع فيك الردى إلا ولا زماماً
بجرت عليك يد الدهر ظالمسة لا يعدل الدهر في شيء إذا حكماً

- ١ — انظر : البيان المغرب : ج ٣ ص ٣٦٧ ، الإحاطة : ج ٢ ص ٩٩ .
- ٢ — ورد في صفة جزيرة الأندلس ((أودّعكم أودّعكم جاني)) .
- ٣ — انظر : الروض المصطار : مادة جيان ، ص ١٨٤ ، صفة جزيرة الأندلس : ص ٧٢ .
- ٤ — انظر : — الإحاطة : ج ١ ص ٣٨٣ ، ص ٥٥١ ، أعمال الأعلام : ج ٢ ص ٣٣٢ ، الذيل والتكملة : ج ٥ ص ٢٠٥ ، التكملة : ج ٢ ص ٩٠٣ ، النفح : ج ٤ ص ٤٧٢ — ٤٧٣ ، البيان المغرب : ج ٣ ص ٣٨١ — ٣٨٥ ، الروض المصطار : مادة اشبيلية ، ص ٦٠ .

ما كنتُ أحسبُ أنَّ الحادثات إذا
عمَّتْ بك السَّوءُ لا تلقِي لك السَّلاما
ولا توهِّمتُ ذاك الحسن يخالسُه
ريبُ الزَّمان ويكسو نوره الظُّلما

ويظهر منذ البداية إحساس الشاعر بمصيبة مدينة اشبيلية التي جرت عليها
يد الدهر، وسلبتها حسناتها وبهاءها، وأغقتها جمالها وصفاءها. وقد بدا الشاعر
حزيناً متفجعاً، ناقماً على الأيام سوء صنيعها في هذه المدينة.
ويقدم الشاعر في الأبيات التالية تحليلاً لأسباب ذكبة المسلمين في الأندلس
عامّة، واشبيلية خاصّة: —

يا جنة زحزحتنا عن زخارفها
لما تفرقت الأهواء واضطربت
ونوزع الأمر أهله وقام به
ثارت حفاظ التثليث فابتدروا
وأنشروا ميت الأحقاد بينهم
ويمموا حمز في جمع يضيق به
ذ نوبنا فلزنا البث والندما
نار البقاة فقامت للردى علما
من لم يجد قدما فيه ولا قدما
وأيقظوا من سنات الغفلة الهما
ولو أطاوا لعمري أنشروا الرما
زرع الفضا فسوى الوهد والأكما

والشاعر في الأبيات السابقة يعرف موطن الداء الذي أصاب المسلمين في
الأندلس. فقد أغرى الأعداء بهم تفرق أهوائهم، وتناحرهم وتقاتلهم، وتصارعهم
على السلطان، وضيع قياضهم. ولم يفل الشاعر العلاقة بين ذنوب المسلمين
والمصائب التي حلت بهم، بل أنه يتخذ من ذلك حافزاً لخلقها لتذكيرهم بكثرة ذنوبهم
التي كانت سبباً في إخفاقهم وخسرانهم المبين.

ويمكن أن نستشف من الأبيات ضخامة الجيوش الصليبية التي اشتركت في
احتلال مدينة اشبيلية.

بعد شهرين من محاصرة الصليبيين مدينة اشبيلية، وتشدد يدهم عليها،
واحاطتهم بها من كل الجهات (١). وقد أشار الشاعر إلى عنف هذا الحصار قائلاً: —
وقد احاطت بناء الأعداء فاغرة . أفواكهها تبتغي أرواحنا طعمها

لذلك فإنه يمكن أن نستقرئ^١ قسما كبيرا من أحداث الصراع من خلال الشعر بشكل يوازي استقراءها من المصادر التاريخية ، ((مع الأخذ بعين الاعتبار الفرق في طبيعة التسجيل ، ما بين رصد المؤرخ للأحداث ، وانفعال الشاعر بها)) (١).

بالآ أن قسما كبيرا من القصائد الجهادية التي واكبت أحداث الصراع ، كان مسن الشعر الحماسي ذي المذاق الواحد ، الذي يختلط فيه حدث بحدث ، بحيث لا يستطيع المرء أن يميز حادثة عن أخرى . فهذا الشعر - غالبا - ينقصه التحديد الدقيق للواقعة ، وابرزا تفصيلات خاصة بها .

ولعل هذا يعود إلى أن الشعراء الذين نظموا القصائد الجهادية لم يشتركوا في الممارك . لذلك فهم حين يكتبون عن وقعة ما يعتمدون على خيالهم وعلى ما سمعوه عن تلك الوقعة .

وقد يعود انصراف الشعراء عن وصف الأحداث ، والتفصيل فيها ، إلى أنهم اهتموا بإعلان نبال المعركة ، ونتيجتها على الأمة ، في وقت كان الشعر فيه من أهم وسائل الأعلام .

وقد يكون انكباب الشعراء على التراث الشعري الموروث باعتباره مثلا أعلى يمكن أن يحتذى من الأسباب التي أفقدت قسما كبيرا من شعر الجهاد سمة الواقعية في الوصف .

ثم أن قسما كبيرا من الشعر يرتبط فيه تصوير الواقعة بالحديث عن دور القائد فيها . وهنا تتحول القصيدة إلى معرض إشادة بذلك القائد . ويرتبط على ذلك إغفال الحدث ، وعدم تسليط الأضواء عليه .

١ - صدى الفزرو الصليبي : ص ١٣٦ .

الفصل الخامس

تقييم شعر الجهاد

- أ) دور الشعر في الصِّراع
- ب) الأدباء الفُتَيّ
- ١ - بناء القصيدة.
 - ٢ - الصورة الشعرية.
 - ٣ - الاحتذاء والتقليد.
 - ٤ - أثر مقاييس العصر الأدبية.

أ) دور الشعر في الصراع :-

تعدّى الشعراء في عهد الموحدين مهمة النقل والسرد لأحداث القتال إلى اتخاذ مواقف تسا ند الأمة في صراعها العسكري .
ومن هذه المواقف : - الحدث والإثارة ، وبت دعوة الجهاد بين الأمة ، وذلك للوقوف في وجه المدوان ، وإيقاظ الحواغر الإسلامية من خطر الغزو الصليبي .

وقد تراوحت دعوات الاستشارة والتحرير بين الشدة والشعور بالثقة حين يكون المسلمون في مركز قوة ، والتفجع والتألم حين يكون المسلمون في حالة ضعف . ومع ذلك ، فإن المسلمين لم يفقدوا الأمل في النصر في الحالة الأخيرة .

فهذا ابن المنخل الشلبي يضمن قصيدته التي قالها في حركة عبد المؤمن إلى الأندلس سنة ٥٥٥ هـ ، دعوة قوية مباشرة إلى الجهاد ، وخلال ذلك يبيصره بقوة المسلمين التي تحقّق أهدافهم التي يسمعون إليها ، مؤكدا له أن هذه القوة كغيلة باستباحة ممالك الأعداء ، والتغلب عليها . يقول : -

فتحتم بلاد الشرق فاعتمدوا الغربا	فإن نسيم النصر بالفتح قد هبّا
أرستم إليهم الخيل وهي أجادل	فسالت بكم بحرا وطارت بكم ركبا
أقيموا إلى ابن الرقيق بعد صدورها	وليس عليكم أن ترى ضمرا قبا
رعتها الفياغي فاستدقت جسومها	بما قد رعت فيها الكلا يابسا رطبا
عليها رجال كالقذاح ، وإثما	يكونون في الهيجاء هندية قضيا
فإن تبدأوا بالفرب فالفتح واضح	وإن نجوم الدين بالعدة غربا
ضمان عليكم أن تبيحوا حريمكم	وأن تكسروا فيها التماثيل والصلبا (١)

وقد كان إيمان أبي الربيع الموحّد بحتمية الظفر على المشركين ، وثقته بقوة المسلمين دافعا قويا جملة يلح على الخليفة المنصور في تنفيذ العزم على جهاد الأعداء ، حيث قال : -

جيش الضلال بجيش الحق مهزوم	فنقد العزم إن الفتح محتوم
وجس بمسرك المنصور محكم	أرأى العدا فالذي عودت معلوم
وصمم لفتح يرى في الدهر نادرة	فكم أتاك به عزم وتصميم

مَنْ ذَا يَرُدُّ جُنُودَ اللَّهِ يُقَدِّمُهَا حَيْثُ انْتَحَدَيْتُ بِهَا لِلنَّصْرِ حَيْزُومٌ^١
جَيْشٌ تَصْدِي لِدِينِ اللَّهِ يَنْصُرُهُ مَنْ يُحَرِّمُ الْغَزْوَ فِيهِ فَهُوَ مُحَرَّرُومٌ^(١)

وقد تنوعت أساليب الاستثارة التي لجأ اليها الشعراء لحفز الهمم، وتعبئة المشاعر . وهي أساليب مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بطبيعة الصراع العقائدي . فمن جهة فإنَّ وضع الصراع في إطاره الاسلامي الشامل كان كفيلاً بتعبئة مشاعر الأمة ، واستنهاض طاقاتها على درب الجهاد .

كذلك ، فقد ركّز الشعراء في قصائدهم على أنَّ الاسلام يواجه عدواً متسلحاً بالقوة والعتاد يريد أن يقضي عليه ؛ لذلك أسهبوا في الحديث عن خطره هذا العدو على الاسلام وأهله وحضارته ، وحذروا المسلمون منه ، ودعوه للوقوف في وجهه للقضاء عليه .

وقد بدأت دعوة الشعراء الى مواجهة العدوان منذ وقت مبكر . فمما نقل عن القرشي العامري^(٢) قصيدة طويلة في رثاء الأندلس، لم يبق منها إلا ثمانية أبيات ، هي : —

ألا مسمدٌ منجزٌ ذوفطَن	يبكي بدمعٍ معينٍ هَتِينٌ
جزيرة أندلسٍ حسرةٌ	لا غالب من حقوق الزَّمِين
ويندبُ أطلالها آسفاً	ويرثي من الشُّمر ما قد وهَن
ويبكي الأياص ويبكي اليتامى	ويحكي الحمام ذوات الشَّجَن
ويشكو إلى الله شكوى شَجٍ	ويدعوه في السرِّم العلَن
وكانت رباطاً لأهل التقى	فصارت مناظاً لأهل الوثَن
وكانت معاذاً لأهل التقى	فصارت ملاذاً لمن لم يَكُن
وكانت شجى في حلق العدا	فأضحى لهم مالها محتَجَن ^(٣)

والقصيدة وإن اتخذت طابع الرثاء للأندلس، فإنها تحمل في ثناياها دعوة قوية لإنقاذها من خطر الصليبيين ؛ فإن فيها شروة عاطفية حقة قادرة على إثارة المشاعر، وحفز الهمم . يظهر ذلك في الوصف المؤثر لأوضاع المسلمين في الأندلس

- ١ — ديوان أبي الربيع الموحّد : ص ٣٢ .
- ٢ — سكن إشبيلية ، وكان متفناً في معارفه ، محدثاً ، عدلاً ، فقيهاً ، شاعراً ، كتب بخطه كثيراً من الدواوين . توفي سنة ٥٧٢ هـ . انظر : الإحاطة : ج ١ ص ٣٦٤ — ٣٦٧ .
- ٣ — الإحاطة : ج ١ ص ٣٦٦ .

وقد أهدى العدو وبهم . . والمقارنة بين حالها أيام قوة المسلمين وحالها بعد ضعفهم . . وإبراز خطر الأعداء على التراث الإسلامي ، وجماعة المسلمين الذين قتل كثير منهم ، فكثرت الآياس واليتامى ، وأصبحت البلاد ملاذا للكفار بعدما كانت عامرة بأهل الإيمان .

وعندما حاصروا ابن مردنيش وحلقاؤه النصارى بلدة شُقر وأطبقوا عليها ، بعث أبو بكر المخزومي رسالة حسنة في الاستصراخ والاستنصار ، وأدعها عدة أبيات تصور فيها الخطر الذي كان يمثله ابن مردنيش على أهل تلك البلدة . فقد أرقهم وأباح دماءهم ، وضيق الخناق عليهم ، وقذف الرعب في قلوبهم ، حيث قال : -

تدارك أمير المؤمنين دماءنا	فإنك للإسلام والدين ناصر
ووجهنا إلى استنقاذنا بكريمة	يهاب الردى منها العدو والمناصر
تنفس من ضيق الخناق بأرضنا	فتدارك آمال وترعى أواصر (١)

وقد ألح الشعراء على انتزاع المعاني التي تصور خطر الوجود الصليبي على جماعة المسلمين . فعندما هوى الخليفة يوسف بالخلافة رفع إليه أبو بكر بن المنخل الشلبي قصيدة دناها فيها ، وقد أدعها وصفا مؤثرا لأوضاع المسلمين في مدينة شلب ، ودعوة قوية للتوجه إلى هذه المدينة لصدد العدوان عنها ، وإنقاذ أهلها : -

إن الأعداء لا تزال كصدها	توري بشلب مفارها وكفاحها
قد غيشت أنهارها ، وتحرقش	أشجارها ، وتكفأت أقداحها
كلفت بها أعداؤها حتى لقد	أخذوا عليها نجدها وبطاحها
ما ضرنا أن غلقوا ما حولها	إن كان سينتقم بعدد ما مفتاحها

فعلى سيوفك أن تبعد كمامها * وعلى جيوشك أن تروح ساحها (٢)

وإذا كان الشعراء أبرزوا الخطر المحدق بجماعة المسلمين عامة ودعوا إلى تداركه ، فإن بعضهم صور الآلام الشخصية التي يعاني منها من جراء استشهاد

١ - الحلة السيرة : ج ٢ ص ٢٦٩ .

٢ - المن : ج ٢ ص ٢٤٤ - ٢٤٥ .

عزيز (١)، أو سقوط مدينة (٢)، أو تخريب ديار (٣)، أو أسر الأعداء. فهذا أبو محمد ابن عذرة (٤)، يبعث من موضع أسره في طليطلة عدة أبيات إلى الخليفة الناصر يبصره فيها الضيق الذي يعاني منه، والآلام التي يكابد ها، والخطر الذي يهدد حياته :-

لَوْ كُنْتُ حَيْثُ تُجَبِّنُنِي لَأُزَابَ قَلْبِكَ مَا أَقُولُ
يَكْفِيكَ مِنِّي أَنْتَنِي مَا أَسْتَقِلُّ مِنَ الْكَمُولُ
وَأَتَجَاهُ لِحَظِّي أَلْفُ لَحَا ظِلِّ كَيْ أَقْسِرَ وَلَا أَزُولُ
وَإِنِّي أُرَدُّ رَسَالَةً لَكُمْ فَمَا أَلْفِي رَسُولُ (٥)

ومما قال في أسره :-

يَعْدُّ بِرَجْلِي الْحَدِيدُ وَلَيْسَ لِي حَرَاكٌ لَمَّا أَبْغَيْ وَلَا أَتَنَقَّلُ (٦)

وإذا كانت هذه الأبيات قد جاءت علي هيئة وصف للآلام النفسية والجسدية التي يعاني منها ابن عذرة في أسره، حيث صور نفسه مراقبا من الأعداء الذين شددوا الحراسة عليه، مقيدا بكمول الحديد التي أثقلت قدميه، وأعاقت حركته... فإن هذه الطريقة في التعبير كانت يومئذ قوية في استثارة العواطف، وحفز المشاعر، ومؤثرة في التذكير بالآلام الأسرى، وذلك الاعتقال.

وقد أنكر أحد المرسيين على الخليفة المادل تقاعسه عن الفوز، وتأخيره عن الجهاد، والمسلمون لا يأمنون على حياتهم :-

وَلَيْسَ الْمَلِيبُ يَرَى مَانِعًا لِفَيْرِ تَوَاتُرِ أَعْدَائِنَا
وَسَيِّدُنَا نَاظِرٌ فِي الْجَوَارِ يَرُومُ النِّجَاةَ بِإِسْلَامِنَا (٧)

- ١ - انظر: الذيل والتكملة: ج ٤ ص ٩٠-٩٥.
- ٢ - انظر: الروض المصطار: مادة بلنسية، ص ٩٩-١٠٠.
- ٣ - انظر: المغرب: ج ٢ ص ٤٤٨، مخطوط الوافي بالوفيات: ج ١٦ ورقة ١٩.
- ٤ - هو أبو محمد بن عذرة، استره النصارى، وطالبوه بمال كثير، فكتب في ذلك لناصر بني عبد المؤمن وفأمر الأتابك منحه في إعطاء هذا المال، لأن فيه تقوية للمدوّ.
- انظر: - المغرب: ج ٢ ص ١٤٨.
- ٥ - المغرب: ج ٢ ص ١٤٩.
- ٦ - المغرب: ج ٢ ص ١٤٩.
- ٧ - الروض المصطار: مادة عفيص، ص ٤١٥-٤١٦.

أسره

وكما حذر الشعراء من الخطر الصليبي على جماعة المسلمين ، كذلك فقد أبرزوا خطورة ذلك على الإسلام وتراثه وأرضه .

فقد دعا ابن حربون الخليفة يوسف إلى الجهاد في الأندلس لإعادة سابق عهد هاليها ، ولحيا رسوم التابعين وسننهم في تلك الأرض التي لا ينفك الأعداء عن المبيت فيها ، وتخريب معالمها ، ومكايدة أهلها : -

وإني لأرجو للجزيرة كرامة *
تعيد عليها عهد هذا المقار ما

وأنت أمين الله تجبر صدعها *
وإن قال قوم إن الله قد تقاد ما
وتحيي رسوم التابعين بأرضها *
فها هي تستدعين غبرا طواسمها
طلول بذاك الشفر ما انك هامها *
على البعد تستشقي القنا واللهاز ما (١)

وقد تحدث ابن الأثير بحرقه عن دغول الصليبيين مدن الأندلس ، وتخييب مدالمها الحضارية ، وتحويل مساجدها بيما ، ودعا الأمير المنصور إلى الوقوف في وجهه الحذر ، وإيقان البلاد منه : -

أدرنا بخيلك خيل الله أندلسا *
إن السجيل إلى منجاتها درسا
وحاش ما تمنيه حشاشتها *
فالمالما ذاق البلون سباح دوسها
يا للمصابيح عادت للعدا بيما *
وللنداء غدا أثناءنا جرسا
سرعان ما عادت جيش الكفر وأحرها *
عند الدبا في منانيها التي كبها

ويرتفع صوت الشاعر عاليا عند ما يتحدث عن الخطر المحدق بجماعة المسلمين في الأندلس ، ويدعو إلى تدارك حالهم : -

يا للجزيرة أضحى أهلها جزرا *
للعاديات وأمسى جد ما تعسا
في كل شارقة المأم باثقة *
يعود ماتمها عند العدا عرسا
وكل غاربة إجماع نائقة *
تثني الأمان حذارا والسور أسى
وفي بلنسية منها وقرطبة *
ما ينسب النفس أو ما ينزف النفسا

صله عيّلها أيها المولى غمّا أبقي الحراس لها حبلًا ولا مُرسًا

وتصوّر هذه الأبيات نكبة الأندلسيين، ومأساتهم الدامية، والعدوان الطاغوتي عليهم، والقسوة الصارمة التي يوءخذون بها. وقد أودع الشاعر هذه الأندكار في عبارات موحية ذات تأثير مباشر في النفس.

يستثير ابن الأبار سمية الأمير العفسي ونخوته حين يخلع عليه مجموعة من
الغنائم، ويقدر النداء عليه :-

كذي رسا عليها تدعوك من كعب وأنت أفضل مرجو لمن يفسد
واغتنك جارية بالنجع راجية * منك الأمير الرضى والسيد الندسا

توم يسمي بن عبد الواحد بن أبي حفى مقبلًا من تربه القدسا
ملك تقلدت الأملاك الماعتسا دينا ودنيا ففشاها الرضى لبسا

ويدعو ابن الأبار الأمير العفسي إلى تطهير البلاد من رجس المسلمين، ونصرة
المسلمين الذين يمانون وطأة الأعداء، وذلك الهزائم :-

زهر بالادك منهم وإنهم نجس ولا بهارة إن لم تفسل النجسا
وأولى الغيلق الجرار أرضهم حتى يطألى رأسا كل من رأسا
وانعز عبيدا بأقصى شرقها شرقت عيونهم أدمعاً تهيم زكا وخمسا (١)

وقصيدة ابن الأبار وإن كانت بشكل حث على انقاذ الأندلس، إلا أنها تعكس
معاني واضحة لارتائها، مما زادها قدرة على التأثير. والقصيدة ((لا تفوز بها
القوة ولا الحماس ولا التألق ولا البلاغة المتقدة)) . لذلك فعندما وصلت الأمير
العفسي ((حرّكت من جنانه أغفر جناح، ولشغفه بها، وطمس موقعا منه أمر شجرا
مخبرته بمجاوبتها، فجاوبها غير واحد)) (٣). وبادر ((السلطان باعانتهم، وشحن
الأسا ليل بالمدد اليهم، من المال العمام والأقوات والمكسي)) (٤).

١ - النفح : ج ٤ ص ٤٥٧-٤٦٠، تاريخ ابن خلدون : ج ٦ ص ٦٠١-٦٠٤.

٢ - الأدب الأندلسي في عصر الموحدين : ص ١٣٧.

٣ - النفح : ج ٤ ص ٤٦٠.

٤ - النفح : ج ٤ ص ٤٦٠، وانظر : مخطوط الحلل السندسية : ورقة ٢٢، البيان

المفرب : ج ٣ ص ٣٤٤.

وقد سهر ابن سهل تشايق الإسلام وجرحه واستغاثته بالمسلمين، عندما اشتد
السدوان على مدينة إشبيلية :-

أضحكى الهوى يشكو الدُّمما ولا نتم	ظلُّ وري كالربيع المصلب
الدين نادكم وفوق سروجكم	* غوث الصريح ونية المصنص
لو سهر الإسلام شخصاً جاءكم	* عمدا بنفس المرامق المتحيب
لو أنه نادى لنسركم	ودعاكم : يا أسرتي يا معشركي

ويظهر الشاعر المسلمين بالغدر الذي كان يمثله الوجود السليبي على التفرات
الإسلامي في الأندلس. فقد غير الأعداء معاملها الحضارية، وأبالموا سنن النبوي
عليه السلام، وأستقوا منابر الإسلام :-

كم نذروا من معلومكم دسروا	من معشركم غيروا من مشسروا
كم أبطلوا سنن النبي وعملوا	من حلية التوعيد نذروا منبشروا

ويتوجه ابن سهل بدعاء مباشر إلى المسلمين للدخول إلى جهاد السليبيين في
الأندلس، مبيها لهم الأجر الذي أعدّه الله للمجاهدين في سبيله :-

هزروا معادلكم لسمي تكسبي	فيه ثياب مشوية أو مخسبي
جعدوا ونموا بالجهاد أجوركم	ما غاب قنود منم ومشم (١)

وقد كان أبو موسى بن هرون قويا في دعوته إلى الجهاد، مؤثرا في أسلوبه، صادقا
في انجوا، عندما وصف مأساة المسلمين في مدينة إشبيلية، ودعا إلى انقاذها من
وعشية السليبيين. فقد اختار الشاعر مما حل بمدينة إشبيلية مناظر قادرة على تهبة
الشاعر، وحفز الهمم، واستثارة الحموا لف دسور مناظر القتل الجماعي، والضييق النفسي،
والأسر... . بعبارات مؤثرة تأسر الوجدان، وتغفر الصدور (٢). ويتخذ أبو موسى من
ذلك دافعا قويا للاستنجاد بأهل المدوة الصربية، وحشهم على الجهاد :-

يا أهل وادي الحمما بالمدوة انتمشوا	هذا الدماء فقد أسمى به سقمنا
ما ذا يبتلكم قننا وحولكم	إن تبصروا، دار قوم أصبحت رمنا
وحقنا واجب فالدين يمعننا	مع الجوار الذي ما زال منتزعا

١ - ديوان ابن سهل : ص ١٤٠ .

٢ - انظر : ص ١١٧ - ١١٨ من هذه الدراسة .

٢ - النفع : ج ٤ ص ٤٧٨ .

وقد كانت الحرب النفسية موقفا آخر من تلك المواقف التي تعطلها الشعراء، وأدركوا أهميتها في رفع صنويات الأمة، ودعم الجبهة الداخلية . لذلك تمدوا ونقل الأحداث في إيرادها المجرد إلى تقديمها في صور مختلفة تبث على الثقة، وتحقق أغراض الجماعة الإسلامية . ومن هنا أبرز الشعراء قوة المسلمين، ومددوا الأعداء بها، وخصموا الانتصارات، وصعدوا، وقد مودوا في الطار من التفاؤل والاستبشار، في الوقت الذي حولوا فيه نزاع الأعداء، وبالخصوا في وسفها، وقد مودوا في الطار مشير.

كذلك بذل الشعراء وسعهم في الإزاء بالقيادة السليبية، فوصفوها بنفقات تودى إلى خلق حالة من عدم الثقة بها . ويقابل ذلك إشادة عارمة بالقيادة الإسلامية . . .

أما الجيوش السليبية، فقد ألقى الشعراء به صفات مزرية كالجهن، والشوف، والفرار، والفساد .

فقد اصطنع ابن المنفل السليبي أروع ألقاظ الحرب، وأقدر صورها على إثارة الحمية، وإشعار المسلمين بالبأس والقوة، وبالكرامة والعزة، والشمو والاباء، هيمن وصف جيش المسلمين، ومدد القائد السليبي ابن ريمند، وتوعد بهزيمة في عقرباره :-

كفلاً لا بن ريمند تأدباً لخسرة	يسد عليكم جيشها الأفتح السهبا
إذا جردت فيها السيوف عسبتها	جد أول روض، والرمح به قسبها
كأن ندام الدو بافت بأفقيهم	وقد لقت موج الرياح به سحبها
واين عشرت أعلامه لمحارب	جوى دمه من تحتها وابلا سكبها
واين لقيت شهاباً موافق عيلهم	أشارته سهلاً لا ترى فوقه دهبها
إذا بارزت دماً إليكم غانمها	يجوز وشيك الموت نعوكم دربها (١)

وقد أخذت ابن سيّد الاشبيلي ثقة عارمة بالنفس عينا وصف جيش المسلمين، وأبرز قوته، ومدد الأعداء به، ودعاهم إلى المبادرة إلى طلب السلم، حقنا لدمائهم من سيوف المسلمين :-

أبلغ ذوي الشرك والإلحاد قالمية	أن ما لهم من جنود الله من قبل
أتاكم الجيوش محفوا جوانبهم	بالشرقية والخلية الذبـ

رَبِّهِمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْإِسْلَامُ بِحَبْلٍ
غَلِيظٍ أَتَيْتُمْ بِحَبْلٍ مِنْ يَدَائِكُمْ

لَا تَحْسَبُوا دَوْلَةَ التَّوْحِيدِ كَالدُّولِ
وَإِنْ أَبَيْتُمْ غُفَا فَوَاجِبُ الْأَجَلِ (١)

وقد دفع ثغور المسلمين في معركة السبيكة الشوان الشلبي إلى تحذير الأعداء،
وتوبيخهم، وعرضهم على التسليم، واللب الأمان :-

ثَلَاثَ الْمَخَايِلِ أَغْدَقْتُ وَكَافَسْتُ
ثَلَاثَ السُّيُوفِ تَفَوُّلُ مَنْ تَسَلُّوْهُ بِهِ

فَعَذَارُ مِنْ زَبِيلِ الرَّوَاعِدِ سَائِبِ
فَاَطْلُبْ أَمَانًا مِنْ عِزِّهِ غَائِبِ

وقد ولد الشاعر السابق مشاعر جامعة في نفس الشوان الشلبي ، دفعته إلى
المبالغة حين تحدث عن الرعب الذي دب في قلوب الأعداء بعد هذه المعركة :-

وَتَقَيَّنَ الْأَعْدَاءُ أَنَّ جَمَاعَتَهُمْ
مَا بَعْدَ الْإِقْدَادِ تُسَاغِبُ

نَفْسُ الشَّوَّانِ الشَّلْبِيِّ ، دَفَعَتْهُ إِلَى
مِنْ بَعْدَ غَذَا الْيَوْمِ نَهَبُ الثَّانِي

يَلْقَى يَدَاهُ أَوْ تَوْبَةً مِنْ تَائِبٍ (٢)

وقد أوتت مظاهر القوة العسكرية التي عبرت عن السيد أبي عيسى إلى الأندلس
سنة ٥٦٠ هـ إلى ابن حريون بتهديد الأعداء ووعيدهم، وتوبيخهم منه قوة
المسلمين ، وثقة الشاعر المطلقة بها :-

فَالآنَ قَدْ لِدَوَى الْإِلْهَادِ شَأْنَكُمْ
وَيَسَّرَ الْحُجْمَ أَنَّ الْعَرَبَ قَدْ دَلَفَتْ

فَمَا لَكُمْ دُونَ بَذَا الْأَسْرُطَحِدُ
عَلَى الْعَرَابِ وَأَنَّ الْمَطْلَقُ مَكْدُودُ (٣)

وقد دعا الأمير أبو الربيع الموحّد النسيبي إلى الإسراع في جلب الأمان من
المسلمين ، قبل أن تغتاك سيوفهم بهم :-

فَقَسِّلْ لِأَهْلِ الْمَلِكِ حَقًّا
فَمَا لَهَا مِنَ الْأَمْنِ مِنْ إِمَامٍ

إِنَّهُمْ خَسِرُوا وَغَابُوا
فِي كَفِّ النَّصْلِ وَالْحَقِّ سَابُ (٤)

وقد غصم المشركاء انتصارات المسلمين ، ومجددوها ، وتحدثوا عنها بلهجة ملؤها
الثقة الحارمة بالنفس . فقد استهزأ ابن عزمون قصيدته التي قالها في معركة الأراك
بأبيات تنبر عن الفرحنة الكبرى بهذا الظفر ، والانتشاء به :-

- ١ - المني : ج ٢ ص ١٥٨ - ١٥٩ .
- ٢ - المني : ج ٢ ص ٢٠٩ .
- ٣ - المني : ج ٢ ص ٢٥٥ .
- ٤ - ديوان الأمير أبي الربيع : ص ٣٥ .

حَيْتَكَ مَعْلُومَةُ النِّفَاسِ
غَذَرِ الْكَفَّارَ وَمَاتَمَهُ
نَفَحَاتُ الدُّسْرِ بِأَنْدَلُسِ
إِنَّ الْإِسْلَامَ لَفِي عُسْرٍ (١)

وظلت مشاعر الفرح والابتهاج بهذه، تغمر القسيدة من أولها إلى آخرها .

كذلك، استهل أبو العباس الجراوي القسيدة التي قالها في المعركة السابقة بأبيات تفيض من هذا النسر، وتمثله، وتصور ابتهاج المسلمين به، لذلك فإن البلغاء يجهلون عن وصفه، كما يقرر (٢).

بلاضغاف عالية من الضخامة على ظهر فم بلقون، فقد استهل أبو العباس الجراوي قسيدته التي قالها في هذه المناسبة بمطلع حافل بأبيحاءات الضخامة :-

أَطَيْتُ دِينَ الْوَاعِدِ الْقَهَّارِ بِالْمَشْرِقِيَّةِ وَالْقَنَا الْخَالِكِ

ولمخبري نفسه، فقد جعل الجراوي موسى بن نسير ومارن بن زياد يزدريهان يهودهما لورأيا لأشر المسلمين في المعركة السابقة :-

أَوْرَاءُ مُوسَى مَا فَعَلْتَ وَطَبَّارُ زُرِيَا بِمَا لَهُمَا مِنَ الْأَثَرِ (٣)

وقد كان تهويل مزاعم الصليبيين واسباغ عالية من الضخامة عليها لأبي الشعراء، فقتلهم يمدون بالآلاف (٤)، ويساورون بين الأرض لكرتهم (٥)، بل إنهم عدد الحصى (٦)، لذلك فإن جيوش المسلمين لا تضع أقدامها إلا على جثثهم :-

أَوَّلَاتُهَا هَامَ الْكُمَا فَلَمْ تَنْجُ إِلَّا عَلَى كَهْدٍ صَرِيحٍ مَبْتَكَى (٧)

والدمار الذي حل بالأعداء في غزوة طليطلة تعجز الروايات عن وصفه :-

قَدْ أُبْلِيَتْ نَارُهَا الْمَدِيدَةُ وَأُنْجِزَتْ بِهِمُ الْعِيدَاتُ

وَقُصِمَ بِالْدمَارِ يَوْمٌ تَقَدَّرَ عَنْ رَحْمَةِ الرَّوَاةِ

كَمْ يَهْدَى لَا تَزَالُ تُثَلِّسِي آيَاتِهِ وَهِيَ بَيِّنَاتُ

وانتهزام الصليبيين في هذه الغزوة، كان دافعا قويا للجراوي للإزراء بـندهم. فهم على الرغم من شجاعتهم وقوتهم لم يقدروا على الثبات أمام قوة المسلمين :-

١ - المصعب: ص ٣٧١ .

٢ - انظر: ص ١٥٣ من هذه الدراسة.

٣ - البيان المغرب: ج ٣ ص ٤٧ .

٤ - انظر: ص ١٠٦ من هذه الدراسة.

٥ - انظر: ص ١٥٢ من هذه الدراسة.

٦ - انظر: ص ١٠٦ من هذه الدراسة.

٧ - ديوان الأمير أبي الربيع: ص ٢٨ .

ذَلُّوا لِأَمْرِ اللَّهِ قَسَصُوا
وَفَرَّقَتْ بَيْنَهُمْ بِحُكْمٍ
رَأَوْا بِحُزْبٍ إِلَّا لَهُ سَبَبٌ
فَحَارَبُوا مِنْهُمْ أَنْفِلَاتُ
وَنِمَّ أُولُو نَجْدَةٍ أَبْهَتُوا
أَمْوَأُجُهَا الْخَيْلُ وَالْكَسْبُ
وَالْمَوْتُ حَقٌّ بِهِ الْبَهْتَاتُ
وَلَيْسَ لِلدَّائِنِ انْفِلَاتُ (١)

والإيزاء بالسليبيين وقيادتهم، والاستهانة بأمرهم، ولا تتقاس من قد ربحهم بمسند
أن ذاقوا مرارة الهزائم صوّرها الشسر في أكثر من موضع.

فالسليبيون يتسمون بالجهل وسوء التقدير إذ يزينون لأنفسهم قتال المسلمين :-

بِجَهْلٍ النَّصَارَى أَنَّهُ الْمَلِكُ الَّذِي
أَجْلُ الْجَهْلَةِ هُمْ فَكَيْفَ أَلَوْهُمْ
يَرِثُ الْبِلَادَ وَعَدُّهُمْ مَقْبُولُ
وَعِلْمُ أَنَّ الطَّبِيعَ لَيْسَ يَعُولُ (٢)

وهم إذا عزموا على قتال المسلمين يدب الرعب في قلوبهم، ولا يجروهم على
ذلك :-

يَلْقَى الْعِدَاةَ الرَّعْبُ قَبْلَ لِقَائِهَا
فَيَزِلُّ قَبْلَ قِتَالِهَا أَقْدَامُهَا (٣)

وقد سار أبو الوليد القسالي من السليبيين لأنهم أسلموا أمرهم لقائد غوث قادهم
إلى المهالك :-

نَزَلُوا عَلَى حَرْفِ الْبِلَادِ وَمَادَرُوا
وَتَغَيَّلُوا بِسُلُوكِهِمْ لِقَوِّهِمْ
أَنَّ النُّزُولَ عَنِ الْعِيَاةِ نَزُولُ
وَمِنَ الشَّقَاوَةِ ذَلِكَ التَّخْيِيمُ
شَرِبَتْ كَمَا شَقَّ الرَّدَاءُ طَوِيلُ (٤)

وبعد الإيزاء بالسليبيين، والاستهانة بهم، ولا تتقاس من قد ربحهم لتقوية معنويات
المسلمين، الخاتمة في قول ابن سائب الصلة :-

تَنَوَّمَهُمْ بَيْرُ الْعُدُوِّ وَنَوَاعِمْ
كَأَنَّ بَيْمَ وَالسَّيْفُ يَأْكُلُ وَفَرَسُهُمْ
وَمَا جَمَعُوا لِلدَّائِنَاتِ مَفَارِقُ
وَمَا جَمَعُوا لِلدَّائِنَاتِ أَلْوَالِقُ (٥)

١ - البيان المغرب: ج ٣ ص ٢٠٠.

٢ - البيان المغرب: ج ٣ ص ٤٨.

٣ - المن: ج ٢ ص ٤٦٠.

٤ - زاد المسافر: ص ٥٨.

٥ - المن: ج ٢ ص ١٦٧.

وهم لشدة خوفهم غلبتهم يتوهمون وقع سلاح المسلمين، فيهممون بالفرار عن
أولائهم :-

تتوهم الكفار وقع سلاحهم فتهم عن أولائهم * بتفـ (١)
وهم تصغر أولائهم عند رؤية المسلمين :-

وتصغر أولان العدا كـ رموا منك أول الدهر باليرقان (٢)

المذلت فقد دعا أبو الحكم بن رضى البلنسي إلى عدم الاكثار بهم، فإن مصيرهم
القتل بسيوف المسلمين :-

لا تشغلن بهم بالاً فإنهم لا لجائع المرت مشروب ومأكول
وسوف يأتيك عن قرب زعيمهم قسراً على كل حال وتو مذمول (٣)

وهكذا فقد اضطلع الشعر بدور إعلامي هام في الصراع مع العدو، إلا أنه ينبغي
الأيان أن الشعراء في مواقفهم السابقة قد حجبوا عن أعين الأمة ما يغيبه المستقبل
من أخطار، وغلوا جماعة المسلمين، وأودعهم أن التغلب على العدو كان أمراً
ميسوراً . . . وإنما كان الشعراء في الوقت نفسه منذرين، ومحدرين، ومبشرين، ومحررين،
وداعين إلى الأخذ بأسباب القوة لمواجهة هذا العدو. لذلك فإن الموقف التالي
الذي اتخذته الشعراء إزاء الصراع هو إيمانهم بأن القوة هي السبيل الوحيد إلى دفع
العدوان. وقد كان هذا الموقف نابعاً من مشاهدات الشعراء. ومن هنا تعالست
دعواتهم إلى الأخذ بأسباب القوة لمواجهة العدو، دون أن يتركوا أدنى شك في
أنهم دعاة قوة.

وقد كانت محاولات الشعراء لاستقطاب لماقات الأمة في مواجهة العدو، ودعواتهم
المتتالية إلى الوقوف في وجهه ملهراً من ملهات القوة التي نادوا بها، ودعوا إليها.

ويستوحى أبو حنيس الأغماتي الأثر القائل ((إن الله ليزع بالسليمان ما لا يزع
بالقرآن)) حين يهجر عن إيمانه بالقوة سبيلاً إلى قلنج دابر العدو :-

— ورد في المن : ((أولاهم)) .

١ — المن : ج ٢ ص ١٧٠ .

٢ — المفرب : ج ٢ ص ٢٩٠ .

٣ — المن : ج ٢ ص ٤٢٧ .

فَلَا تُغْنِي الْأُمُلُ إِلَّا مِنَ الْقَنَاءِ وَلَا تُكُتِبُ الْعُلْيَا بِغَيْرِ الْكَائِبِ
وَلَا يَبْلُغُ الْخَايَاتُ إِلَّا مَمَمٌ عَلَى الْهَوْلِ رَكَابٌ ظَهَرُوا الْمَائِبِ (١)

وَبَوَّكَدَ أَبُو عَمْرٍانَ مُوسَى بْنَ سَعِيدٍ * بِإِيْمَانِهِ بِالْقُوَّةِ سَبِيلًا إِلَى حَسَمِ عُنَادِ الْأَعْدَاءِ،
وَرَدَّ كَيْدَهُمْ حِينَ يَقُولُ : -
رَحِمَ الرَّكَابُ إِلَى عِزِّ الْجَنَابِ فَقَدْ خَلُّوا فَمَا تَنْفَعُ الْآيَاتُ وَالنُّدُورُ
وَأَعَزَمَ كَمَا مَزَمَ الْمَأْمُونُ أَنْ تَشَكَّرْتَ أَرْحَمَ الْعَرَانَ غَزَالَ الْبُوءِ وَالنُّسُورِ (٢)

وَلَمْ يَرِ أَبُو الرِّبِيعِ الْمُوَحِّدُ أَنَّ ثَمَّةَ مَجَالًا لِلتَّسَاعُلِ مَعَ الْمُعْتَدِينَ، لِذَلِكَ فَقَدْ دَعَا
الْخَالِيفَةَ الْمُنْصَوِّرَ إِلَى الْاِهْتِكَامِ إِلَى السَّيْفِ فِي مَعَالِجَةِ أَمْرِهِمْ : -
كَمُتِ الشُّعُورُ الْخَالِبُ لَمَّا لَمْ يَكُنْ إِلَّا إِلَيْكَ مِنَ الْخُطُوبِ الْمُشْتَكِّي
وَتَغَايَمَتَا مَهْجُ النَّفُوسِ بِهَا إِلَى حُدِّ الدِّسَامِ فَلَمْ تُبْشِرْ إِلَّا الْكُتَا
وَالسَّيْفُ أَعْدَلُ حَاكِمٍ، فَخَشِيَ لِهَازِي أَنْ تُسَانَ، وَكَذَلِكَ أَنْ تُسْخَكَمَ (٣)

وَلَعَلَّ مِنْ مَثَالِهِمْ إِيْمَانُ الشُّعْرَاءِ بِالْقُوَّةِ سَبِيلًا إِلَى النُّسْرَةِ تَمْجِيدًا لِمَنْ كَلَّمَ، انْتِهَارًا
يَحْرُزُهُ الْمُوَحِّدُونَ عَلَى الْخَارِجِينَ. فَقَدْ رَدَّ ابْنُ بَاغِيْلٍ مُسَالِمَةً لِمَا حَبَّ مَقْلِيَةِ الْمُسْلِمِينَ،
وَحَضَرَهُ لَهُمْ، بِانْتِصَارِهِمْ عَلَى الْمَشَاغِبِينَ فِي مَدِينَةِ قَفْصِهِ، حَيْثُ قَالَ : -
وَلَمَّا انْتَفَى الْفَتْحُ الذِّبَّ كَانَ يُرْتَجَى وَأَسْبَحَ حَزْبُ اللَّهِ أَغْلَبَ غَالِبِ
أَشْرَفْنَا بِأَعْنَاقِ الْهَيَاءِ إِلَيْكُمْ * وَعُجِّنَا عَلَيْكُمْ مِنْ نَعْدِ الرَّكَائِبِ
وَمَهَّ، عَلَى رَفْعِ السِّمَارِ لِسَلْمَنْكَ - يَدِيهِ عَظِيمُ الرُّومِ فِي شَالٍ رَاغِبِ (٤)

وَبَرَى شَأْنُ مَعْهُرٍ أَنْ غَزَا الْمُوَحِّدِينَ قَبِيلَةَ رِيَّاحٍ وَارْتَضَاعَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا مَنْ
أَبْدَلَ الشُّغْرُ لِلْمَجْمَعِ فِي الْأُنْدَلُسِ : -
سَتَلْقَوْا بِلَادَ الرُّومِ مِنْهُ حُتُوفَهُكَ - وَيَخْشَى أُولِي الْإِلْهَادِ مِنْ ذِكْرِهِ بَهْدُ

✱

- ١ - المَن : ج ٢ ص ٤١٢ .
- * - هو أحد مؤلفي كتاب المغرب، ووالد عبد الملك بن سعيد، توفي سنة ٥٦٤ هـ .
- انظر : المغرب : ج ١ ص ١ - ٥ .
- ٢ - النُّفُح : ج ٢ ص ٣٦٥ .
- ٣ - ديوان أبي الربيع الموحّد : ص ٢٨ .
- ٤ - البيان المغرب : ج ٣ ص ١١٤ - ١١٥ .

وَمَا كَانَ بِهَذَا الْغُزُوِ إِلَّا مِنْ أَجْلِهِمْ فَلَمَّا تَجَلَّى سَبْحُهُ كُلُّ الْقَصْدِ (١)

ولما كان الشمرء دعاة قوّة، فقد عملوا بهاديين على مشهد القون، السماعيّة خلف القيادة الإسلاميّة، وتعميق علاقة الولاء العا لفي والمقدني بينها وبين الرعيّة. لذلك تنامت دعوات الشمرء إلى الانقياد للقادة المؤمنين وطلاعتهم، ومن ذلك قول ابن سيّد الإشبيلي صفا لها بعض القبائل السريّة الخارجة :-

كَتَرْنَا اقْتَدَا وَبُسْرَاةَ قَيْسٍ إِيَّاهُمْ جَارَتْ بِمَنْسَمِهَا كَرِيمَ الْمُنْمَرْسِ
كَتَرْنَا إِذَا رَضِيَ الْخَلِيفَةُ دَائِمًا وَكَذَاكَ إِنْ يَغْشَبُ لِحَقِّ تَغْضَبِ (٢)

بذا، أنّ الايمان لا يكمل إلا بالاعة الإمام :-

مَنْ لَيْسَ مُسْتَقْدًا إِيمَانًا لِدَاعَتِكُمْ فَلَيْسَ يُغْنِيهِ إِيمَانُ وَتَوْحِيدُ (٣)

وكسبا لشقة الأمة المملقة بالإمام، فقد استوحى بعض الشمرء تعاليم المؤمنين في الإمامة، وصوّروا خلفاءهم أئمة معصومين، أمرتهم بمراب :-

كَأَنَّ النَّاسَ مِنْ خِلاَءٍ وَأَنْتُمْ كَمُتُّمُ إِذَا اللَّهُ أَمَرَكُمْ سَكَوَابُ (٤)

وللمهدف نفسه فقد مجّد الشمرء القيادة الإسلاميّة، وأسبخوا عليها الفضائل السريّة والخلقيّة.

١ - المّن : ج ٢ ص ١٣٣ .

٢ - المّن : ج ٢ ص ١٦١ .

٣ - البيان المغرب : ج ٢ ص ١٦٥ .

٤ - المّن : ج ٢ ص ٢٦٤ .

(ب) الأراء الفني :

يهدف هذا الحديث إلى تقويم الأراء الفنية التي عبر بها الشعراء عن مضامين قصائد هم . وسنعمد في هذا التقويم على الدراسة الداخلية لشعر الجهاد .

١ — بناء القصيدة :

عزف الشعراء في قصائد هم الجهادية عن المقدمات الفزلية والحللية، واستعاضوا عنها بمطالع ترتبط بالجو العام للقصيدة . فقد استهل ابن مجبر قصيدته التي قالها في معركة الأرك بالإشادة بجهود قائد المعركة في جهاد الأعداء : —

قضى حقوق الله في أعدائه ثم انشئ والنصر تحت لوائه (١)
واستهل أبو حفرة عمر الأغماتي قصيدته في المعركة السابقة بمطالع قرن فيه
اجدّ الإنسان بالتوفيق الإلهي : —

أطاعتك الذوابد والشفار ولبى أمرك الفلك المدار (٢)
وبدأ بوعمر الأشيري قصيدته التي قالها في معركة السبطاط بمطالع يوحى بعنف
المعركة، وضراوة القتال : —

دارت رحى الهلكات بالسبطاط وسطط بها رب الزمان الساطي (٣)
وافتح شاعر مجهول قصيدته التي وجهها إلى الأمير الحفصي عندما سقطت
بلنسية بهيت يحث على الجهاد ، ويبين الخطر المحدق بالأندلس : —

نارتك أندلس فللب نداءها واجعل طواغيت الصليب فداهها (٤)
واستهل أمو . وسي درون قصيدته التي رش فيها إشبيلية بهيت حزين منكسر،
يعتب فيه على الأيام سوء صنيعها : —

يا حمم أصدك المقدور حين رمى لم يرع فيك الردى إلا ولا زممها (٥)

١ — رفع الحجب المستورة : ج ٢ ص ١٥٥ .

٢ — الفصوص الياصرة : ص ٩٦ .

٣ — زاد المسافر : ص ١٠١ .

٤ — النقيح : ج ٤ ص ٤٧٩ .

٥ — البيان المنرب : ج ٣ ص ٣٨٢ .

ولم يشذ الشعر الجهادي الذي جمعه الدارس عن هذه السبيل في الاستهلال .
ويبدو أن لطبيعة الموقف الذي قيلت فيه هذه القصائد دورا أساسيا في التخلص من
المقدمات الغزلية . فهذه المقدمات ، وخاصة المرتبطة بالطلل ، يغلب عليها طابع
الحزن والهدوء ، وهذا الجو الحزين لا يتلاءم مع مظاهر القوة التي يزخر بها
الشعر الحربي .

ثم إن القصائد الحربية غالبا ما كانت تلقى في احتفالات شعبية ضخمة (١) ،
لذلك فإن استهلال القصائد بالمقدمات الطللية يفسد الجو الحماسي ، فالجماهير
احتشدت لتسمع أناشيد الحرب ، لا لتسمع غناء حزينا .

وربما كان لماعرف عن الخلفاء الموحدين الأول من ورع وتقوى وحب للجهاد
أثر في عزوف الشعراء عن مقدمات الغزل هذه .

كذلك ، فقد نادى النقاد ، ومنذ وقت غير قصير ، بالتخلص من المقدمات الطللية
لأنها لا تتناسب والتطور الحضاري (٢) .

وإذا كانت أبيات قصيدة الحرب هي : جيش ، وهجوم ، ولقاء ، وهزيمة (٣) ، فإن
هذه الأبيات لم تتحدد مجتمعة في القصيدة الجهادية في عصر الموحدين . فنحن
قد نجد في القصيدة الجهادية منظر الجيش مدججا بالسلاح يجتاز الدروب نحو
العدو ، وقليل ما نجد فيها منظر الهجوم ، ولكن كثيرا ما نرى الجيش المهادى منهزما ،
وقد أشحن المسلمون فيه . أما ساعة اللقاء فنحن لا نلغز بها في شعر الجهاد . ونادرا
ما نجد تلك المناظر مجتمعة في قصيدة واحدة .

ويرتبط قسم كبير من شعر الجهاد بالمدح . فقد كان القائد هو المحور الأساسي
للقصيدة الجهادية ، بحيث تتجمع الأحداث كلها حوله ، ويترك الشاعر للقارئ تخيل
المعركة من خلال حديثه عن دور القائد فيها . وبذا تكون القصيدة سلسلة متصلة
الحلقات من مواقف البطولة .

وهذه الطريقة في تصوير الأحداث أفقدتها كثيرا من تفصيلاتها . فالشعراء
لم يكن همهم الولوع في طبيعة كل معركة ، بقدر ما كان همهم تصوير البطولة والأبطال .
ولئن لم يقدّم الشعراء بتأريقتهم تلك تفصيلات ضافية عن المعارك ، فإنهم خلّدوا
البطولة الإسلامية في عهد الموحدين في أروع صورها .

ضافية

١ - انظر : - النفح : ج ٤ ، ص ١٧٢ ، المن : ج ٢ ، ص ١٠٠ .

٢ - الشعر والشعراء : ج ١ ، ص ٢٢ .

٣ - شعر الصراع مع الروم : ص ٣٠٧ .

وتنتهي القصيدة الجهادية بخاتمة، وهي بضعة أبيات تذييل بها، وغالبا ما تكون ذات علاقة وثيقة بالجو العام للأبيات كلها.

فالقصائد التي يشيع فيها جو التفاؤل والاستبشار، غالبا ما تنتهي بالثناء على البطل، والتقدير له، والدعوة إلى الالتفاف حوله، والثقة به، وحثه على القيام بمزيد من الأعمال الجهادية ضد العدو. ويظهر ذلك في قصيدة ابن حزمون : —

أجزيرة أندلس أعتيمِي	يا مام الأمة واحترسِي
رعاك حراسته طمسك	جبريل له أحد الحرس
حكمت أسياك سيدنا	في كل مصر الكفر مسي
ومضت في الروم مضاربها	وكذلك تفعل في الفرس
لا يخلف ربك موعدَه	دوخ أقدارهم ودم (١)

وقصائد الرثاء غالبا ما تنتهي بالدعاء للشهيد والترحم عليه، كما في قصيدة أبي المطارف بن عميرة في رثاء الكلاعي الشهيد : —

تلقاك ربّي برضوانه	وجادك منه الحيا الساكب
وإن الذي نلت من قريبه	لأفضل ما يطالب بالاسب
عليك السلام إلى غايته	من الموت كل لها زاهب (٢)

أما القصائد التي تصف تحرّكا عسكريا، فغالبا ما تنتهي بتهديد الأعداء ووعيدهم، كما في قصيدة ابن سيّد الاشبيلي في تحرّك سنة ٥٥٥ هـ : —

لا أين يا آل الصليب وحزبه	حتى يمسّ القتل كل مصلب
ويورث التوحيد عرء بلادكم	من بعد بحث عنكم وتنقيب (٣)

وأما القصائد التي تمجّد البطولة والقوة، فغالبا ما تنتهي بالدعاء للبطال، والإشادة بدوره في حماية الأمة، كما في قصيدة أبي العباس الجراوى في معركة فحس بلقون : —

-
- ١ — المعجب : ع ٣٧٢ — ٣٧٣ .
 - ٢ — صفة جزيرة الأندلس : ع ٣٤ ، رسائل أبي المطارف : ورقه ١٩٦ وما بعدها .
 - ٣ — المن : ج ٢ ، ع ١٧٠ .

أخليفة المهدي دُمت مؤيداً بالله منتقياً من الكفار
ترمي شياطين الأعداء في الوغى برجوم خيل من ساء غمار
روعت كل مروءة، وحفّات كل مضجع، وحميت كل ذمــار^(١)

والسمة العامة لنهايات قصائد الحث والاستنجا، الدعاء للقائد بالبقاء حتى يخال ردها للأمة يدافع عنها، كما في قصيدة أبي بكر المخزومي :-

بقيت أمير المؤمنين مجلداً وكلّ الوري عن كنهه وفك قاصر^(٢)

أما القصائد الحماسية التي تختلط فيها الأحداث، وتتحول إلى قصيدة مدحية، فغالبها ما تكون نهاياتها عبقة بتعاليم ابن تومرت في الإمامة، كما في قصيدة الجرّاوي في فتح بعلبوس :-

ما زال أمركم الذي هو عصمة والمرز لا يعدوه والتكبريين^(٣)

ويرتبط بناء القصيدة بالإطار الموسيقي، وقد حافظ الشعراء على أوزان الشعر العربي ولم يخرجوا عنها . ويظهر أن طبيعة الموضوع الذي يعبر عن القوة جعلت الشعراء يميلون إلى البحور الداوية في قصائد هم الجهادية . فقد وجد الدارس أن البحر الداويل كان أكثر البحور استعمالاً في شعر الجهاد، يليه البحر الكامل، ثم البحر البسيط .

ولعلّ شيوع هذه البحور في شعر الجهاد نابع من البنية الإيقاعية لها . فهي قادرة على استيعاب انفعالات القوة، ومشاعر التحدي التي تولد لها الدروب، كما هي قادرة على تصوير جو المعركة وما فيه من لجة وحركة، كذلك فهي تتسع للموضوعات الجادة والمواقف الخطيرة^(٤) . ويجدر التنبيه هنا، أنه لا يوجد روابط ملزمة ما بين موضوع القصيدة وبحرها، وإنما هي استقرارات داخلية لشعر الجهاد .

- ١- البيان المغرب : ج ٣ ص ٤٧ .
- ٢- الحلة السيرة : ج ٢ ص ٢٦٩ .
- ٣- البيان المغرب : ج ٣ ص ٨١ .
- ٤- أصول النقد الأدبي : ص ٣٢٢ - ٣٢٥ . Martial Poetry, pp 461-464 .

٢ — الصورة الشعرية : —

من العناصر الرئيسية التي تدخل في بناء القصيدة الصورة الشعرية، فهي جزء ضروري من الطاقة التي تمتد الشعر بالحياة، وهي تحمل في حناياها حقائق شعرية تنأى بها عن الزخرف الأدبي، والزينة البلاغية، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بالفكر والعاطفة^(١). ولا يعني ارتباط الصورة الشعرية بالفكر والعاطفة أن الصور الشعرية في شعر الجهاد مستوحاة من مناظر الحرب فقط، وإنما كانت مصادرها متنوعة، وهنا تتبدى قدرة الشاعر على إدراك العلاقات بين الأشياء التي قد تبدو متناقضة في الواقع.

فقد تكون الصورة الشعرية في شعر الجهاد مأخوذة من البيئة الطبيعية ومناظرها المختلفة، كما في قول ابن المنخل الشلبي: حيث شبه جيش العدو وهو يتقدم بكمال أسلحته بالبحر الهائج في التدفق والسير بسرعة، مع الاندفاع الشديد والإتيان على كل ما في طريقه : —

أَتَوْكُمْ يَجْرُونَ الْحَدِيدَ سَوَابِغاً كَأَنَّهُمُ الْبَحْرُ الْغَمَالُ قَدْ عَبَّأَ (٢)

وقد شبه ابن حريون الجيوش الإسلامية وهي تتقدم نحو العدو بالجراد في الكثرة والانتشار مع السرعة والنشاط، حيث قال : —

هَآ أَتَهَا كَالدَّبَا تَنْسَاعُ نَحْوَكُمْ فِيهَا الْحَفَاطُ وَفِيهَا الصَّبْرُ وَالْجَلْدُ (٣)

ويقدم أبو الوليد القسطلي صورة مشرقة لأحد القادة الموحدين وقد تقدم الجيش، حيث شبهه بالهلال في كبد السماء، وقد أحاطت به النجوم كأنها جند له، يقول : —

أَمَّا الْخَمِيسُ الْأَرْجَوَانِيُّ كَأَنَّهُ هَذَا تَمَامُ النُّجُومِ لَهُ جُنُودُ (٤)

ولعل من الممض حقاً أن أصداء الطبيعة الأندلسية الجميلة كانت خافته في شعر الجهاد، ولعل هذا يعود إلى أن تلك الطبيعة بهورها الرقيقة لم تكن تناسب مناظر العنف التي يصورها شعر حربي، أو أن الشعراء انكبوا على تقليد القديم ولم يلتفتوا إلى استحداث الصور من البيئة المحيطة بهم.

وقد تكون الصورة مستوحاة من حياة الناس وعاداتهم الاجتماعية. فقد قدم ابن سيد الإشبيلي صورة ساخرة للربح الذي رب في قلوب الأعداء عند رؤيتهم الجيش المسلم، حيث قرن آلامهم النفسية، وتضعف قواهم، بالآلام التي تعاني منها المرأة عند الوضع، حيث قال : —

١ — الشعر والتجربة : ص ٦٧—٦٨، الصورة الفنية : ص ١.

٢ — المن : ج ٢ ص ١٥١.

٣ — المن : ج ٢ ص ٢٥٦.

٤ — زاد المسافر : ٥٧.

راع الممالك فاثقت بملوكها حتى كأن بها حبالى تطلق^(١)
وقد صور الشواش الشلبي انتشاءه بفتك المسلمين بالأعداء، عندما شبه صوت
السيف، وقد وقع على رؤوسهم، بنغمات الموسيقى التي تطرب السامعين : —
في حيث صوت المشرفي مرجع نه يشدو فتطرب في الطلى نغمات^(٢)
ومن مضا در الصورة في شعر الجهاد : القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.
فقد استوحى ابن حريون آي الذكر الحكيم عندما قال في جيش المسلمين : —
وجاء في سرعان الجيش يقدمه جبريل والملا الأعلى له مكر^(٣)
وتظهر المعاني القرآنية واضحة في قول أبي المباس الجراوى : —
ترمي شياطين الأعداء في الوغى برجوم خيل من سماء غبار^(٤)
ويشبه أبو الحكم بن رضى البلنسي جيوش المسلمين، وقد همت على الأعداء، فتفتكت
بهم، بالذير الأبايل التي فتكت بأنصار أبرهة (٥) : —
كأن أنصارهم أنصار أبرهة ومن رجالكم ذير أبايل^(٦)
وقد اتكأ ابن حريق المخزومي (٧) على قوله عليه الصلاة والسلام : ((حُقَّت
الجنة بالمكارة، وحُقَّت النار بالشهوات)) (٨) عندما صور مشواره من مدينة بلنسية : —

-
- ١ — المني : ج ٢، ص ٤٥٤.
 - ٢ — المني : ج ٢، ص ٢٦١.
 - ٣ — المني : ج ٢، ص ٢٥٤.
 - ٤ — البيان المشرب : ج ٣، ص ٤٦.
 - ٥ — انظر : سورة الفيل.
 - ٦ — المني : ج ٢، ص ٤٢٣.
 - ٧ — هو علي بن محمد بن أحمد بن حريق المخزومي، شاعر مقلد، وكاتب بليغ.
شمره مدون كثير، توفي سنة ٦٢٢ هـ. انظر : صلة الصلة : ص ١٢٩،
الذيل والتكملة : ج ٥، ص ٢٧٥ — ٢٧٦، المغرب : ج ٢، ص ٣١٨.
 - ٨ — مسند ابن حنبل : ج ٢، ص ٣٨٠.

فَقُلْ هِيَ جَنَّةٌ حَفَّتْ رُبَاهَا بِمَكْرُوهَيْنِ : من جوعٍ وحَرْبٍ (١)

وكان التاريخ القديم مصدراً آخر من مصادر الصورة في شعر الجهاد . فقد استعان أبو العباس الجراوي ، بأيام العرب في الجاهلية عندما صور حزن النساء الصليبيات وجزعهن بعد معركة الأرك : -

حَكَّتْ أَخْتَ صَخْرٍ فِي الرِّزَايَا نَسَاؤُهُمْ كَمَا قَدْ حَكَّى أَبْطَالُهُمْ فِي الرَّدَى صَخْرَا (٢)

ويلفت أبو الحكم بن رضى البلسني إلى التاريخ القديم ، حين يشبه رجال البحر المسلمين ، وقد ركبوا سفنهم ، وعلتهم أشرعتهم ، بالقيصر المتوج : -

أَوْ رَاكِبٌ فَوْقَ مَتْنِ الْمَاءِ مَرْتَفِقٌ كَأَنَّهُ قَيْصَرٌ وَالْقَلْعُ الْكَلْبِلُ (٣)

وقد تكون الصورة مستوحاة من التاريخ الإسلامي ، كما في قول أبي العباس الجراوي : -

وَتَشَبَّ حَيْثُ تَوَجَّهَتْ عِزَمَاتُهُ حَرْبًا كَمَا وَصَفَتْ لَنَا صِفِّيْنُ (٤)

هذه بعض الأمثلة التي توضح مصادر الصورة الشعرية في شعر الجهاد . ويلاحظ أنها مستوحاة من مصادر عديدة . فهي من الطبيعة ، والحياة الاجتماعية ، والقرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والتاريخ القديم . . .

وأهم موضوعات الصورة في شعر الجهاد هي : - المعركة ، والهيئة العامة للجيش ، والخيال ، والأسلحة والمعدات ، والتحصينات .

والصورة المتكررة للمعركة في شعر الجهاد هي صورة رحن تلحن الناس ، فتذرونهم للرياح ، كما يقول أحد الشعراء : -

كَذَرْتَهُمْ فِيهِ رِيحُ النَّصْرِ لَحْنًا غَدَاةً أَدَارَتْ الْهَيْجَا رَحَاهُنَا (٥)

وقد شبه ابن المنخل الشلبي أثر وقع المعركة على الأعداء ، وما يصيرون إليه من حيرة وارتباك ، حتى أنهم لا يستطيعون التفكير السليم ، بمن يخلل الناس

١ - المغرب : ج ٢ ص ٣٢٠ ، زاد المسافر : ص ٣٦ ، الذيل والتكملة : ج ٥ ص ٢٧٧ ، معجم البلدان : مادة بلنسية .

٢ - شاعر الخلافة الموحّدية : الملحق : ص ٧٠ .

٣ - المن : ج ٢ ص ٤٢٣ .

٤ - البيان المغرب : ج ٣ ص ٨١ .

٥ - المن : ج ٢ ص ٢٨٣ .

ويفسد عقولهم، يقول : —

أَضَلَّتْهُمْ الْبَيُزُّ الصَّوَارِمُ وَالْقَنَا فَكَانَتْ لَهُمْ رَفْعًا وَكَانُوا لَهَا نَصَبًا (١)

ولمّا كانت المعركة تهلك القوم فقد شبهت بالكأس المملوءة بالسّم الثميل : —

تَدَارُ عَلَيْهِمْ حُمُرُ الْمَنَائِمَا بِكَأْسٍ فِيهِ عَقْرٌ لَا عُقُورُ (٢)

والمعركة بكثرة الدماء التي تراق فيها جعلت ابن سيد الاشبيلي يتصورها رياضا أنبت زهورا حمراء، يقول : —

وَجَلَا رِيَاضًا لِلنَّوَاطِرِ أُطْلِمَتْ فِيهَا الدَّمَاءُ أَزَاهِرًا لَا تُعْبَقُ (٣)

وقد شبه ابن عيّاس الدماء الفزيرة بالبحر المتفجّر بجوامع القوة في الاندفاع، يقول : —

وَيُضْحِي بِهِ بَحْرُ الدَّمَاءِ مَفْجَرًا بِأَسْمَرِ عَسَالٍ وَأَبْيَضِ نَامِلٍ (٤)

وعلى سبيل التهكم والسخرية شبه أبو بكر بن المنخل الشلبي الطامن والضرب بقوى الضيف وإكرامه : —

قَرَوْكُمْ عِتَاقًا شَرَبًا وَعَوَاتِقًا بِمَا قَدْ قَرَاهُمْ جَيْشُكَ الطَّامِنَ وَالضُّرُكَ (٥)

ويقارن بعض الشعراء حالة الفرسان، وهم منهمكون في القتال، باللاعبين في ساحة رياضية، مبالغة في عدم الاكتراث بأي خطر. من ذلك قول ابن سيد الاشبيلي : —

مَرِحُ بِمُفْتَرِكِ الْهَيَاجِ كَأَنَّهُ فِي ضَنْكِهِ مُتَقَلِّبٌ فِي مَلَسٍ (٦)

وعندما يراد الإشادة بشجاعة البطل المسلم في المعركة، فإنها تصور أمّا حانية عليه، يقول الشواشر الشلبي : —

وَكَاثِمًا الْهَيْجَاءُ أُمُّ بَرَّةٍ تَحْنُو عَلَيْهِ بِرَفْقَةٍ وَتَلِي (٧)

١ — الميّ : ج ٢ ص ١٥١

٢ — الفصوص الياضية : ص ٩٦ .

٣ — الميّ : ج ٢ ص ٤٥٤ .

٤ — الميّ : ج ٢ ص ٤١٦ .

٥ — الميّ : ج ٢ ص ١٥٢ .

٦ — الميّ : ج ٢ ص ١٦٩ .

٧ — الميّ : ج ٢ ص ٢٤١ .

أما الجيتر المسلم، فإن أغلب الصور التي وردت في شعر الجهاد عنه تدور حول ضخامته وكثرته. فهو يزحف كالجراد (١)، ويسير كالسحاب (٢)، وهو كالمنجوع الهادر يفرق كل شيء في طريقه (٣)، وكالبحور الواسعة (٤)، أما كثائبه حالة الاصطفاف فإنها تشبه السطور المكتوبة (٥)، والظهير ترائفه وتخلله حتى تحجب الشمس عنه (٦)، وأما رجاله فأسود غاب (٧)، وهم كالقذاح في الخفة والنشاط وسرعة الحركة (٨).

أما الخيول، فقد شبهت بالرماح في الطول والدقة والضمو (٩)، وبالسهم في السرعة والقوة والخفة (١٠)، وبالبرق وأسراب القطا والعقبان في السرعة (١١)، وبالصخرة الساقطة من أعلى الجبل، وبالذئب في السرعة والفتك (١٢)، والفتيات الحسان بالحسن والجمال (١٣)، أما صهيلها فهو حنين للقتال (١٤)، وهي تضجر في مرابطاتها (١٥).

أما الرماح، فهي كالشهب في التوهج والقضاء على كل ما تقع عليه (١٦)، وقورنتي بقدود الحسان اللواتي أضناهن العب في الطول والاستقامة مع النحالة والضمو، وشبهت وهي تقاردا بمعيونهن الحمراء من كثرة السهر (١٧)، وبالعين الرمداء (١٨)، وكنتي

-
- ١ — المن : ج ٢ ص ٢٥٦.
 - ٢ — المن : ج ٢ ص ٢٠٩.
 - ٣ — البيان المفرب : ج ٣ ص ٢٠٠.
 - ٤ — المن : ج ٢ ص ٢٦٣، ص ٤٥٤.
 - ٥ — المن : ج ٢ ص ١٦١.
 - ٦ — المن : ج ٢ ص ٢٦٣.
 - ٧ — المن : ج ٢ ص ١٣٤.
 - ٨ — المن : ج ٢ ص ١٥٢.
 - ٩ — المن : ج ٢ ص ١٥١.
 - ١٠ — المن : ج ٢ ص ١٥١.
 - ١١ — المن : ج ٢ ص ٢٠٩، ص ٢٨٣، ص ٤٥٩.
 - ١٢ — المن : ج ٢ ص ٢٤٨.
 - ١٣ — المن : ج ٢ ص ٢٤٨.
 - ١٤ — المن : ج ٢ ص ٢٤٢.
 - ١٥ — ديوان ابن سهل : ص ١٤٠.
 - ١٦ — المن : ج ٢ ص ٢٥٦.
 - ١٧ — المن : ج ٢ ص ٢٤٨.
 - ١٨ — زاد المسافر : ص ٥٧.

عنها بالأزاهر بجامع الحمرة (١) ، وشبهت خصرانها بالمقل (٢) ، وحركة اضطرابها
واهتزازها عندما تطلق بفسن ترفرف فوقه الطير (٣) ، وأما صوت تواليتها عندما تطلق
فشبهه بالنغم (٤) .

وقد شبهت الدماء التي لئأخت السيف بالقمير الأحمر ، وبالورود المتفتحة (٥) ،
وقورنت وهي تفتك بالأعداء بالأيدي التي تصب الشراب للنداء ، فتشملهم ، فيقيمون هامدين
لا حراك لهم (٦) .

وشبهت الحصون والقلاع بالعذارى المصنعة (٧) ، والسفن وهي تمخرع باب
البحر بالزبد في كثرته وكثافته (٨) ، وبالقباب في هيئتها وشكلها (٩) ، أما مجازيفها
فكانتها الحيات (١٠) .

هذه هي أبرز الصور الشعرية التي وردت في شعر الجهاد ، ويلاحظ أن الصور
القديمة قد استحوذت على الشعراء الذين قالوا القصائد الجهادية . إلا أن بعضهم
لم ينقل هذه الصور كما هي وإنما ركّبوا منها صوراً تبدو جديدة أو كالجديدة . . .
ولكن هذا قليل ، مثل قول ابن المنخل الشلبي في قتلى الأعداء : —

وخرّوا جميعاً هامدين كأنهم ندامى تساقوا بينهم أكوّس الصهباء (١١)

نحسب الشاعر القديم أن يقول : أننا سقين الأعداء كوّه والخمير (١٢) . إلا أن
ابن المنخل أخذ هذه الصورة وأضلف إليها لمسات جديدة كما ترى .

-
- ١ — المنّ : ج ٢ ص ٦١٩ .
 - ٢ — المنّ : ج ٢ ص ٢٥٦ .
 - ٣ — المضرب : ج ١ ص ٤٢٦ .
 - ٤ — المنّ : ج ٢ ص ٢٥٦ .
 - ٥ — المنّ : ج ٢ ص ١٦٧ .
 - ٦ — المنّ : ج ٢ ص ٢٤٤ .
 - ٧ — زاد المسافر : ص ٥٧ .
 - ٨ — المنّ : ج ٢ ص ٢٥٥ .
 - ٩ — المنّ : ج ٢ ص ٢٥٥ .
 - ١٠ — النفج : ج ٣ ص ٥٦ .
 - ١١ — المنّ : ج ٢ ص ١٥١ .
 - ١٢ — انظر المفضليات : ٣٧٨ .

وقد يجد بعض الشعراء وجه شبه جديد غير الذي أوجده القدماء . فوجه الشبه عند القدماء في تشبيههم الجيش بالسحاب هو الكثرة . إلا أن الشواش الشلبي أوجد علاقة جديدة : فالسحاب يحمل الماء ، والجيش يحمل الهلاك للأعداء : —

كَأَلَيْتَ عَلَى الْأَعْدَاءِ سَحَابًا لِلرَّدَى سَالَتْ دُمَاً بِأَبَاطِحٍ وَمَذَانِبٍ (١)

وقد نجد صورا جديدة ولكنها بسيطة ساذجة ، كقول أبو حريز بن محفوظ بن مرعي الشريك في اخراج الأعداء من مدينة تدمير : —

نَقِيتَ بِهِ تَدْمِيرَ مَنْ أُنْذِلَ لَهَا فَكُنَّا شَرِيتَ دَوَاءً مَسْمُومًا لَا (٢)

وقد شبه الرصافي البلنسي النجوم وقد علت جبل الفتح بالدنانير في اللعمان والاستدارة : —

تُصَيِّ النُّجُومَ عَلَى إِكْلِيلٍ مُفَرَّقٍ فِي الْجَوِّ حَائِثَةً مِثْلَ الدَّنَانِيرِ (٣)

وأغلب الصور الفنية في شعر الجهاد قائمة على التشبيه بأنواعه ، حيث يتجسم المعنى على هيئة علاقة بين حدين هما : المشبه والمشبّه به . وهذه العلاقة غالباً ما كانت علاقة معنوية يتداخل فيها المثال الذي يلمح إليه الشاعر بالواقع . ولناخذ مثالا على ذلك قول ابن المنخل الشلبي : —

كَفُلَ لَا بِنَ رِيْمَنْدٍ تَأْهَبُ لِمُسْزُورَةٍ يَسُدُّ عَلَيْكُمْ جَيْشُهَا الْأُفُتْحُ السَّهْبَا
إِذَا جَرَّدَتْ فِيهَا السِّيُوفُ حَسْبَتَهَا جَدَاوِلُ رُوعٍ ، وَالرَّمَا حُ بِهِ قُضِّبَتَا (٤)

فالعلاقة بين السيوف والجداول ، والرماح والقضب علاقة حسية في ظاهرها ، فالسيوف تشبه الجداول في ترقرقها ولمعانها ، والرماح تشبه القضب في سموقها ومادتها . . . ولكن ينبثق عن هذه العلاقة معنى ((الجمال والكثرة)) . وهذا المعنى ليس هو معنى الصورة الواحدة ، ولا مجموع الصورتين ، وإنما هو نتيجة لهما . لذلك فإننا نجد في الصورة الشعرية تداخلا بين الحس والمعنى . وقد ظهر الشكك الحسي للصورة في شعر الجهاد على هيئة متعددة . وأكثر الأشكال الحسية بروزا للصورة في شعر الجهاد هي ((الصورة البصرية)) . وأبرز سمة للصورة البصرية هي

١ — المن : ج ٢ ، ص ٢٠٩ .

٢ — انظر زاد المسافر : ص ١٢٣ .

٣ — زاد المسافر : ص ١٢٣ .

٤ — ديوان الرصافي البلنسي : ص ١٣١ .

٥ — المن : ج ٢ ، ص ١٥٤ .

((الحركة)) . فكل شيء في شعر الجهاد يصور يتحرك . فالبطال كالأسد في انقضاضه ، والرمح كالشهاب ، والجنين كالسحاب ، والفارس كاللاعب ، والخيول كالسهام . . . وحتى جثث القتلى تصور وقد طارت بها النشور القشاعم . وهذه الحركة أتاحت لبعض القصاص الجهادية ضرباً من الروح القصاصية .

أما الصور اللونية التي وردت في شعر الجهاد، فإنها تظهر كلف الشعراء بثلاث ظواهر لونية، هي : - اللون الأحمر، واللحماني، واللون الأسود . ولعل هذا يعود إلى الطبيعة الموضوع الذي يكثر فيه الدم، ولحماني السيوف، ويريق الأسنة، وقتام المعارك .

وقد نجد في شعر الجهاد صوراً تتبدى فيها المساحات اللونية بشكل بارز، كقول ابن مجنبر في خيل المنصور : -

فَمِنْ يَقَرُّ كَالْعَارِسِ تَحْسَبُ أَنَّهُ	وَإِنْ جَرَّدُوهُ فِي مَلَأَةِ التَّقَا
وَأَبْلَقَ أَعْطَى اللَّيْلُ نَصْفَ آهَابِهِ	وَعَارَ عَلَيْهِ الصَّبْحُ فَاحْتَبَسَ النَّصْفَا
وَوَرْدٍ تَنْفَشُ جِلْدَهُ شَفَقُ الدَّجَى	فَإِنْ حَازَهُ دَلَّى لَهُ الذَّيْلُ وَالْمَرْفَا
وَأَشْفَرَّ مَعَ الرَّاحِ صَرْفَا دَيْمِهِ	وَأَمْفَرَّ لَمْ يَمْسَحْ بِهَا جِلْدَهُ صَرْفَا
وَأَشْهَبَ فَضِيَّ الْأَدِيمِ مَدَثَر	عَلَيْهِ خَطْبُوطٌ غَيْرُ مَفْهَمَةٍ مَعْرِفَا (١)

فنحن في هذه الأبيات أمام موكب لربي، فالخيول بيضاء، بلقاء، شقراء، صفراء، شهباء، بلون الفضة، وردية بلون الشفق .

وقد مزج ابن عيَّان بين الصور الحركية واللونية حين شبه يوم المعركة في إظلامه بليل تهاوت كواكبه، وذلك لكثرة الفبار وتكاثره، وتحرك السيوف والرماح اللامعة فيه : -
ويطلع ليل النقع فيه كواكباً من البيضا أو موهفات المناصل (٢)

والصور السمعية قليلة في شعر الجهاد . ويظهر من الصور التي استقرها الدارس أن الشعراء لم يكونوا يققون عند الأصوات الخافتة، وإنما عند الأصوات القوية .

فزجر الفرسان لخيولهم كأنه الرعد، كما يقول أبو الوليد القسطلبي : -

وسحائب فيها السيوف بهوارق والزجر رعد والخيول سيول (٣)

١ - النّجّح : ج ٣ ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .

٢ - المنّ : ج ٢ ص ٤١٦ .

٣ - زاد المسافر : ص ٥٨ .

وجلبة المعركة كهدير الرّحّا كما يقول أبو العباس الجراوى : -

وَدَارُتُ الْهَيْجَا عَلَيْهِمْ فَأَصْبَحُوا هَشِيمًا طَحِينًا فِي مَهَبِّ الصَّبَا يُذَرُّ (١)

والصور الذوقية في شعر الجهاد نادرة المثال . وما وجد منها كان في الحديث عن قتلى الأعداء ، حيث شبه أثر السيوف فيهم بالخمير التي تسكر الشاربين حتى الثمالة ، أو بالسّم القاتل : —

تسقي العداة سِماها فكانها أيد تصفقُ للندامى راحها (٢)

والصور الشعرية في شعر الجهاد غاية في السهولة والبساطة، فهي فسيحة نطاق تجارب الناس وحياتهم، أو في حدود ثقافة الشاعر ومعرفته، فنحن لا نجد فيها إبداعاً أو إغراباً أو تعسفاً أو غموضاً. ومع ذلك فقد استطاع بعض الشعراء عرض بعض الصور الدقيقة لما يريدون تصويره، فجاء تصويرهم معبراً على الرغم من اتكائهم على الشعر الموروث في تقديمها. مثل: تصوير المحارب بالسيف في الميدان بصورة اللاعب، وتصوير صهيل الخيل حيننا للقتال، وتشبيه حركة الرماح باهتزاز الأغصان وقد علتها الطير، والرايات بالمقبان... وهذا يدل على قوة الملاحظة لديهم، وحسن استفالهم الصور المختزنة في عقولهم.

١ - البيان المغرب: ج ٣، ص ١٩٧.

٢ — المَنّ : ج ٢ ص ٢٤٤ .

٣ — الاحتذاء والتقليد : —

يستشف من التراجم الوفيرة التي أورد ها المقرئ لمن رحل عن الأندلس إلى المشرق استقراراً، أو طلباً للعلم والحجّ والسّماع، ولمن وفد من أهل المشرق على الأندلس من أهل العلم والأدب، يستشف من ذلك مدى الأثر الذي تركه المشرق في الأندلس، ويتبين كذلك مدى الصلة التي كانت تربط بينهما (١).

والحق أنّ الصلة بين القطرين كانت وثيقة إلى حدّ يستحيل معه الفصل بين فكر مشرقى وفكر مغربي؛ ذلك أنّ التأثير والتأثير بين هذين القطرين كان مستمراً على مدى العصور الإسلامية.

وقد كان ولع الأندلسيين بكلمة هو مشرقى عظيم؛ فيها مسمون بعدد منهم بأسماء مشرقية؛ وهاهم يقرنون كثيراً من شعرائهم بأسماء كثير من شعراء المشرق بشكل يستوقف النظر (٢).

وقد كان اهتمام الأندلسيين بالمشاركة وإنتاجهم واسعا إلى حدّ ((لو نطق بتلك الآفاق غراب، أو طنّ بأقصى الشام والعراق ذباب لجثوا عن ذلك صنمًا وتلوا ذلك كتابا محكما . . .)) (٣) على حدّ قول ابن بسّام الشنتريني.

والمبالغ على كتب برامج العلماء (٤) التي ألّفها الأندلسيون تتضح أمامه ((حقيقة الكتب المعتمدة للتدريس المباشر، فإذا هي مشرقية في معظمها)) (٥). وكان على رأس هذه الكتب الدواوين الشعرية، وأولها ديوان أبي تمام والمتنبي.

١ — تاريخ النقد الأدبي في الأندلس: ص ٥٢.

٢ — المرجع السابق: ص ٤٣.

٣ — الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: ق ١ ج ١ ص ٢.

٤ — البرنامج: — هو كتاب يسجل فيه العالم ما قرأه من مؤلفات في مختلف العلوم، ذاكرة عنوان الكتاب، واسم مؤلفه، والشيخ الذي قرأه عليه، أو تحطه عنه، وسنده إلى مؤلفه الأول. انظر: تاريخ النقد الأدبي في الأندلس: ص ٥٧.

٥ — تاريخ النقد الأدبي في الأندلس: ص ٦٥.

أما شعر أبي تمام فقد كان له من الشهرة والاعتماد في الأندلس مقام عظيم .
ونقله إلى الأندلس اثنان هم : عثمان بن المثنى النحوى (١) ، ومو من بن سعيد (٢) .
وكان عبد الرحمن الناصر قد أمر بانتساخ شعر أبي تمام وأحضر جماعة من أدباء
الأندلس لتحقيق ذلك (٣) .

وأما أبو الطيب المتنبي ، فقد طار ذكره وشعره إلى الأندلس ، فوضعت
فيه الكتب ، ولديوانه الشروح ، وحاكوه في معانيه وأغراضه (٤) . ولملّ فيما نقله
عبد الواحد المراكشي تبساً يوضح مكانة المتنبي عند الأندلسيين ، حيث قال : — رأيت
عند أبي جعفر الحميري المؤدّب (٥) ((نسخة من شعر أبي الطيب قرئت عليّ . . .
فألقيتها شديدة الصّحة . فقلتُ له : لقد كتبتها من أصل صحيح وتحريّت في نقلها .
فقال لي : — ما يمكن أن يكون في الدنيا أصل أصح من الأصل الذي كتبتُ منه .
فقلتُ له : — أين وجدته ؟ قال : — هو موجود الآن بين أيدينا وعندنا . وكُنّا
في المسجد في زاوية ، فقلتُ له : — أين هو ؟ فقال لي : — عن يميني .
فلملّت أنّه يريد الشيخ ، فقلتُ : — ما على يميني إلا الأستاذ . فقال لي : —
هو أصلي ، وبإملائه كتبت . . .)) (٦) .

-
- ١ — طبقات النحويين : ص ٢٨٨ .
 - ٢ — المفرب : ج ١ ص ١٣٢ — ١٣٣ .
 - ٣ — طبقات النحويين : ص ٣٠٦ — ٣٠٧ .
 - ٤ — تاريخ النقد الأدبي في الأندلس : ص ٢٦٨ ، عصر سيادة قرطبة : ص ٢٠٦ — ٢٠٧ .
 - ٥ — توفي سنة ٦٠٨ هـ . المعجب : ص ٣٨٠ .
 - ٦ — المعجب : ص ٣٨٠ .

وليس الغرض من الحديث السابق الافتراض أن شعر الجهاد يجب أن يقلد شعر المشاركة، وإنما الغرض منه تحليل ما ظهر في هذا الشعر من محاولات لمحاكاة شعراء المشرق. فقد لفت الدارس أن السمة البارزة في شعر الجهاد هي اتكاؤه على التراث الشعري الموروث، وخاصة شعر أبي تمام والمعتزلي، والمعتز على منواله، وتقليد صوره، واحتذاء معانيه. وسنورد فيما يلي بعض الشواهد التي توضح ذلك.

يقول أبو العباس الجراوي من قصيدة قالها في معركة الأرك: —

هو الفتحُ أعيا وصفه النظم والنشرا وعمت جميع المسلمين به البشـرى
وأنجد في الدنيا وغار حديثه فراقته به حسناً وطابت به نشـرا (١)

وقارى هذين البيتين لا يملك إلا أن يتذكر أبيات أبي تمام التالية التي وردت في بآيته المشهورة: —

فتح الفتح تعالى أن يحيط به نظم من الشعر أو نشر من الخطـب
فتح تفتح أبواب السماء لله وتبرز الأرض في أثوابها القشـب (٢)
وإذا أوحى الأحداث إلى أبي تمام بربط انتصار المسلمين في ((مصرية))
بانتصارهم في معركة ((بدر)) حين قال: —

فبين أيامك التي نصرت بها وبين أيام بدر أوثق النسـب
فإن أبا العباس الجراوي قد ربط هزيمة الصليبيين في معركة ((الأرك)) بهزيمة الكفار يوم بدر حيث قال: —

حكى فعل إبليس بأصحابه الأولى تجرأ منهم حين أوردتهم بكـدرا
وخين يقول أبو العباس الجراوي في قائد الروم في قصيدة أخرى: —

طاحت به هفواته والماء لا بدله من أن يغيث إذا غـلا (٣)
إنما يغير على قول أبي تمام التالي: —

هرزت بهم هفوات عـلـهم وقد يردي الجمال تعسف الجمال (٤)

١ — شاعر الخلافة الموحدية: الطحلق، ص ٧.

٢ — ديوان أبي تمام: ج ١، ص ٤٥—٤٦.

٣ — شاعر الخلافة الموحدية: الطحلق، ص ٩.

٤ — ديوان أبي تمام: ج ٣، ص ٤٠.

وأخاله ان صلة توبة بين قول أبي المباس الجلوي :-

ملك الملوك لقد أنفست إلى العلو ونظرت من فوق إلى الأقدار (١)
وبين قول المتنبي التالي في سيف الدولة :-

فيا بحرَ البحور ولا أوري ويا ملكَ الملوك ولا أحاشري
كانك ناظر في كل قلبٍ فما يخفى عليك محلّ غاشري (٢)

ومالح قصيدة الشواش الشلبي التي قالها في معركة السبيكة :-

عزمت منصور العزائم غالب ضمنت فتوح مشارقي ومفارب (٣)
يذكر بمالح قصيدة المتنبي التي قالها في ((معركة الحدث)) :-

علو قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم (٤)
وبدو أن ابن المنخل الشلبي في بيته التالي :-

وإذا بروق المزن لحن كواذباً صدقت بروق نواله من شامها (٥)
كان يندار إلى قول أبي تمام :-

بأوفاهم برقاً إذا ألتنا السنا وأصد قهم رعداً إذا كذب الرعد (٦)

وإذا ارتفع أبو حفص عمر السلمي بممدوحه يعقوب المنصور إلى آفاق سامقة
همين قال :-

أداعتك الذواجل والشفار وليت أمراك الفلك السدار (٧)
فإنما ينهل من قول المتنبي التالي في سيف الدولة :-

- ١- البيان المغرب : ج ٣ ص ٤٧ .
- ٢- ديوان المتنبي : ج ١ ص ٢٤٩ .
- ٣- المن : ج ٢ ص ٢٠٨ .
- ٤- ديوان المتنبي : ج ٢ ص ٤٠١ .
- ٥- المن : ج ٢ ص ٤٥٨ .
- ٦- ديوان أبي تمام : ج ٢ ص ٩٠ .
- ٧- الفصوص الياصرة : ص ٩٦ .

- كَانَ الْقَسِيَّ الْعَاصِيَاتُ تُطِيعُهُ هَوَى أَوْبَهَا فِي غَيْرِ أَنْطِهِ زُهُودُ
يَكَادُ يَصِيبُ الشَّيْءَ مِنْ قَبْلِ رَمِيهِ وَيُمْكِنُهُ فِي سَهْمِهِ الْمُرْسَلِ السَّرْدُ (١)
- وَحِينَ يَقُولُ أَبُو الْمَطَّرِفِ بْنِ هَمِيرَةَ : —
وَهَلْ أَذْنَبَ الْأَبْنَاءُ ذَنْبَ آبِهِمْ فَصَارُوا إِلَى الْأَخْرَاجِ مِنْ جَنَّةِ الْخُلْدِ (٢)
- فَإِنَّمَا يَهْتَدِمُ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ التَّالِي : —
صَارَ ذَنْبِي كَذَنْبِ آدَمَ يَاعَمُّ —
وقول الشَّوَارِبِ الشُّلْبِيِّ التَّالِي فِي الْخَلِيفَةِ يُوسُفَ : —
أَلِفَ الْحُرُوبِ فَلَمْ يَخْلُ بِعَهْدِهَا وَالْخِلُّ لَا تُنْسَى لَهُ حُرْمَاتُهَا
وَإِذَا تَذَكَّرَهَا أَجَدَ نَزَاعُهَا وَحَيْنُهُ وَتَوَاصَلَتْ ذِكْرَاتُهَا (٣)
- قَرِيبٌ جِدًا مِنْ قَوْلِ الْمُتَنَبِّيِ التَّالِي : —
فَلَا تَبْلُغَاهُ مَا أَقُولُ فَإِنَّهُ شَجَاعٌ مَتَى يُذَكِّرْهُ الطَّاعِنُ يَشْتَقِ (٤)
- وَالْأَمْثَلُ السَّابِقَةُ مَا هِيَ إِلَّا جُزْءٌ يَسِيرُ جِدًا يَكْشِفُ عَنْ مَدَى التَّأَثُّرِ الْجِزْفِيِّ بِشَمْسِ
أَبِي تَمَّامٍ وَالْمُتَنَبِّيِّ . إِلَّا أَنَّ الْأَمْرَ يَتَعَدَّى ذَلِكَ إِلَى الْاِقْتِدَاءِ الْمَتَعَمِّدِ الْمَدْرُوسِ بِقِصَاصِ
كَامِلَةِ لِهَذَا الشَّاعِرِينَ . . .

فَقَصِيدَةُ ابْنِ سَيِّدِ الْإِسْبِيلِيِّ الَّتِي قَالَهَا فِي تَحَرُّكِ عَبْدِ الْمُوْءِ مِنْ سَنَةِ ٥٥٥ هـ ،

وَمِثْلُهَا : —

- غَمَّزَ عَنِ الشَّمْسِ وَاسْتَقْصَرَ مَدَى زُحَلٍ وَانْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ الرَّاسِيِّ عَلَى جَبَلِ (٦)
تَذَكَّرْ فِي آخِرِ وَاحِدٍ بِقَصِيدَتَيْنِ لِلْمُتَنَبِّيِّ ، الْأُولَى وَمِثْلُهَا : —
أَعْلَى الْمَالِكِ مَا يُبْنَى عَلَى الْأَسَلِ وَالطَّاعِنُ عِنْدَ مُحِبِّهِنَّ كَالْقَبَلِ (٧)
- وَالثَّانِيَةِ وَمِثْلُهَا : —
أَجَابَ رَمْعِي وَمَا الدَّاعِي سِوَى كَالِلِ دَعَا فَلَبَّاهُ قَبْلَ الرُّكْبِ وَالْإِبْرَسِلِ (٨)

- ١ — ديوان المتنبي : ج ١ ص ٢٠٧
- ٢ — النفح : ج ٢ ص ٣١٥
- ٣ — ديوان أبي تمام : ج ٤ ص ١٨٤
- ٤ — المن : ج ٢ ص ٢٦٠
- ٥ — ديوان المتنبي : ج ٢ ص ٣٦٠
- ٦ — المن : ج ٢ ص ١٥٦
- ٧ — ديوان المتنبي : ج ٢ ص ٢٨١
- ٨ — ديوان المتنبي : ج ٢ ص ٣٤٨

وتأثر ابن سيّد الاشبيلي بهاتين القصيدتين ليس مقصوراً على الوزن والقافية، وإنما تعدّاه إلى بعدّ الأمور التفصيليّة . . .

فقول ابن سيّد : —

غمّرت عن الشمس واستقصرت مدى زحل
أنى استقرّ له، أنى استقلّ به

يقابله من قول المتنبي : —

ضأى الزمان ووجه الأرض عن ملك
ملّ الزمان وملّ الأعصر الأوّل

وقول ابن سيّد : —

أضحى بركته الإسلام في جدل
والمشركون وأهل الكفر في جدل

يقابله من قول المتنبي : —

فنحن في جدل والروم في جدل
والبر في شغل والبحر في خجل

وهناك الدعوة إلى الأخذ بأسباب القوة، والإيمان بها سبيلاً إلى امتلاك الممالك في قصيدة ابن سيّد، حيث يقول : —

والملك ليس بمرساة قواعد
ما لم يقم بين أيدي الخيل والإبل

تزهى بملك قد ير كل مملكة *
ويزدهي ربها أن عدّ في الخول

وهذا البيتان لهما صلة قويّة بقول أبي الطيّب : —

أعلى الممالك ما يُبنى على الأسل
والطعن عند محبيه كالقبيل

وما تقرّ سيوف في ممالكهم
حتى تغلق دجراً قبل في القلطر

مثل الأمير بنى أمراً فقرّب
أطول الرماح وأيدي الخيل والإبل

ولقد سلخ عبد العزيز بن الطراوة (١) قول المتنبي حين قال : —

وها له من غزال ضاع في بقير
الشم عند دم كالطعن بالأسل (٢)

وقصيدة أبي بكر بن المنخل الشلبي التي مطلعها : —

فتحتم بلاد الشرق فاعتمدوا الغرباً
فإن نسيم النصر بالفتح قد هبها (٣)

١ — انظر عنه المغرب : ج ١ ص ٤٤٢

٢ — المغرب : ج ١ ص ٤٤٢ .

٣ — المن : ج ٢ ص ١٥١ .

ذات صلة وثيقة بقصيدة المتنبي التي مطلعها : —

فَدَيْنَاكَ مِنْ رِيحٍ وَإِنْ زِدْنَا كَثَرَا فَأَنْتَ كُنْتَ الشَّرْقَ لِلشَّمْسِ وَالْغَرْبَا (١)

فقصيدة ابن المنخل تقتفي خطى قصيدة المتنبي ، فقد اصطنع الشاعر الوزن نفسه ،
واللغة نفسها ، واستعار من هذه القصيدة طائفة من الألفاظ والمعاني والأساليب
ويظهر ذلك في الأمثلة التالية : —

أَصْرُتُمْ إِلَيَّ الْخَيْلَ وَهِيَ أَجَادِلُ فَسَأَلْتُ بِكُمْ بَحْرًا وَطَارَتْ بِكُمْ رُكْبَا
أَتَوْكُمْ يَجْرُونَ الْحَدِيدَ سَوَابِغًا * كَانَهُمُ الْبَحْرُ الْغَمَالُ قَدْ عَبَا

*

فلو لم تجزها السفن نحو عدوها لجازت إليه البحر تقطعه ومبا

فقد سلخ ابن المنخل في الأبيات السابقة قوافي المتنبي في الأبيات التالية : —
نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة لِمَنْ بَانَ عَنْهُ أَنْ نَلَمَ بِهِ رُكْبَا

*

ويُخَشَى عَابُ الْبَحْرِ وَهُوَ مَكَانُهُ فَكَيْفَ بَمَنْ يَغْشَى الْبِلَادَ إِذَا عَبَا

*

ذَكَرْتُ بِهِ وَصَلًا كَانَ لَمْ أَنْوِّبِهِ وَعِشَاءً كَأَنِّي كُنْتُ أَقْطَعُهُ وَثَبَا

والأمر عند ابن المنخل يعدو سلخ القوافي إلى انتزاع المعاني . فإذ يقول
ابن المنخل : —

وَمَنْ تَخَذَ الْأَسَادَ عِدَّةَ حَرْبِهِ أَعَدَّ مُجَاجَاتِ الْكُلُومِ لَهُ شَرِبَا

فإنما ينتزع قول أبي الطيب : —

وَمَنْ تَكُنِ الْأَسَدُ الضَّوَارِي جَدْوَهُ يَكُنْ لَيْلُهُ صُبْحًا وَمَطْعَمُهُ غَضْبَا

وإذ يقول الأول : —

وَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ الْخَفِيَّاتِ أُمُورَهُ لَمَا دَرَسُوا صُحُفًا وَلَا صَنَفُوا كُتُبَا

فإنما يغير على قول أبي الطيب : —

عَلِيمٌ بِأَسْرَارِ الدِّيَانَاتِ وَاللُّغَى لَهُ خَطَرَاتٌ تَفْضُحُ النَّاسَ وَالْكَتُبَا

وقول ابن المنخل الشلبي : —

فما أعطت الحربُ القيادَ طواعيةً
ولكن رأيتُ شهبَ الهدى مستنيرةً
ذو صلة قوية جداً في المعنى والصياغة بقول أبي العليّ : —

ولم تفرّق عنه الأسنةُ رَحْمَةً
ولكن نفاهاً عنه غير كريمّةٍ
كما يشير قول ابن المنخل السابق الى قول أبي تمام : —

أمّوا الحمرى — بحكم السيوفِ
وما بالولايّةِ إقرارهم
وكأنّ أحقّ بفصلِ القصيدةِ
ولكن أقروا له بالسّولةِ (١)

كذلك فإنّ قول أبي المنخل : —
قروكم عتاقاً شرباً وعواتقاً
ذو صلة بقول أبي تمام : —

وما ظفروا به حتّى قراهم
بطاعين في نحورهم مريـد
قشاعم أنسرٍ وضباعٍ بيـد
وضربٍ في رؤوسهم عنيد (٢)

أما البيت التالي من القصيدة : —
بلاؤٌ قضى فيها الشبابُ مآربي
وَأَبْقَى لِنَفْسِي مَا بَقِيَتْ بِهِ إِرْبَا

فيميل الى قول ابن الرومي : —
وحبّ أوطان الرجالِ إليهم

ومن القصائد التي تصوّر النزعة الاتباعيّة عند الشعراء الأندلسيين الذين نظموا
في الجهاديّات، قصيدة الأَصم المرواني التي مطلعها : —

ما للمجدِ جنةٌ أوقى من الهربِ
أَيْنَ المَفْرُوعِ خيلُ الله في الطلـبِ (٤)

والمطلع — كما هو واضح — فيه بلاضافة إلى الوزن والقافية ضخامة مطلع قصيدة
أبي تمام في معركة عمورية : —

- ١ — ديوان أبي تمام : ج ٤ ص ١٩٠
- ٢ — ديوان أبي تمام : ج ٤ ص ٥٨٠
- ٣ — ديوان ابن الرومي : ج ٢ ص ١٣٠
- ٤ — المن : ج ٢ ص ١٦٠ — ١٦٤

السيفُ أمدقُ أنباءٍ من الكُتُبِ في حدّه الحدُّ بين الجدِّ واللُعبِ (١)
والجوّ العام لقصيدة الأصمّ المرواني بما فيه من مطامير الفخامة والسخامة يوحى
بالجوّ العام لقصيدة أبي تمام المشار إليها أعلاه .

وتأثر الشاعر اللاحق بالشاعر السابق غير مقصور على الجوّ العام، وإنما تعدّاه
إلى انتزاع المعاني والقوافي بشكل متعمّد . وهذا من بعض الأبيات على سبيل المثال : —

ويلبس الدين غداً ثوبَ عزّتهِ *	كأنَّ أيامَ بدرٍ عنه لم تفسبِ !
سما إلى الشرِّ، الأقصى بهمته *	دينٌ مريحٌ وعزمٌ دائمٌ التمسبِ
ملكٌ إذا ما دَعته الحربُ من بُعدٍ *	طار السفين أمّام الجحفل اللجبِ
خَفَّتْ صقليةٌ جهلاً فوقَ رَاسِها *	خرق الحسام وطيشٌ في القنا السلبِ
ويقابل هذه الأبيات من قول أبي تمام الأبيات التالية على التوالي : —	
فبينَ أيامكِ، اللاتي نصرتَ بهما *	وبينَ أيامِ بدرٍ أوثقَ النّسبِ
بصرتَ بالراحةِ الكبرى فلم ترها *	تنال إلا على جسرٍ من التمسبِ
ولو لم يقدَّ جحفلٌ يومَ الوغى لغداً *	من نفسه وحدها في جحفلٍ لجبِ
أما نيا سلبتْهم نَجَحَها جِسْمُها *	ضبي السيوفِ وأطرافُ القنا السلبِ

وإذا لَدَّ لأبي تمام أن يستميز ألفاظ الفزل في وصف حصانة متعمّدة ، وما
حلّ بها من تدمير على أيدي المسلمين ، فإنَّ الأصمّ المرواني نحا هذا النحو في وصف
تحصينات المدوّ : —

حتى أناخ بأمّ الشوكِ مرضعة	أولادها عليها جما على ناسبِ
حسناءٌ يفتّر للخطابِ مِسْمُها	عن جواهر السيوفِ لا عن مِسْمِ شنبِ

ومشايعة القدر للمدوح كثيراً ما أشاء إليها أبو الطيّب المتنبي . وقد تأثر الشعراء
الأندلسيون بفكرة المتنبي هذه وردوها في شعرهم الجهادي كثيراً . من ذلك قول
أبي العباس الجراوي في أبي حفص : —

عن أمركم يتصرف الثقلان
وبما يسوء عدوكم ويسركم
وينصركم يتعاقب الملووان
تتحرك الأفلak في السدوران (١)
والجراوي في ذلك القول إنما يقتدى بقول المتنبي التالي في الوزن والقافية
والمعنى : —

عدوك مذموم بكل لسان
فما لك تختار القسي وانما
ولو كان من أعدائك القمران *
عن السعد يرعى دونك الثقلان
وجدك طعان بغير سنسان *
لو الفلك الدوار أبغضت سعيه
لصوّقه شيء عن السدوران (٢)

وقصيدة أبي موسى شررون بن درون في رثاء إشبيلية ، ومطلعها : —
يا حمز أقصدك المقدور حين رمى
لم يرع فيك الردى إلا ولا زمما (٣)
ذات صلة وثيقة بقصيدة أبي تمام التي تبدأ بقوله : —
أصغى إلي البين مفترا فلا جرما
أن النوى أسأرت في قلبه لئما (٤)
والتشابه بين القصيدتين بمدد الوزن والقافية إلى انتزاع الشاعر اللاحق
البيتين السابقين . وهذا هي بعض الأمثلة التي توضح ذلك : —

يا سائلي عن مصائب المسلمين بها
أصغى لتسمع أمرا يورث الصمما
يدعو الوليد أباه وهو في شغل *
عن الجواب بدمع سال وانسجما *
سطا بها الكفر إن قل النصير بها
فمن معز بها الإسلام ما سلمما
وهذه يقابلها من قول أبي تمام : —
أصغى سترهم أيام فرقتهم
فكاد شوقي يتلو الدمع منسجما *
كهل كنت تعرف سرا يورث الصمما *
لو كان في الأرض شوق فأغر فانسجما *

- ١ — البيان المصرب : ج ٣ ص ١٠٤
- ٢ — ديوان المتنبي : ج ٢ ص ٥١٢ — ٥١٥
- ٣ — البيان المصرب : ج ٣ ص ٣٨٢ — ٣٨٤
- ٤ — ديوان أبي تمام : ج ٣ ص ١٦٥ — ١٧٤

ويوم خمينج والألباب طائيرة^١
لو لم تكن ناصر الإسلام ما سلما
وإذا ألم أبو موسى بمضر معاني أبي تمام في أبياته تلك، فإنه انتزع قوافيه
وبمضر عباراته في كثير من الأحيان، وحذره بمضر الأمثلة : —

يا حمير أقصد لنر المقدور حين رمى لم يرع فيك الردى إلا ولا زمما
يا عين فابكي على حمير وقل لها * منك البكاء إذا ما ترسلية زمما
وقد دعونا فأسمعنا على كئيب * بما قد استنفد القرطاس والقلمما
ويقابل هذه الأبيات الأبيات التالية من قول أبي تمام : —
كم نفعة لك لم يحفظ تذكُّمها * لصامت المال لا إلا ولا زمما
أضحكت منهم ضباع القاع ضاحية * بعد العبوس وأبكيت العميون دما
تركهم سيرا لو أنها كُتبت * لم تبقي في الأرض قرطاسا ولا قلمما

وقصيدة أبي موسى كذلك ذات صلة وطيدة بقصيدة ابن الرومي في رثاء البصرة،
حيث رد كثيرا من معانيها، مما يدعو إلى القول بأن الشاعر قد أطلع على القصيدة
قبل نظم قصيدته أو على الأقل كان ملما بها (١).

وقد أغار ابن الأثير في قصيدته التي مطلعها : —

ألم بأشلاء العللى والمكارم تقد بأطراف القنى والصوارم (٢)
على بمضر معاني أبي تمام في قصيدته التي مطلعها : —

لهمنا وصرف الدحر ليس بنائم خزمنا له قسرا بغير خزانم (٣)
والقصيدتان كما هو واضح تتشابهان في الوزن والقافية، علاوة على التشابه
في بمضر المعاني الذي يظهر فيما يلي : —

فقول ابن الأثير : —
ألم بأشلاء العللى والمكارم تقد بأطراف القنى والصوارم
ذو صلة قوية بقول أبي تمام : —

١ — انظر ديوان ابن الرومي : ج ٣ ص ٤١٦.

٢ — الذيل والتكملة : ج ٤ ص ٩٠—٩٥.

٣ — ديوان أبي تمام : ج ٤ ص ١٢٩—١٣٦.

أَلَمْ نَهَذَا مَصْرَعُ الْبَأْسِ وَالنَّدَى
وَحَسْبُ الْبُكَاءِ أَنْ تَلْتَ مَصْرَعُ هَاشِمٍ
إِذَا فُقِدَ الْمَفْقُودُ مِنْ آلِ مَالِكٍ *
تَقَطَّعَ قَلْبِي رَحْمَةً لِلْمُكْرَمِ
وَقَوْلِ ابْنِ الْأَبَارِ التَّالِي : —
وَعُوجًا عَلَيْهَا مَأْرِبًا وَحَفَاوَةً
مِصَارِعَ غَصَّتْ بِالطَّلَى وَالْجَمَاجِمِ
يَنْتَزِعُهُ مِنْ قَوْلِ أَبِي تَمَّام : —
فَلَا تَطْلُبُوا أَسْيَافَهُمْ فِي جَفُونِهَا
نَقْدَ أُسْكَنْتَ بَيْنَ الطَّلَى وَالْجَمَاجِمِ
وَقَدْ اسْتَعَارَ ابْنُ الْأَبَارِ كَثِيرًا مِنْ عِبَارَاتِ أَبِي تَمَّامَ وَقَوَائِيهِ، وَأَلْبَسَهَا مَعَانِي جَدِيدَةً،
وَيُظْهِرُ ذَلِكَ فِي الْأَمْثَلَةِ التَّالِيَةِ : —

عِظَائِمُ رَامُوهَا فَخَاضُوا لِنَيْلِهَا
وَلَا رَوْعَ يَنْتَبِهُهُمْ، صَدُورُ الْعِظَائِمِ
بِمِيشَرِكَ طَارِحِنِي الْحَدِيثَ عَنْ الَّتِي *
أَرَا جَعَلْتُ فِيهَا بِالْذَمِّ السَّوَاجِمِ
بَعِيدٌ مَدَاهُ لَا يُشَقُّ غُبَارُهُ *
إِذَا فَاهُ فَاغَرَ السَّحَرُ ضَرْبَةً لَا زِمَ

وَهَذِهِ يَقَابِلُهَا مِنْ قَوْلِ أَبِي تَمَّامِ الْأَبْيَاتُ التَّالِيَةُ : —
وَمَا نَكَبَةٌ فَاتَتْ بِدِ بَعْظِيمَةٍ
وَلَكِنَّهَا مِنْ أُمِّهَاتِ الْعِظَائِمِ
خَلِيلِي مَنْ بَعْدَ الْأَسَى وَالْجَوَى ثَقَا *
وَمَا كَانَ لَوْ لَا أَنْتَ ضَرْبُ ضَرْبَةٍ لَا زِمَ
أَهَاشِمُ صَارَ الذَّمُّ ضَرْبَةً لَا زِمَ

وَلَمْ يَكُنْ احْتِذَاءُ الشُّعْرَاءِ لَشُعْرِ أَبِي تَمَّامٍ وَالْمُتَنَبِّيِّ مَقْصُورًا عَلَى مُحَاوَلَاتِهِمْ الْوَاعِيَةَ
لِتَقْلِيدِ قِصَائِدِ بَعِيْنِهَا، وَإِنَّمَا تَعَدَّى ذَلِكَ إِلَى التَّأَثُّرِ بِبَعْدِ السَّمَاتِ الْعَامَّةِ لَشُعْرِهِمَا
الْحَرْبِيِّ.

فَهَنَّاكَ الضَّخَامَةُ وَالْجَلْبَةُ وَالضُّوْعَاءُ الَّتِي عَرَفَ بِهَا الْمُتَنَبِّيُّ فِي قِصَائِدِهِ الْحَرْبِيَّةِ.
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَقْرَأُ الْأَبْيَاتَ التَّالِيَةَ وَلَا يَتَرَاءَى إِلَى مَخِيلَتِهِ صُورًا مِنْ شُعْرِ الْمُتَنَبِّيِّ الْحَرْبِيِّ : —

هَمِيهَاتُ مَنْ دُونَ الَّذِي قَدْ أَمَلُوا
ضَرْبٌ كَمَا شَقَّ الرِّدَاءُ طَوِيلُ
وَسَحَابٌ فِيهَا السِّيُوفُ بِسَوَارِقِهِ
وَالزَّجْرُ رَعْدٌ وَالْخِيُولُ سَيُولُ
جَيْشٌ يَجْرُ مِنَ الْحَدِيدِ مَلَاةٌ
زُرْقَاءُ زَعِيرُهُمَا قَنَا وَنُصُولُ
وَكَلَّمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَبَيْنِهَا
لِلنَّقْعِ سَجَفٌ بِالطَّلَا مَسْدُولُ

جَيْشٌ بِأَقْصَى الْمَشْرِقِ سِرَاتُهُ^١ وله بِأَقْصَى الْمَغْرِبِ تَلِيْلٌ^(١)
وهناك التركيز على الخيل التي بنى على حركتها أبو تمام والمتنبي قصائد هما
الحربية .

وهناك التركيز على شخصية القائد المسلم . وقد كان الشعراء في هذا المجال
أكثر اقتراباً إلى أبي تمام . فقصيدة أبي تمام الحربية ترتبط بالقائد أكثر من ارتباطها
بالجيش عامة كما هو الحال عند أبي الطيب^(٢).

وإذا أسقط المتنبي المقدمة الفزلية من شعره الحربي ، وبدأ قصائده بمقدمات
حماسية تتواءم وطبيعة الموقف ، فإن الشعراء المفاربة والأندلسيين أغفلوا هذه المقدمة
في قصائدهم الجهادية ، ونهجوا نهج المتنبي في استهلال القصائد بمقدمات حماسية .
وقد قيل عن أبي الطيب أنه تفرد باستعمال ألفاظ الفزل والنسيب في شعره
الحربي ، وأنه أول من فتح هذا الباب . ويقول الثعالبي في ذلك : ((وهو أيضاً مما
لم يسبق إليه ، وتفرد به ، وأظهر الحذق بحسن النقل ، وأعرب عن جودة التصرف
والتلعب بالكلام))^(٣).

وقد أكثر الشعراء الذين نظموا شعر الجهاد من ألفاظ الفزل والنسيب في
أشعارهم ، وهم بذلك يقتفون خطى أبي الطيب الذي فتح هذا الباب البكر . من ذلك
قول ابن صاحب الصلاة في الأعداء : —

فَنَوْمُهُمْ بَيْنَ الْخُدُودِ نَوَاعِمٌ وَتَوَقُّظُهُمْ سَمْرُ الْقَنَا وَالسَّوَابِسِقِ^(٤)

وقول ابن حريون في الرماح : —

تَمِيسُ كَمَا مَاسَتْ قَدَوٌ نَوَاعِمٌ تَثْقُلُ أَغْلَامًا تُدَيُّ نَوَاعِمٌ^(٥)

وقول أبي الوليد القسبي في تحصينات العدو : —

وَعَدْرَاءُ مِنْ بَكَرِ الْفَتْوحِ افْتَضَضْتُهَا وَلَيْسَ لَهَا إِلَّا بِحَكْمِ الْوُغَا عَقْدُ^(٦)

وقول ابن مجبّر : —

إِذَا الْقَضْبُ هَزَّتْهَا الرِّيحُ تَذَكَّرُوا قَدَوَكَ الْحَسَانَ الْبَيْغِرَ فَاعْتَنَقُوا الْقَضْبَا^(٧)

١ — زاد المسافر : ص ٥٨ .

٢ — شعر السراع : ص ٣٢٩ .

٣ — بستانة الدهر : ج ١ ص ٢٠٩ .

٤ — اللين : ج ٢ ص ١٦٢ .

٥ — المن : ج ٢ ص ٢٤٨ .

٦ — زاد المسافر : ص ٥٧ .

٧ — صفة جزيرة الأندلس : ص ١٠٨ .

بستانة

ولم يكن تقليد الشعراء المغاربة والأندلسيين في شعرهم الجهادي مقصوراً على احتذاء شعر أبي تمام والمتنبي . فقد ورد في الحديث السابق إشارة أوضحت استفادة أبي بكر بن المخلد الشلبي من معاني ابن الرومي . كما أشير إلى استفادة أبي موسى هرون في قصيدته التي رثى فيها إشبيلية من معاني قصيدة ابن الرومي في رثاء البصرة . كذلك فقد نقل الشواشر الشلبي بعض معاني البحترى وقوافيه وطريقة نظمها في أبياته التالية :

يَمُضِي لِأَمْرِ اللَّهِ غَيْرَ مَمَرِّجٍ متوجّهاً بالنصر ضربةً لازِبِ

بسوابقٍ كبوارقٍ، ومواكِبِ لكواكبٍ، وجنائبٍ كخبائبِ

يَقْضِي فَيَمُضِي كُلُّ حَتَّى وَاجِبِ إلا إذا أعطى فنون الواجبِ

تلقاه آساد الوغى وكلماتها فكأنما يلقاه سربٌ كواعِبِ (١)

وهذه يقابلها من قول البحترى الأبيات التالية :

وإذا رأيت للهجر ضربةً لازِبِ أبداً، رأيت النصر ضربةً لازِبِ

بذرائعٍ كذرائعٍ، وخلائقٍ كخلائقٍ، وضرائبٍ كضرائبِ

ومواعِبِ ((كعبية)) ((وحمية)) يوجبُ في الإفضال فوق الواجبِ

ما كان أحسنَ هذه من وقفَةٍ لو كان ذاك السربُ سربُ كواعِبِ (٢)

كذلك فإن قوافي قصيدة أبي الحكم بن رضى البلنسي التي مطلعها :

صامري وخبيرُ القوم مسوؤلٌ حدث فقولك مسموعٌ ومقبولٌ (٣)

كثيراً ما تذكر بقوافي قصيدة كمب بن زهير التي مدح فيها سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، ومطلعها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبولٌ متيممٌ إثر جأ لم يُفدْ مكبُولٌ (٤)

تلك هي بعض الأمثلة التي توضح العلاقة بين الشعر الجهادي في عصر الموحدين والتراث الشعري الموروث، وخاصة شعر أبي تمام والمتنبي . ولعل في تلك الأمثلة دليلاً على ما ذهب إليه الدارس، من اقتداء الشعراء الذين قالوا القصائد

١ — المن : ج ٢ ص ٢٠٨ — ٢١١ .

٢ — ديوان البحترى : ج ١ ص ١٥٩ — ١٦٠ .

٣ — المن : ج ٢ ص ٤٢٢ — ٤٢٨ .

٤ — شرح قصيدة كمب بن زهير : ص ١١ — ٣٧ .

الجهادية بالشعراء السابقين .

وقد وجد الدارس بعد أن استقصى المواضع السابقة، وغيرها من المواضع، أن تأثير الشعراء اللاحقين، الذين عني بنوع خاص من شمرهم، بالشعراء السابقين — لم يكن تأثيراً عفويّاً ناجماً عن توارد الأفكار أو عن تزامن المعاني، بسبب ألفة الشعراء لهذا التراث الشعري، وإنما هو احتذاء متعمد، وتقليد مدروس. وهو احتذاء وصل إلى درجة الهيمنة الفكرية على بعض الشعراء، فالأمثلة السابقة لا تترك مجالاً للشك في أن بعض الشعراء الذين قالوا القصائد الجاهلية، قد أصرّوا على صور معينة من الصور القديمة، وكان في أذهانهم قصائد محدّدة يحتذونها وينظمون على منوالها. فهل من تعليل لهذه الظاهرة ؟

لقد وُجِدَتْ في هذا العصر دعوة قويّة من بعض النقاد إلى الاقتداء بالشعراء، والاستفادة منهم الدرية في أنحاء التصريف البلاغيّة، بحجّة اختلال الطباع، وتقصير الأفكار (١).

وقد يكون للأسباب النفسية التي تدعو الأجيال اللاحقة إلى الإعجاب بالأجيال السابقة وإنتاجهم دور في ذلك. فيهم ينظرون إلى المصور الإسلامية الأولى على أنها المثل الأعلى. إياها الدينية والخلقية، والحجّة الأولى لعلوم الدين وبعض فروع الفقه (٢). بل أن الأندلسيين ينظرون إلى المشاركة — كما رأينا — باعتبارهم أئمة الفصاحة والبيان.

وقد يكون لما رددته النقاد المسلمون من أن الأقدمين قد استهلكوا المعاني، ولم يبق للاحقين من المعاني إلا القليل (٣) أثر في ذلك أيضاً. لذا انكب الشعراء على التراث القديم، ينهلون منه، ويردون معانيه.

وقد تكون ((المشكلة اللغوية)) (٤) عاملاً من العوامل التي جعلت الشعراء يحتذون السابقين، ويقتدون بهم. ونقصد بالمشكلة اللغوية ((ازدواج اللغوي)) . فقد اهتمت في هذا العصر الشقّة بين اللغة اليومية ولغة الأدب، فاللغة التي ينظم بها الشاعر في هذه الفترة لم تعد هي اللغة التلقائية التي يفكر ويشعر بها بصورة تلقائية، والمثال الواضح على ظاهرة الازدواج اللغوي في الأندلس ((الأزجال)) التي نظمت باللغة العامية الشائعة، لذلك فقد راجت رواجاً كبيراً في الأوساط الشعبية الأندلسية (٥).

١ — منهاج البلاغة: ج ٢٦ — ٢٧ .

٢ — ابن سناء الملك: ج ٢٩ .

٣ — تاريخ النقد الأدبي عند العرب: ج ٣٨ — ١٣٩ .

٤ — ناقش د. عبد العزيز الأدهواني موضوع الازدواج اللغوي في كتابه ((ابن سناء الملك...)) ج ١٧ .

٥ — انظر: الزجل في الأندلس: ج ١ — ٥١ .

بل إن ((الازدواج اللغوي)) في الدولة الموحّدية تعديّ الازدواج بين اللغة العربية الفصحى وبين اللهجة العامية إلى انتشار اللغة البربرية على نطاق واسع. فقد لجأ الموحّدون — لسبب أو لآخر — إلى اللغة البربرية وسيلة للاتصال بالجماهير، والتأثير عليها، فالمصنّف يدرّس البربرية ويؤلف بها كتبه في المذهب، وبأمر بالنسداء للصلاة بها (١). وعبد المؤمن يكتب لولائه بأن يؤمر الذين يفهمون اللسان البربري، ويتكلمون به، أن يقرأوا التوحيد بذلك اللسان (٢). و((كانوا لا يقدمون للخطابة والإمامة إلّا من يحفظ التوحيد باللسان البربري)) (٣). بل أنهم يلقون خطبهم على الجند في ساحة القتال باللسان العربي تارة، وباللسان البربري تارة أخرى (٤).

فإذا كان الأمر كذلك، فلا بدّ للمتأدّب أن يعيّن في دواوين الشعر القديم لم يتعلّم منها أساليب التعبير، حتّى يتحوّل بصورة تلقائية حين يكتب أدبا إلى اللغة العربية الفصحى. وهنا قد ينظر بعض الشعراء إلى ما احتوته هذه الدواوين باعتباره مثلا أعلى يجب أن يحتذى في كل عمل أدبي جديد (٥). والحالة هذه، فإن كثييرا من الشعراء لم يكونوا يعبرون عن أحاسيسهم ومشاعرهم بلفظهم التلقائية. ومن ثم لم يعودوا قادرين على التعبير عن الانفعال تعبيرا صادقا حارا أميناً، وذلك لأن حرارة الانفعال تخفت في خضم البحث عن وسيلة للتعبير.

أمّا تأثر الشعراء بشعر أبي تمام والمنتبي بشكل خاص، فيمكن أن يكون مرجعه بالإضافة إلى ما سبق، شهرة هذين الشاعرين اللذين نال شعرهما قدرا كبيرا من العناية من الأندلسيين.

ثم أن الصلة واضحة ما بين شعر أبي تمام والمنتبي الذي نظم في مقارعة الدولة البيزنطية، وبين شعر الجهاد الذي نظم في جهاد الصليبيين في الأندلس، فكلاهما شعر حماسي.

ثم إن ((عنصر الفخامة والرخامة الذي تميّز به شعر أبي تمام وأبي الطيّب المنتبي، وبخاصة شعرهما في الحماسة والحرب، كان عنصرا يستهوى كل شاعر لاحق، يبحث عن الإثارة اللفظي المناسب لمادة الحماسة والحرب)) (٦).

١ — الاستقصا: ج ٢ ص ٢١٢.

٢ — رسائل موحّدية: ص ٣٩.

٣ — الأمير الشاعر: ص ٥٤.

٤ — المن: ج ٢ ص ٥٠١.

٥ — صدى الغزو الصليبي: ص ١٨٨.

٦ — صدى الغزو الصليبي: ص ١٩٠.

ومع ذلك، فإن الدارس لا يشك إطلاقاً في عواطف الشعراء الذين قالوا القصائد الجهادية. صحيح أن اتكاهم على القديم قد حدّ من انطلاقهم الوجداني، وأبهرت من توهج العاطفة، وهذا ما أطلق عليه حازم القرطاجني (١) اختلال الطباع وتقشير الأفكار (٢)، وهي ظاهرة لاحظها عند شعراء العصر كله. إلا أنه كان وراء قصائد شـم الجهادية ثروة عابدية حقة؛ فما من شك أنهم ككل أبناء المجتمع الإسلامي في عصرهم يريدون الظفر للجيوث الإسلامية، وما من شك أيضاً أنهم كانوا يحاولون بشعرهم الإسهام بنصيب أكبر في إثارة العواطف.

وعلى الرغم من محاولات التقليد هذه، فإن الشعراء — بصورة عامة — لم يصلوا إلى مستوى شعير أبي تمام والمتنبي الحربي إلا نادراً. وهذا لا يعني أن كل مستمد من التراث لا بد أن يقع فيما وقع فيه أولئك الشعراء، فالماضي قد يكون مصدر الهام.

١ — انظر ترجمته في : بغية الوعاة : ص ٢١٤، أزهار الرباع : ج ٣ ص ١٧٢.

٢ — منهاج البلاغة : ص ٢٦ — ٢٧.

أثر مقاييس العصر الأدبية : —

رمى بعض الدارسين الشعر الأندلسي في عهد الموحدين بالإغراق في المحسنات البديعية والصناعة اللفظية (١)، وأخذوا عليه ذلك (٢)، حتى بات هذا الشعر كما يقول أحد شمه ((عبارة عن كلام فارغ، كل ما فيه شقشقة الألفاظ)) (٣)، ومن ثم رسموا هذا العصر ((بانحطاط الأدب)) (٤).

والحق أن البديع استهوى الشعراء في هذه الفترة، ودعا النقاد إلى الأخذ به (٥)، وعدوه ((قيم الأشعار وقوامها، وبه يعرف تفاضلها وتباينها...)) (٦).

وسينظر الدارس فيما يلي في بعض القصائد الجهادية الموزعة على فترات مختلفة، ولشعراء مختلفين، ليرى مدى تأثرها بمقاييس العصر الأدبية التي شغفت بالبديع، ومدى صدق الدارسين المحدثين في أحكامهم السابقة على الشعر في عهد الموحدين.

فقصيد ابن صاحب الصلاة الباجي التي مثلها : —

تَلَا مِنْ نَوْرِ الْخِلَافَةِ بَسَارِقُ أَضَاءَتْ بِهِ الْآفَاقُ وَاللَّيْلُ غَاسِقُ

يسيطر عليها البديع بشكل معتدل، فإنه لم يرد في أبياتها الثلاثة والأربعين الأستة عشر بيتاً ظهرت فيها المحسنات البديعية، مثل الجناس والتأنيق في قوله : —

* وَإِنْ طَالَتِ الْبِيدَاءُ قَصَرَ بَعْدَهَا حَدِيثُ الْأُمَانِي وَالرَّجَاءُ الْمُرَافِقُ

* قَدْ انْتَحَبُوا مِنْ نُخْبَةِ الْعَرَبِ كُلِّهَا شَبَابٌ وَخَلَقٌ كَامِلٌ وَخُلَائِقٌ

* وَكَرَّ إِلَى نَصْرِ الْجَزِيرَةِ بَعْدَ مَا أَتَاهُ مَعَ الرِّكْبَانِ نَاعٍ وَنَاعِرٌ

* وَلَا زَالَ أَمْرُ اللَّهِ لِلدِّينِ هَادِيَا وَأَنْتَ لِدِينِ الْكُفْرِ مَاحٍ وَمُصَاحِقٌ

والمبالغة في قوله : —

* تَكَادُ الرَّبْقُ تَنْحَلُّ عِنْدَ لِقَائِهِ وَتَسْرِعُ نَهْضًا لِلْقَاءِ السَّمَالِقُ

* وَخَيْلٌ تَسُوقُ الْأَسَدَ فَوْقَ مَتُونِهَا وَتَسْبِقُ لَمَحَ الْبَرْقِ وَالْبَرْقُ خَافِقُ

١ — أبو البقاء الرندي : ج ٨٨ .

٢ — الأدب الأندلسي في عصر الموحدين : ج ١٤٨ .

٣ — هذا رأي الاستاذ د. نرى بيرس، وقد نقله الدارس عن كتاب الأمير الشاعر : ج ٢٣٩ .

٤ — زاد المسافر : المقدمة : ص ٦٦ .

٥ — انظر : تاريخ النقد العربي : ج ٩١ و ٣٢٤ ، تاريخ النقد الأدبي : في

الأندلس : ج ٤٤٨ ، أبا البقاء الرندي : ج ١٠٢ .

٦ — الذهبية : ج ١ ص ٦٠ .

والموازنة والمقابلة في قوله : —

- * أَرَاكَ الرَّدَى عَمَّنْ يَلُوذُ بِظُلْمِهِ
- * فِي ظُلْمِهِ أَمَّنٌ مِنَ الْخَوْفِ مَانِعٌ
- * وَأَسْمَرُ فِي كَفِّهِ أَسْمَرٌ نَافِدٌ
- * فَتَوَقَّظْهُمْ بِبُخْرِ الدَّخْدُودِ نَوَاعِمُ

والتقسيم في قوله : —

- طَلَّتْ قُلُوبَ النَّاسِ حُبًّا وَرَهْبَةً
- فَدَانِ بِتِ الصَّنْفَانِ : بَرٌّ وَفَاسِقٌ

والجمع مع التقسيم في قوله : —

- كَانَ بِهِمُ وَالسَّيْفُ يَأْكُلُ وَفَرُّهُمْ
- فَمَا وَلَدُوا لِلْمُسْلِمِينَ غَنَائِمَ
- وَمَا جَمَعُوا لِلنَّائِبَاتِ مُفَارِقُ
- وَمَا جَمَعُوا لِلنَّائِبَاتِ طَوَالِيقُ (١)

وقد ورد لابن حريون عدد من القصائد الجهادية لم يكن البديع بالظاهرة الواضحة فيها ، مما يدل على أنه لم يكن معنيا بقلبه في شتمه الجهادي ، ومن هذه القصائد قصيدته التي تبدأ بقوله : —

- لَكُمْ بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ تَهْدِي الْمَحَامِدُ
- وَفِي وَصْفِ عَلِيَاكُمْ تُصَاغُ الْقَلَائِدُ

وهذه القصيدة على أولها لم يظهر فيها إلا نزر يسير من المحسنات البديعية ، مثل : الجناس والتطابق والمبالغة في قوله : —

- * إِلَيْكُمْ سَرَى مِنْ شَلَبَ رَكْبٌ كَأَنَّهُمْ
- * وَيَكْتَسِبُ الرَعْدُ مِنْهُ بِسَالَةً
- * تَزَيَّتْ بِزَيِّ الْحَبِّ فَهِيَ سَوَاهِمُ
- * نَزَلَتْ عَجَاجُ الْمَوْتِ ثُمَّ تَكْشَفَتْ
- * وَفِي خُلْدِي إِنْ كَانَ فِي الْعَمْرَمِلَةِ
- والمقابلة والموازنة في قوله : —
- * وَيَرْجِعُ عَنْهُ جَاهِلٌ وَهُوَ عَالِمُ
- * أَبَتْ أَنْ تُرَى إِلَّا وَرَيَانٌ صَادِرٌ
- * مَطَارِدُ أَوْهَمُ لِلْخُطُوبِ كِرَائِدُ
- * وَتَعْرِفُ مِنْ جَدْوَى يَدِيهِ الرُّوَاعِدُ
- * وَأَعْيُنُهَا حَمْرُ الْمَاقِي سَوَاهِدُ
- وقد فاز بالنصر الجليل المجلد
- عجائب يفنى الدهر وهي خوالد !
- * وَيَرْجِعُ عَنْهُ مُدَمٌّ وَهُوَ وَاجِدُ
- * يُفِي دُمَا مِنْهَا وَظُلْمَسَانُ وَارِدُ

وايهام الترداد في قوله : —

وسايل به تُخبرك عن عزماته
سوايل من ماء الحديد رواكيد^(١)

وقد جمع الدارس لأبي العباس الجراوي عدة قصائد جهادية، ولم يكن الشاعر في قصائده تلك كلفا بالمحسنات البديعية، وما ورد فيها من هذه المحسنات كان عفواً خاطراً، لا يدل على تلصص واع له. وأكثر قصائده التي يبرز فيها الصبغ البديعي قصيدته التي مطلعها : —

فتح مبين جل أن يتخيلاً جاء الزمان به أغر محجلاً^(٢)

وهذه القصيدة لم يرد فيها إلا الجناس والمبالغة والتقسيم.

وأما الشاعر أبو الربيع الموحّد، فلم يرد في شعره الجهادي من ألوان البديع ما يدل على شغفه به. وكذلك فإنه لم يظهر في شعر أبي المظرف بن عميرة السدي ولده السراع من البديع شيء يستحق الذكر، في حين أنه كان مولعاً بالصناعة اللفظية في أغراضه الأخرى.

ولم يكن الشوانر الشلبي وابن المنخل الشلبي وابن سيد الاشبيلي وأبو بكر بن مجبر — ولكل من هؤلاء عدة قصائد جهادية — معنيين بتزويق شعرهم الجهادي وتنميته بالمحسنات البديعية.

وقد كان ابن الأبار من أكثر الشعراء الذين تأثروا بمقاييس العصر الأدبية، التي كان من أبرز مظاهرها الاتجاه إلى البديع. يظهر هذا واضحاً في قصيدته التي قالها في معركة أنيشة، حيث جاءت حافلة بضروب المحسنات البديعية، على الرغم من أنها قيلت في موقف رثاء... ولعل ذلك يعود إلى أن الشاعر قد استقى معاني قصيدته من شعر أبي تمام، علاوة على التأثير بمقاييس العصر. وهذه بعض الأمثلة على تجنيسات ابن الأبار : —

* ومان عليهم أن تكون لحودهم	متون الروابي أو بطون التهام
* عفا حسنها إلا بقايا مباسم	يمز علينا وطؤها بالمناسم
* ويا رب صوام الهواجر وأصلح	هنالك مصروم الحياة بصارم
* سقى الله أشلاء بسفح أنيشة	سوافح تزجيتها ثقال الفئاسم
* جلائد ردى الصبر فيها غلم نطيق	سوى غير أجفان وعثر أباهم

١ — المن : ج ٢ ص ٢٤٥ — ٢٥٠.

٢ — شاعر الخلافة الموحدية : المحلق : ص ٨ — ٩.

- * ومن لي بسلوان يحد سقرا
 * سعيد صعيد لم ترمه قسرة
 * فعامل رمع دق في صدر عامل
 * بأبدع حسنا من صحائف التسي
 بجاث من الأزواء حولي جاثم
 وأعظم بها وسط العظام الرمام
 وقائم سيف قد في رأس قائم
 تسيرها أقلامه في الأقاليم

وندرج من الأبيات السابقة ولج ابن الأبار بالجناس، وهو ولج دفعه إلى التماسه من الألفاظ التماسا واعيا عن طريق الاشتقاق، كما في في : ((مصروم وصارم)) ، و ((جاث وجاثم)) ، و ((أعظم والمضام)) ، و ((عامل : ما يلي السنان من الرمح ، وعامل : مشتقة من العمل)) ، و ((قائم : بمعنى مقبض السيف ، وقائم : مشتقة من القيام)) ، و ((أقلامه والأقاليم)) .

وقد يتأثر ابن الأبار برسم الكلمة فيدفعه ذلك إلى تلصص كلمة تماثلها في رسمها وليقاعها كلياً أو جزئياً ، كما في : ((متون وبتون)) و ((عباسم ومناسم)) ، و ((وعش وعثر)) ، و ((سعيد وصعيد)) .

والأمثلة السابقة تدل على حسن لغوي دقيق لدى ابن الأبار، كما تدل على اهتمامه بالتوائم الصوتي بين الألفاظ، وقد دفعه ذلك إلى نوع من التجنيس الحرفي يقوم على تكرار حرف معين في البيت الواحد . وهذه بعض الأمثلة على ذلك : —

- * ويا بأبي تلك الجسوم نواحلا
 * نحتي وجوهاً في الجنان وجبهة
 فجدت تكررت ((الجيم)) في البيتين السابقين تكراراً غير عادي . كما تكررت ((الميم)) و ((الصاد)) في البيتين التاليين بشكل يلفت النظر : —
 * تفرد بالعليا علماً وسؤدا
 * ويا رب صوام الهواجر واصل
 وحسبك من عال على الشهب عالم
 هنالك مصروم الحياة بصارم

وصور الطباق والمقابلة كثيرة في قصيدة ابن الأبار كثرة تجنيساته . . . وهنسا تبدو عملية القفز الذهني من معنى إلى معنى آخر يقابله . وهذه بعض الأمثلة على ذلك : —

- * تفلفل فيها كل أسم زابل
 * فلا يبعد الله الذين تقربوا
 * وما بي إلا غاريات فجاءع
 * وأعقد بالنجم المشرق ناظري
 فجدل منها كل أبيع ناعم
 إليهم بأهداء النفوس الكرائم
 تعبر عنها روائح ماتسم
 فينرب عني سائراً غير نائم

* فيها أنا في خوفٍ دهرٍ محاربٍ
أخو العزة القمساء كهذاً ويا فماً
* له منارٍ سهل النواصي قريبها
* شمد إليها راقماً يد قابليها
وكنْتُ به في أمنٍ دهرٍ صالسم
واكفاؤه ما بين راغٍ وراغِسم
فإن رمتهُ ألفت صعب الشكائِسم
أكتب عليها خافضاً فم لا شِسم (١)

وتشمل القصيدة كذلك على أصناف أخرى من البديع، كالمبالغة، والموازنة والترصيع، والتقسيم . . .

وهكذا فإن اهتمام الشعراء بالبديع كان نسبياً، فهم يتفاوتون في الأخذ به . إلا أن أغلبهم لم يكن متلمساً له تلمساً واعياً مقصوداً، لذلك لم يكن البديع بالظاهرة السائدة في شعر الجهاد، كما هو الحال في الأغراض الشعرية الأخرى، ويظهر الفرق واضحاً ما بين الشعر الحماسي وبين الأغراض الأخرى من حيث الإكثار من البديع، بمقارنة الأشعار التي وردت في كتابي : ((المن)) و ((البيان المفرب))، وكلهما من الشعر الحماسي، بالأشعار التي وردت في القسم الأندلسي من كتاب ((الخريدة)) أو بالأشعار التي وردت في كتاب ((الفصوص البانعة))، حيث يظهر أثر مقاييس الشعر الأدبية واضحة في المجموعتين الأخيرتين .

ومن هنا ندرك أن بعض الدارسين المحدثين قد عمّوا في أحكامهم على الشعر في عهد الموحدين، حينما وصفوه بالإغراق في المحسنات البديعية . فالبديع له مواضع، وأشهر مواضعه الوصف والفرز، في حين أن الشعراء ترخصوا لأنفسهم بالتخلع منه في الأغراض الحماسية .

وأخال أن تحلل شعر الجهاد من عقال البديع يحتاج إلى تحليل، وربما يعود ذلك إلى ارتباط هذا الشعر بأحداث الصراع الذي يهيم الأمة جميعها . فالشعراء لم يبيحوا من قصائد هم الحظوة الفنية أو الأعطيات المادية بقدر ما كانوا يهدفون إلى خدمة الأمة في صراعها مع العدو . فشعر الجهاد لم يكن موجّهاً إلى فئة خاصة أو إلى جمهور معين، وإنما كان موجّهاً إلى الأمة جميعاً . وقد أشار الدارس في موضع سابق إلى أن الشعراء كانوا يلقون قصائد هم الجهادية على مسامع الأشهاد في محافل شعبية تقام خصيصاً لذلك . فعندما فتح المسلمون المهدية سنة ٥٥٥ هـ، وجه عبد المؤمن إلى أهل الأندلس قصيدة يبشّرهم بهذا الفتح . . . وقد أمر السيد أبو يعقوب — أمير المؤمنين فيما بعد — الناس والطلبة بأشيلية بحفظ هذه القصيدة وسردها على ألسنتهم، فقرئت وتليت ((وارتقت بها ذوائب المناير، وأسمع بها الحاضر والبادي بجميع هذه البشائر، وطارت الركبان بأبياتها العذبة المبشرة مزارها إلى

الجهات والعمائر)) (١).

كما بحث عبدالمؤمن شعرا إلى أهل الأندلس يخبرهم فيه بنيته على التوجه إليهم،
لجهاد الصليبيين، وعندما وصل هذا الشعر ((قرئ على المنابر . . . وانتسخ الناس
والطلبة والمؤحدون والعمامة نسخا من الشعر المدرج فحفظوه . . .)) (٢).

وهذه الشواهد توضح أن الشعر لم يكن محصورا في طبقة معينة، لذلك فإن عباس
الجرّاوي لم يصب الحقيقة عندما حصر جمهور الشعر في ((طبقة الدارسين المتمكنين
. . . وتضمن فقها وعلماء، من أصحاب الثقافة)) (٣).

ولا شك أن الإكثار من البديع، والإسراف فيه قد يعمي معاني الشعر، أو على
الأقل يفقد القدرة على التأثير المباشر، ذلك أن الذهن يحتاج إلى وقت لاستيعاب
دلالة الزينة البديعية، فما بالك إذا كان الشعر موجّها إلى الأمة جميعا؟ لذلك
ترخّص الشعراء لأنفسهم في الشعر الجهادي من التخلّص من البديع. ولعل ذلك
أيضا يفسر انخفاض المستوى الفني لبعض القصائد الجهادية.

وإذا سلم شعر الجهاد من التزويق والتنميق البديعي، فإنه لم ينج من المبالغة،
وعني ضرب من ضروب المحسنات البديعية الممنوعة، ولعل ذلك يعود إلى طبيعة الموقف،
وما يكتنفه من أجواء انفعالية تدعو إلى المبالغة في الوصف والقول.

١ — المن: ج ٢ ص ١٢٦.

٢ — المن: ج ٢ ص ١٣٥.

٣ — الأمير الشاعر: ص ٢٣٧.

خاتمة : -

واكب الشعر الصراع بين الموحدين والصليبيين في الأندلس، وتابع مراحلهم المختلفة، وقدم صورة أمينة عنه، فهو جهاد إسلامي شامل بين المسلمين عامة، والصليبيين غزاة الديار الإسلامية، ومن هنا تلك الروح الإسلامية الدافقة التي غمرت هذا الشعر، وتجلت في مظان مختلفة .

وشعر الجهاد يوءن بالأواصر القائمة بين العروبة والإسلام، ويقدر للعرب الدور الذي اضطلعوا به في جهاد الصليبيين في الأندلس على عهد الموحدين .

وقد تغنّى الشعراء ببطولة المجاهدين المسلمين، أمثال : الخليفة عبد المؤمن، والخليفة يوسف، والخليفة المنصور، وغيرهم من القادة الذين ألبوا في جهاد الصليبيين، سواء بالاشتراك الشعلي في المعارك، أو بتعبئة الجيوش وتجهيزها .

والبطولة في شعر الجهاد ليست بطاولة فردية، وإنما هي بطاولة جماعية . فالشعراء لم يهملوا البطل وحده، وإنما صوروا جماعة المسلمين المجاهدين معه .

وشعر الجهاد يستوحي المثل الحربية والخلقية والنفسية في المجتمع الموحد، ومن ثم فإن أبرز المعاني في تصوير البطولة، هي : الشجاعة الخارقة، والعقيدة القوية، وسعة العلم، والتقوى

وحديث الشعراء عن الصليبيين يحث من قدرهم، ولكنه لا يقلل من خطرهم فقد صورهم الشعراء تصويراً يثير الحفيظة، ويحفز الهمم، ويدعو إلى العمل، ويحث على السعي ومضاعفة الجهد، ورأوا أنه ليست ثمة مجال للتساهل معهم، وأن القوة هي السبيل الوحيد إلى التغلب عليهم .

وقد تحدث الشعراء عن ضخامة جيوش الصليبيين، وكثافة حشودهم، وصوروا هزائمهم وبالضوا في وصفها، وقدّموا صوراً دموية لها . وسخروا من قاداتهم سخرية مريرة .

كذلك فقد بعّر الشعراء المسلمين بخطورة الصليبيين على الإسلام وأهله، وصوروا فظائهم في البلاد الإسلامية، وحثوا على جهادهم، وإنقاذ البلاد منهم، والتمسوا كل وسيلة تحفز الأمة على قتالهم، وعدّهم عن البلاد .

وكان موقف الشعراء من الخونة والمتعاونين مع العدو حازماً، فقد جرّدوهم من الفضائل الخلقية وأزروا بهم، وأوغروا العدو عليهم، وصورواهم خارجين على الجماعة الإسلامية، فأباحوا دماءهم .

وقد سجّل الشعراء أحداث الصراع الكبرى . ويمكن أن نستقرئ تلك الأحداث من الشعر بشكل يوازي استقراءها من المصادر التاريخية .

وشعر الجهاد صورة فذة للانتصارات التي حققها الموحّدون في الأندلس، ولا نرى فيه حديثاً عن الهزائم التي منوا بها إبان قوتهم.

وشعر الجهاد لا يصوّر الممارك ولا يعطي تفصيلات شافية عنها . إلاّ أن فيسه حديثاً عن الجيوش المسلم . فقد صور الشعراء كثرته، وشجاعته، ودرسته وإيمانه بالله .

ولم تظهر المعركة البحرية في شعر الجهاد . . . إلاّ أننا ندرك منه قوة أسطول الموحّدين وضخامته .

وقدّم الشعر صوراً مؤثرة لمأساة المسلمين في الأندلس، والأحوال النفسية لهم، وهم يمانون وطأة العدو، وذلّ الهزائم، بعد أن تضعضع سلطان الموحّدين . وقد أرسل الشعراء قصائد هم تلك ممزوجة بالبكاء، فجاءت انفجالات وجدانية متأججة، تنقل السامع عن حالته .

وقد كثر شعر الاستنجاذ واستنهاذ اليهم في عصر الموحّدين، والشعراء ينحون فيه إلى التفجّع على ما حلّ بالمسلمين، والتأسي من تخريب الديار، وقتل الأحياء، والتذكير بقوة المسلمين، واستلهاهم ماضيهم العريق .

ويميل شعر الجهاد إلى البحور الطويلة، والعبارات الفخمة، والألفاظ الجزلة، والتراكيب القويّة التي تنأى عن الزخرف اللفظي، والتنميق البديعي.

وقد استحوذت الصور والأخيلة وطرائق التعبير القديمة على الشعراء الذين قالوا القصائد الجهادية . فهم يتفنّون بانتصارات المسلمين، ويندبون هزائمهم على الطريقة التي تمنى بها الأجداد . . . وكانهم يرون في ذلك صوراً من صور الصمود الحضاري أمام الغزو الصليبي (١).

وفي شعر الجهاد روح جماعية قويّة . فنحن نسمع فيه صوت الشعراء المسلمين يخوضون المعركة بشمرهم، ويسعون جاہدين إلى شحذ الهمم، وتعبئة الطاقات .

وأخيراً فإنّ شعر الجهاد يكشف عن حال غير حال الجمود والانحطاط اللذين رسم بهما الشعر في عهد الموحّدين . . .

وأخيراً دعواهم أن الحمد لله ربّ العالمين .

الفهرس

الاعلام	—
القبائل والطوائف والجماعات.	—
الاماكن والبلدان.	—
المصادر والمراجع	—
المحتوى	—

21
 22
 23
 24
 25
 26
 27
 28
 29
 30
 31
 32
 33
 34
 35
 36
 37
 38
 39
 40
 41
 42
 43
 44
 45
 46
 47
 48
 49
 50
 51
 52
 53
 54
 55
 56
 57
 58
 59
 60
 61
 62
 63
 64
 65
 66
 67
 68
 69
 70
 71
 72
 73
 74
 75
 76
 77
 78
 79
 80
 81
 82
 83
 84
 85
 86
 87
 88
 89
 90
 91
 92
 93
 94
 95
 96
 97
 98
 99
 100
 101
 102
 103
 104
 105
 106
 107
 108
 109
 110
 111
 112
 113
 114
 115
 116
 117
 118
 119
 120
 121
 122
 123
 124
 125
 126
 127
 128
 129
 130
 131
 132
 133
 134
 135
 136
 137
 138
 139
 140
 141
 142
 143
 144
 145
 146
 147
 148
 149
 150
 151
 152
 153
 154
 155
 156
 157
 158
 159
 160
 161
 162
 163
 164
 165
 166
 167
 168
 169
 170
 171
 172
 173
 174
 175
 176
 177
 178
 179
 180
 181
 182
 183
 184
 185
 186
 187
 188
 189
 190
 191
 192
 193
 194
 195
 196
 197
 198
 199
 200
 201
 202
 203
 204
 205
 206
 207
 208
 209
 210
 211
 212
 213
 214
 215
 216
 217
 218
 219
 220
 221
 222
 223
 224
 225
 226
 227
 228
 229
 230
 231
 232
 233
 234
 235
 236
 237
 238
 239
 240
 241
 242
 243
 244
 245
 246
 247
 248
 249
 250
 251
 252
 253
 254
 255
 256
 257
 258
 259
 260
 261
 262
 263
 264
 265
 266
 267
 268
 269
 270
 271
 272
 273
 274
 275
 276
 277
 278
 279
 280
 281
 282
 283
 284
 285
 286
 287
 288
 289
 290
 291
 292
 293
 294
 295
 296
 297
 298
 299
 300
 301
 302
 303
 304
 305
 306
 307
 308
 309
 310
 311
 312
 313
 314
 315
 316
 317
 318
 319
 320
 321
 322
 323
 324
 325
 326
 327
 328
 329
 330
 331
 332
 333
 334
 335
 336
 337
 338
 339
 340
 341
 342
 343
 344
 345
 346
 347
 348
 349
 350
 351
 352
 353
 354
 355
 356
 357
 358
 359
 360
 361
 362
 363
 364
 365
 366
 367
 368
 369
 370
 371
 372
 373
 374
 375
 376
 377
 378
 379
 380
 381
 382
 383
 384
 385
 386
 387
 388
 389
 390
 391
 392
 393
 394
 395
 396
 397
 398
 399
 400
 401
 402
 403
 404
 405
 406
 407
 408
 409
 410
 411
 412
 413
 414
 415
 416
 417
 418
 419
 420
 421
 422
 423
 424
 425
 426
 427
 428
 429
 430
 431
 432
 433
 434
 435
 436
 437
 438
 439
 440
 441
 442
 443
 444
 445
 446
 447
 448
 449
 450
 451
 452
 453
 454
 455
 456
 457
 458
 459
 460
 461
 462
 463
 464
 465
 466
 467
 468
 469
 470
 471
 472
 473
 474
 475
 476
 477
 478
 479
 480
 481
 482
 483
 484
 485
 486
 487
 488
 489
 490
 491
 492
 493
 494
 495
 496
 497
 498
 499
 500
 501
 502
 503
 504
 505
 506
 507
 508
 509
 510
 511
 512
 513
 514
 515
 516
 517
 518
 519
 520
 521
 522
 523
 524
 525
 526
 527
 528
 529
 530
 531
 532
 533
 534
 535
 536
 537
 538
 539
 540
 541
 54

ابن الأَبَّار : — ٤١ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٧١ ، ٧٥ ، ٩١ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١١٦ ، ١٢٢ ، ١٤٥ ،
١٥٨ ، ١٦١ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ .
ابراهيم بن أبي يوسف : — ٤٨ ، ٨٨ ، ٩٩ .
أبرهة الأشرم : — ١٩٤ .
أبريز ملك الفرس : — ١٤٦ .
ابن الأثير : — ٤٠ .
ابن الأحمر : — ١٦٨ .
أذفوش البخير : — انبرذور .
أرسدنو : — ٣٣ .
اسكندر الأكبر : — ١٢٧ .
اسكندر الثالث : — (البابا) : — ٤٠ .
أشباخ ، يوسف : — ٦ .
ابن الأشبيلي ، علي بن محمد : — ٢٧ .
الأشبيلي : — عبد الحق بن عبد الرحمن : — ٢٦ .
الأشيري ، أبو عمر : — ٤٢ ، ٦١ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٨٩ .
الأهم المرواني : — ٥٩ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٨٤ ، ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ٢٠٩ ،
٢١٠ .
الأغماتي السلمي ، أبو جعفر عمر : — ١٥٤ ، ١٨٥ ، ١٨٩ ، ٢٠٥ .
الأقوع الفهراني : — ٣٦ ، ١٠٩ ، ١٣٥ .
انبرذور ، القوش الهنشة : — ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ١٠٩ ، ١١١ — ١١٤ ، ١٥١ ،
١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦٨ .
الأنصاري ، أبو محمد عبد الله : — ٢٥ .
أنوسنت الثالث : — ٧ ، ٤٠ ، ١٥٧ .
الأيوبي ، صلاح الدين : — ٢٩ ، ٣٨ ، ٥٧ .

(ب)

- الببوج ، فرانده : — ١١٠ ، ١١١ ، ١٤٢ ، ١٤٥ .
البتّي ، عبدالوالي : — ٢٥ .
البحترى : — ١١٥ .
البرشونوي : — ٣٩ .
البشير : — ٤ .
البنليوسى ، أحمد بن محمد : — ٢٥ .
أبو الحكم بن رضى البنسى : — ٧٢ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ١٠٧ ، ١٣٦ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٩٤ ،
٢١٥ .
البيسراني ، أبو الحكم : — ٢٤ .
البيذق ، أبو بكر : — ٤ .
ابن البيه الأندلسي : — ٣٣ .

(ت)

- ابن تاشفين ، علي بن يوسف : — ٢ .
ابن تاشفين ، يوسف بن علي : — ٢ .
أبو تمام : — ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٢ — ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢١ .

(ج)

- جايمش بن بطرقة : — ١١٤ .
جبرائيل عليه السلام : — ١٩٤ .
ابن جبير : — ١٤ .
ابن الجعد أبو بكر : — ٩٧ .
ابن الجعد (الحفيد) : — ٩٧ .
الجرّاوي ، أبو الحباس : — ٢٩ ، ٣١ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٧٩ ،
٨٣ ، ٩٧ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٣٤ ، ١٤٢ ،
١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٨٣ ، ١٨٦ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ،
١٩٥ ، ٢٠١ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢٢١ .

أبو جعفر الحميدى : — ٢٠٣ .

أبو جعفر بن سعيد : — ١٨ ، ٧٠ ، ٨٧ ، ١٣٣ .

(ج)

حاتم (؟) : — ٥٦ .

حازم القرطاجني : — ٢١٨ .

ابن حبوس، الفاسي : — ٢٩ ، ١٢٧ ، ١٢٩ .

ابن حبيب القصرى : — ٣٥ .

ابن حزيون : — ٤٧ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٨ ، ٧٢ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٨٦ ، ٨٧ ،

٩١ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠٦ ، ١١٠ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٨

١٨٦ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢١٤ ، ٢٢٠ .

ابن حزمون : — ٣٠ ، ٤٧ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٩١ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ،

١٨٢ ، ١٩١ .

أبو الحسن علي بن يوسف : — ٢٤ .

أبو حفص عمر (السيد) : — ٣٧ ، ٤٧ ، ١٢٧ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ٤٠ ، ١٨٢ .

أبو حفص عمر (الشيخ) : — ١١ ، ٢٣ ، ٥٣ ، ٦٠ ، ١٤٥ ، ١٤٦ .

حفصة الركنية : — ١٨ .

أبو الحملات ، مدافع : — ٦٩ ، ٧٠ ، ١٠٤ .

(خ)

ابن خروفا : — ٢٥ ، ٢٨ .

الشارع عليه السلام : — ١٣٧ .

ابن خلدون : — ٥٢ ، ٨٩ ، ١١٧ .

(د)

الدبّاج ، أبو الحسن علي : — ٢٦ .

ابن الدبّاج الابيلي : — ١٥٨ .

ابن دحية الكلبي : — ٢٨ .

(ذ)

الذئبي ، أبو جعفر أحمد : — ٣٢ .

(ر)

- أبو الرّيح الموحّد: — ٧٨، ٩٧، ١٠٧، ١٧٣، ١٨٢، ١٨٧، ٢٢١.
 ابن رشد، أبو الوليد: — ٢٢، ٣٢، ٣٤، ٣٥.
 الرشيد المرحّد: — ١٩.
 الرّماقي البلنسي: — ٣٠، ٣٣، ٨٣، ١٣٢، ١٩٩.
 ابن رمند (ريمند) : — انبرذور.
 ابن ريمند (؟) : — ١١٠، ١٨١، ١٩٩.
 ريموند برنجير (رمند بلنكير) : — ١١، ١١٢.
 الرّندى ، أبو علي : — ٢٥.
 الرّندى ، أبو القاسم : — ١٢٢.
 ابن الرّنق : — ٩، ١٠٩، ١١٠، ١٢٩، ١٣٠، ١٤٢، ١٧٣.
 ابن الرّنك : — ابن الرّنق.
 ابن الرّيق : — ابن الرّنق.
 ابن الرّومي : — ١٧٠، ٢٠٩، ٢١٢، ٢١٥.
 ابن الرّوميّة : — ٣٣.

(ز)

- ابن أبي زرع : — ١٥٨.
 أبو زكريا الدّفهبي : — ٣٢، ٦٢، ١١٦، ١٦٣، ١٦٤، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٩.
 ابن زشر الايادى : — ٣٢.
 الزّمري ، أبو بكر : — ٧٩.

(س)

- ابن سعادة ، محمد : — ٢٥.
 سعدونة : — ١٨.
 أم السعد : — سعدونه.
 أبو سعيد عثمان : — ١٣٧.
 السموأل بن عاديا : — ٦٩.
 ابن سهل الأندلسي : — ٤٥، ٤٦، ٥٠، ٦٢، ٩٧.

السَّهْلِي ، أبوزيد : — ٢٥٠ .

السَّهْلِي المالقي : — ٢٧ ، ٢٨ ، ١١٥ .

سيبويه : — ٢٨ .

ابن سيّد الاشبيلي (اللص) : — ٣٠ ، ٣١ ، ٤١ ، ٧١ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٥ ، ٨٩ ،

٩٦ ، ٩٩ ، ١٣٠ ، ١٨١ ، ١٨٦ ، ١٨٨ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ١٩٦ ، ٢٠١ ، ٢٠٦ ،

٢٠٧ .

ابن سيّد المالقي (الأستاذ) : — ٧٧ ، ٨١ ، ٨٦ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٢١ ، ١٤٣ .

سيف الدولة الحمداني : — ٢٠٥ .

السيوطي : — ٤٣ .

(ش)

الشَّارِي ، أبو الحسن : — ٢٣ ، ١٤ .

الشَّالبي ، أبو عبد الله : — ١٣٦ .

شأنجه : — ابن الرُّنْق .

الشريف ، أبو حنيفة : — ١٩٩ .

الشقندي ، أبو الوليد : — ١٥٥ .

ابن شلبون ، أبو الحسن : — ١٦٢ .

الشلوبين ، أبو علي : — ٢٨ .

الشَّوَارِب الشَّالبي : — ٤٣ ، ٧٥ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ١٢١ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٨٢ ، ١٩٤ ،

١٩٦ ، ١٩٦ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

(س)

صاحب سبئية (روجار) : — ١٨٧ .

ابن صاحب الصلاة ، عبد الملك : — ٦ ، ١٨ ، ٤٧ ، ٥٢ ، ٧٧ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤١ ،

١٤٥ .

ابن صاحب الصلاة ، أبو الحسين عبد الله : — ٦٦ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٩٧ ، ١٣٢ ،

١٨٤ ، ٢١٤ ، ٢١٩ .

صخر : — ١٩٥ .

الصديفي أبو الحباس : — ٣١ .

(د)

الارق بن زياد : — ٤٧ ، ١٣٢ ، ١٨٣ .

ابن علفيل : — ٢٢ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٤٥ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ .

(ع)

ابن العابد الأنصارى : — ٢٦ .

الحادل الموحّدى : — ١٥٩ ، ١٧٦ .

عباس الجرارى : — ٢٢٤ .

الحبدرى ، أبو الحباس : — ٢٣ .

عبد السلام الكومى : — ٥٥ .

عبد العزيز بمن الطراوة : — ٢٠٧ .

عبد الملك بن سحيد : — ٧٠ ، ١٨٧ .

عبد المنعم الحميرى : — ١٥٨ .

عبد الرحمن الناصر : — ٢٠٣ .

عبد المؤمن بن علي : — ٤ — ٨ ، ١٢ — ١٧ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٤١ ،

٤٧ ، ٥١ — ٥٣ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٧٥ — ٧٨ ، ٨٠ ، ٨٢ ،

٨٤ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١٢٦ — ١٢٨ ، ١٣٠ — ١٣٤ ، ١٣٧ ،

١٧٣ ، ٢٠٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٣ — ٢٢٥ .

عبد الواحد عمر (الشيخ) : — ٣٨ .

ابن عبيد : — ١٠٩ ، ١٣٦ .

عبيد الله المهدى : — ٢١ .

عثمان بن عفان : — ١٦ .

عثمان بن عبد المؤمن : — ١٨ .

عثمان بن المثنى : — ٢٠٣ .

الحذراء ، مريم : — ٩٩ .

ابن عذرة : — ١٧٦ .

ابن عصفور : — ٢٤ ، ٢٨ .

علي (جدّ الموحّدين) : — ٩١ .

أبو عمران بن سعيد : — ١٨٧ .

ابن عمران ، عيسى : — ٤٤ ، ٥١ .

أبو عمران (اوالي اشبيلية) : — ٤٥ .

عمرو (؟) : — ٥٦ .

عنان ، محمد عبد الله : — ١٥٢ .

ابن عياش ، التجيبي : — ٣١ ، ٥٥ ، ١٩٦ ، ٢٠٠ .

(غ)

الخافقي ، عيسى بن محمد : — ١٣١ .

الغزالي (الامام) : — ٣ .

(ف)

الفارغي ، معزز بن زياد : — ١٣١ ، ١٣٢ .

ابن الفخار ، علي : — ٢٧ .

فرّانده الثالث : — فرّانده بن الهنش .

الفندلاوي ، محمد : — ٢٧ .

الفونسو انريكيث : — ابن الرّثق .

الفونسو الثامن : — انبرذور .

الفونسو ريمونديس : — ١١١ .

(ق)

قراقوش : — ٥٧ ، ٥٨ .

القرشي العامري : — ٩٨ ، ١٧٤ .

القرشي القرطبي : — الأُصم المرواني .

القرطبي ، أبو محمد : — ٢٥ .

القسطلبي ، أبو الوليد : — ٦٩ ، ١٨٤ ، ١٩٣ ، ٢٠٠ ، ٢١٤ .

ابن قسي : — ٤٧ .

القيسي ، ابن واجب : — ٢٣ .

(ك)

الكلاعي ، أبو الربيع : — ٢٧ ، ٤٨ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٥ ، ٩١ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٩١ .

كعب (؟) : — ٥٦ .

كعب بن زهير : — ٢١٥ .

(ل)

لقمان : - ١٣٧ .

(م)

ماجون : - ١٢٧ .

المأمون الحباسي : - ١٨٧ .

المأمون المرحدي : - ٧ ، ١٣ ، ٣٥ .

المتبي : - ٢٤ ، ١٠٣ ، ١٨٦ ، ٢٠٢ - ٢١١ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢١٨ .

ابن مجبر ، أبو بكر : - ٣٠ ، ٤٣ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥٥ ،

١٨٩ ، ٢٠٠ ، ٢١٤ ، ٢٢١ .

أمّ المجد مريم : - ١٨ .

ابن معشرة القيسي : - ٣١ .

محمد بن تومرت : - ٣ ، ٤ ، ٧ ، ١١ ، ١٣ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢١ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٨ ،

١٣٣ ، ١٩٢ ، ٢١٧ .

محمد بن عبد المؤمن : - ٦ .

المخزومي ، أبو بكر : - ١٧٥ ، ١٩٢ .

المخزومي ، ابن حريق : - ١٩٤ .

المراكشي ، عبد الواحد : - ١٢ ، ٣٩ ، ٤٨ ، ٨٨ ، ٩٩ ، ١٣١ ، ٢٠٣ .

المراكشي ، ابن عذارى : - ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٥٨ .

ابن مردنيش ، محمد : - ٥٣ ، ١٠٩ ، ١١٩ - ١٢٣ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٣ ،

١٧٥ .

المستنصر بالله الأموي : - ٣٣ .

المستنصر بالله المرحدي : - ١٦ ، ١٧ .

مطاران طليحة : - ٢٨ .

أبو المطرف بن عذيرة : - ٣١ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ١١٥ ، ١٢١ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ،

١٦٤ - ١٦٨ ، ١٩١ ، ٢٠٦ .

معاوية بن أبي سفيان : - ٥٢ .

المقرئ التلمساني : - ٢٠٢ .

ملك أرغون (جايغش) : — ١٦٢ .

ابن المنخل الشلبي : — ٣٠ ، ٦٧ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٥ ، ٩٠ ، ٩٩ ، ١١٠ ،

١٢١ ، ١٢٩ ، ١٤٤ ، ١٧٣ ، ١٨١ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ،

٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٥ ، ٢٢١ .

ابن منقذ ، أسامة : — ٢٩ ، ٣٨ .

المنصور الحباسي : — ٤٨ ، ٨٨ .

المنصور الموحدي : — ٥ ، ٧ ، ٩ ، ١٠ ، ١٣ ، ١٧ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٩ ، ٣١ ،

٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٤ ، ٤٨ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٦ ، ٦٨ ،

٧٨ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١١١ ، ١٤٦ ،

١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٤ — ١٥٦ ، ١٧٣ ، ١٨٧ ، ٢٠٠ ، ٢٠٥ ،

٢٢٥ .

المهدي : — محمد بن تومرت .

موسى عليه السلام : — ١٣١ ، ١٣٧ .

موسى بن ميمون : — ٣٢ ، ٣٥ .

موسى بن نصير : — ٤٧ ، ١٣٢ ، ١٨٣ .

أبو موسى ثرون : — ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١١٢ ، ١١٧ ، ١٧٠ ،

١٧٩ ، ١٨٩ ، ٢١١ ، ٢١٥ .

مؤمن بن سحيد : — ٢٠٣ .

(ن)

ناصر بني عبد المؤمن : — ١٠ ، ١٣ ، ١٩ ، ٢٨ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٥٣ ، ١٥٧ ،

١٧٦ .

ابن نهر ، محمد بن يوسف : — ١٠ ، ١١ .

النخمان بن المنذر : — ١٤٦ .

(هـ)

السيدة شاجر : — ٤٨ .

شرانده بن الهندي : — ١١٢ .

أبو هريرة : — ٢٨ .

• هاشم بن عبد المطلب : — ٢١ ، ٢١٣ •

• ابن هشام : — ٢٩ •

• هلال بن عامر : — ٥٥ •

• الهمداني ، أبو القاسم : — ٣١ •

• ابن همام : — ١٣٥ •

• أم الهناء : — ١٨ •

• هنري بيرس : — ٢١٩ •

• ابن دود ، محمد بن يوسف : — ١٠ •

(و)

• ابن وزير الشلبي : — ١٠٢ ، ١٥٠ •

• الوقشي أبو جعفر : — ١٨٠ •

• ولادة : — ١٨ •

(ي)

• ياجوج : — ١٢٧ •

• اليحصبي ، ابن بادريس : — ٢٧ •

• أبو يحيى بن أبي يعقوب : — ١٦ •

• السيد أبو يعقوب : — يوسف بن عبد المؤمن •

• أبو يعقوب بن يوسف (الشيخ) : — ٣٧ •

• يخراسن بن زيان : — ١١ •

• يودنا (القديس) : — ٤٠ •

• يوسف بن عبد المؤمن : — ٥ ، ٧ ، ٩ ، ١٣ ، ١٥ — ١٧ ، ٢٢ ، ٣١ ، ٣٣ ،

٣٤ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٥٢ — ٥٤ ، ٦٦ — ٦٨ ، ٧٢ ، ٧٥ ، ٧٧ — ٧٩ ،

٨١ — ٨٨ ، ٩٠ ، ١٤٣ — ١٤٥ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ، ٢٠٦ ،

٢٢٣ ، ٢٢٥ •

القصاصات والمواضع والجماعات

=====

(أ)

الاستارية :- ٤٠ .

الانشارقة :- ٣٣ .

آل البيت :- ٤٥ ، ٨٦ ، ٤٥ .

آل سعد :- ٦٩ .

آل مالك :- ٦١٣ .

آل هاشم :- ٩١ .

(ج)

جود ميوه :- ١٢ .

جوفيسة :- ١٢ .

جماعة القديس ميخائيل لدى الجناح :- ٤٠ .

جماعة القديس ياقب :- ٣٩ .

جماعة الصارية الجديدة :- ٤٠ .

(ح)

الحفصيون :- ١١٦ ، ٦١ .

(د)

الداوية :- ٤٠ .

دباب :- ٦١ .

(ر)

بنو رياح :- ٥٢ ، ١٣١ ، ١٨٧ .

(ز)

بنو زيان :- ١١ .

زناتة :- ١١ .

الزيريون :- ٣ .

(س)

بنو سليم :- ٤٤ ، ٤٥ ، ٥١ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦١ .

سنتياجو (منقحة) :- ٤٠ .

(ط)

الطداواقف :- ٢ .

(ع)

بنو عامر :- ٥٦ ، ٥٧ .

بنو عبد المؤمن :- ٧٦ ، ٨١ .

عرب الممقل :- ٤٥ ، ٥١ ، ٦٢ .

بنو علي :- ٩١ .

بنو عوف :- ٦١ .

(ف)

- الفاطميون : - ٥١ .
- فرسان القديس يوحنا : - ٤٠ .
- فرسان قلعة رباح : - ٣٩ .
- فرسان القنطرة : - ٣٩ .

(ق)

- القشتاليون : - ٩ ، ١١٩ .
- قيس : - ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ١٣٨ ، ١٨٨ .

(ل)

- لمتونة : - ٣ .

(م)

- المرابطين : - ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٢٦ ، ٨٧ .
- بنو مرين : - ١٢ .
- المصامدة : - ٢٢ .
- مخير : - ٥١ .
- الموحدين : - في مواضع كثيرة .

(هـ)

- هـرفة : - ١٢ .
- بنو هلال : - ٤٥ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٧ .
- هنتانة : - ١٢ .

(و)

- وريكة : - ١٢ .

• 1906 1984 17A-17 • 199

• بیاضی : - ۱۱۱ •

(٧)

تخلصان :- ۱۱، ۲۸، ۴۲.

تأملت : - تينمل .

تینمئل :- ۱۶، ۳۴، ۰

جبل الريان : - ١٦٥ .

جبل الطور :- ٣٣ ، ٣٣ ز .

جہیل الفتح :- جہیل ہمارے .

الجرید :- ۸۵ ، ۴۳ ، ۱

الجزيرة الخضراء : - ١٦ ٠٠

جزيرة شقر :- ١٩٠ ٢٧٠ ١٧٥٠

جزيرة طريف : - ١٤٦ •

الجزيرة العربية : - ١١٥ .

• ۱۴۴ :- بعلق

جَنُوءٌ : - ١٦٢ •

(2)

الحدث (معرفة) : - ٢٠٥ .

الجزء البراني :- السور الأثني عشر .

شخص شليطارة : - ٥٤ .

حصن العقاب :- العقاب .

حصن الفرن :- ٣٥ .

حصن قلالة :- ١٤٩ .

العمراء :- ١٣٥ .

حمص :- اشبيلية .

حجين :- ٢١٢ .

(ر)

الرافدان (دجلة والفرات) :- ٨١ .

رياح الفتح :- ٥٣٢ ، ١٤٤ ، ١٤٦ .

الرشاقة :- ١١٤ .

(ز)

الزآب :- ١١ ، ٨٥ ، ١٤٣ .

(س)

ساباد كسرى :- ١٤٦ .

سبته :- ١٦ ، ٢٨ ، ١٢٨ .

السبيل (مدينة ومحرقة) :- ٢٣ ، ١١٦ ، ١١٠ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٨٩ .

السيكية (موضع ومحرقة) :- ٣٧ ، ٦٨ ، ٨٧ ، ١٠٧ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٣٥ ،

١٨٢ ، ٢٠٥ .

سبلحاسة :- ١١ ، ١٥ .

سرقسطة :- ٧٢ .

ساليك :- ٥١ .

سهلة بني رزين :- شنتمية الشرق .

سهيل :- ١١٥ .

السور الاممي :- ٣٥ .

السوس :- ٣٤ .

(ش)

شالبة :- ١٩ .

الشام :- ٣٩ ، ٤٠ ، ٢٠٩ .

شريس :- ٣١ .

شقر :- جزيرة شقر .

شقلبة :- ١٥٥ .

شنتبرية :- ١٩ .

شنترين (مكان ومحرقة) :- ٧ - ٩ .

شنتمية الشرق :- ١١٩ .

شنت ياقب :- ١٨٠ .

شلب :- ٩ ، ٣٠ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٧٥ .

(ي)

صفين (موقعة) : - ١٩٥ .

صقلية : - ٤٠ ، ١٨٧ ، ٢١٠ .

(ط)

طرابلس : - ٥٧ .

طريانة : - أطريانة .

طليانة : - ١٥٩ .

طليانة : - ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٨ ، ١٤٨ ، ١٥٦ ، ١٨٣ .

النجدة : - ٢٨ ، ١٤٦ .

(ع)

عدوة المغرب : - ١٦ ، ١٢٨ ، ١٤٣ ، ١٨٠ .

العراق : - ١٨٧ .

عفس : - ١٥٩ .

العقاب (حصن وموقعة) : - ١٠ ، ٣٩ ، ١٠٢ ، ١١١ ، ١١٤ ، ١٥٧ ، ١٥٨ .

عمورية (مدينة ومعركة) : - ٢٠٤ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ .

(غ)

غانة : - ١٥ .

غرناطة : - ٢ ، ١١ ، ٥٣ ، ١٠٧ ، ١٢٠ ، ١٣٥ .

(ف)

فارس : - ١٤٤ .

فاس : - ١٥ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ .

فحص بلقون (موقع ومعركة) : - ٦٠ ، ١٠٣ ، ١٣٤ .

فحص الجلاب (موقع ومعركة) : - ١٢٣ ، ١٤٠ ، ١٩١ .

فرنسا : - ٣٨ .

(ق)

قابس : - ٥١ ، ٥٧ ، ٦١ .

قرطاجنة : - ١١٩ .

قرطبة : - ٢ ، ٨ ، ١٦ ، ١٩ ، ٢١ ، ٣٧ ، ٥٣ ، ١١٢ ، ١٢٠ ، ١٣٥ ، ١٤٨ .

القسانطينية : - ٣٩ .

قشتالة : - ٧ ، ١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١٤٨ .

قصر أبي دانس : - ٩ ، ١٤٦ .

قصر الفتح : - قصر أبي دانس .

قصر المجاز : - ١٤٦ .

قصر مصمودة : - قصر المجاز .

قفصة : - ٨٥ ، ١٨٧ .

- قلعة رباح :- ٩ ، ٥٤ ، ١٥١ ، ١٥٧ .
- قلمرية :- ٩ ، ١٠٩ .
- قلمورية :- قلمرية .
- قلنبر :- قلمرية .
- قلنبرية :- قلمرية .
- قونقة :- ٨ ، ١٩ .
- قونكة :- قونقة .
- قيجالة :- ١٥٩ .
- القيروان :- ٥١ ، ٥٢ ، ٨٥ .

(ل)

- لشبونة :- ١٤٨ .
- لوشة :- ١٨ ، ١٥٩ .
- ليون :- ١١٠ ، ١١٢ ، ١٤٨ .

(م)

- مالقة :- ٢ ، ٦٧ ، ١١٥ .
- مجمع البحرين :- ١٣٧ .
- المحيطة الاثري :- البحر المحيط .
- مدريد :- ٥٥ .
- المدينة الطكية :- ٤٢ .
- مراكش :- ٢ ، ٧ ، ٨ ، ١١ ، ١٣ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٨ .
- ٥١ ، ١٣٦ .
- من الرقاد :- ١٣٥ .
- مرسية :- ٢ ، ١٠ ، ١٧ ، ١٠٧ ، ١١٤ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٥٩ .
- المرية :- ١٢٠ .
- مصر :- ٣٢ ، ٣٣ ، ٤٤ ، ٥١ ، ٧٩ .
- المهدية :- ربال الفتح .
- المهدية (تونس) :- ٢١ ، ٣٧ ، ٤١ ، ٥٣ ، ٦٦ ، ٨٤ ، ٩٩ ، ١٢٥ - ١٢٨ .
- ٢٦٣ .

(ن)

- نجد :- ٥١ ، ١٦٥ .
- النهر الأعظم :- ١١٤ ، ١٦٧ .
- النهر الكبير :- النهر الأعظم .
- نهر تاجه :- ١١٩ ، ١٤٨ .
- نهر تايو :- ١١٩ .

المصادر والمراجع (*)

=====

أ - المخطوطات : -

- بوجدار : محمد بن مصطفى .
١ - الاغتباط بتراجم أعمال الرباط ، الخزنة العامة ،
الرباط ، مخطوط رقم ١٢٨٧ د .
الراشدى : محمد بن أحمد بن ناصر .
٢ - الدليل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية ،
الخزنة العامة ، الرباط ، مخطوط رقم ٢٢٧٣ ك .
ابن زكور : أبو عبد الله محمد بن قاسم .
٣ - المغرب المسرع لما تأيّمه الأئیس الملب مرونة
النسرين ، الخزنة العامة ، الرباط ، مخطوط رقم ٤٠ ج .
الصفدى : صلاح الدين خليل بن أبيك .
٤ - الوافي بالوفيات ، ج ١٣ ، مكتبة بودليان ،
أكسفورد ، مخطوط رقم ٢٣ أ ، مجموعة آرثر سلد .
٥ - الوافي بالوفيات ، ج ١٦ ، مكتبة بودليان ،
أكسفورد ، مخطوط رقم ٢٦ أ ، مجموعة آرثر سلد .
٦ - الوافي بالوفيات ، ج ٢٠ ، مكتبة بودليان ،
أكسفورد ، مخطوط رقم ٢٧ أ ، مجموعة آرثر سلد .
٧ - الوافي بالوفيات ، ج ٢٦ ، مكتبة بودليان ،
أكسفورد ، مخطوط رقم ٢٦ أ ، مجموعة آرثر سلد .
المخزومي : أبو المارّف أحمد بن عميرة .
٨ - الرسائل ، الخزنة العامة ، الرباط ، مخطوط رقم ٢٣٣ ك .

ب - الكتب المطبوعة : -

- ابن الأبار القناعي : أبو عبد الله محمد .
١ - اعتاب الكتاب ، تلج . صالح الأشر ، مجمع اللغة
الخريرية ، دمشق ، ١٩٦١ .

- ٢- تهفة القادم (مقتضب) ، انتخابها : أبو اسحق البلفيقي ، نشرة الفريد البستاني في مجلة المشرق ، بيروت ، مجلد ٤١ ، سنة ١٩٤٩ .
- ٣- التكملة لكتاب الصلة فتح . عزت العطار الحسيني ، مكتبة الخانجي ومكتبة المثنى ، القاهرة وبغداد ، ١٩٥٥ .
- ٤- الحلة السيرة ، فتح . حسين مؤنس ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٣ .
- ابراهيم : محمود ، .
- ٥- صدى الغزو الصليبي في شهر ابن القيسراني ، المكتب الاسلامي ومكتبة الأقصى ، دمشق وعمّان ، ١٩٧١ .
- ابن الأثير الجزري : عز الدين أبو الحسن .
- ٦- الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٥ - ١٩٦٧ .
- الادريسي : أبو عبد الله محمد بن عبد الله .
- ٧- وصف المغرب السودان ومصر والاندلس المشتق من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، طبعة ليدن ، ١٨٩٤ .
- أرسلان : شكيب
- ٨- الحل السندية في الأخبار والآثار الأندلسية ، نشر محمد المهدي الحبابي ، مطبعة مصافى البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٣٩ .
- أ. باخ : يوسف
- ٩- تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموهدين ، تحرير مد عبد الله عنان ، مؤسسة الخانجي ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٥٨ .
- ابن أبي أصيبشة : موفق الدين أحمد بن القاسم .
- ١٠- عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، فتح . نزار رنا ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٥ .
- أماري : ميخائيل .
- ١١- المكتبة العربية المصقلية ، جمعها وعلقها ميخائيل أمّاري ، ليحمله ، ١٨٥٧ .
- أمين : أحمد .
- ١٢- نزهة الاسلام ، ج ٣ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط ٧ ، ١٩٦٤ .
- ابن أنس : مالك .
- ١٣- المولأ ، فتح . محمد غواد عبد الباقي ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ؟ .

الأشواني : عبد الحزيز .

١٤ — ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر ، مكتبة
الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٢ .

١٥ — الزجل في الأندلس ، معهد الدراسات العربية العالية ،
القاهرة ، ١٩٧٢ .

الأوسي : حكمة .

١٦ — الأدب الأندلسي في عصر الموحدين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ،
١٩٧٦ .

الأوسي المراكشي : أبو عبد الله محمد بن عبد الملك .

١٧ — الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة .

* السفر الأول ، تلج . محمد بن شريفة ، دار الثقافة ، بيروت ، ؟

* بقية السفر الرابع ، تلج . احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ،
١٩٦٤ .

* السفر الخامس ، تلج . احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ،
١٩٦٥ .

البحري : أبو عبادة الوليد بن عبيد .

١٨ — الديوان ، تلج . حسن الميرفي ، دار المعارف ، القاهرة ،
١٩٦٣ .

بوجندار : محمد بن مصطفى .

١٩ — مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح ، مطبعة الجريدة الرسمية ،
الرباط ، ١٣٤٥ هـ .

بول : ستانلي لين .

٢٠ — العرب في أسبانيا ، ترجمة على البخارم ، دار المعارف ،
القاهرة ، ١٩٤٤ .

البيدق : أبو بكر الصنهاجي .

٢١ — أخبار المهدي ابن تومرت وابتداء دولة الموحدين ، نشر
بعناية ليفي بروفنسال ، باريس ، ١٩٢٨ .

التبريزي : أبو زكريا يحيى بن علي .

٢٢ — شرح قصيدة كعب بن زهير في النبي صلى الله عليه وسلم ،
تلج . ف . كركو ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٩٧١ .

التجاني : أبو عبد الله محمد بن أحمد .

٢٣ — رحلة التجاني ، كتابة الدولة للمعارف ، تونس ، ١٩٥٨ .

التجيبى المرسي : أبو بدر صفوان بن ادريس .

٢٤ — زاد السافر ومعرفة محيا الأدب بالسافر ، تلج . عبد القادر محداد ،
دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٧١ .

أبو تمام : حبيب بن أوس .

٢٥ — ديوان أبي تمام بشرح التبريزي ، تـج . محمد عبدة عزام ،
دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٤ .

ابن تومرت : محمد .

٢٦ — أعز ما يطلب ، دون نشر وتاريخ .

الشمالي : أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل .

٢٧ — يتيمة الدثر في معاشن شعراء أهل مصر ، تـج . محمد

محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ١٩٥٦ .

ابن جبير : أبو الوليد سيبويه بن أحمد الكفاقي الأندلسي .

٢٨ — رحلة ابن جبير ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٩ .

الجراري : عباس .

٢٩ — الأمير الشاعر أبو الربيع سليمان الموحّد : عصره

حياته ونصره ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ١٩٧٤ .

جنّون : عبد الله .

٣٠ — ذكريات مشاهير رجال المغرب : أبو الحسن عمر ، عدد ٣ ،

معهد مولاي الحسن ، تطوان ؟ .

٣١ — ذكريات مشاهير رجال المغرب : أبو العباس الجراري ،

عدد ٦ ، معهد مولاي الحسن ، تطوان ؟ .

٣٢ — ذكريات مشاهير رجال المغرب : الأمير سليمان الموحّد ،

عدد ١٠ ، معهد مولاي الحسن ، تطوان ؟ .

٣٣ — النبوغ المغربي في الأدب الجربي ، دار الكتاب اللبناني ،

بيروت ، ١٩٦١ .

حاملة : محمد عبده .

محنة مسلمي الأندلس عشية سقوط غرناطة ونحوها ، نشر بدعم من

الجامعة الأردنية ، مناصح دار الشعب ، عمان ، ١٩٧٧ .

الحجّي : عبد الرحمن علي .

٣٥ — التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ،

دار القلم ، بيروت والرباط ، ١٩٧٦ .

ابن حزم : أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي .

٣٦ — جملة أنساب العرب ، تـج . عبد السلام نرون ، دار المعارف ،

القاهرة ، ١٩٦٢ .

الحموي : أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي .

٣٧ — معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٥ .

الحميري : محمد بن عبد المنعم .

- ٣٨- الروا المعطار في خبر الأقطار فتح . احسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٧٥ .
- ٣٩- صفة جزيرة الاندلس " منتخبة من الروا المعطار " ، فتح . ليفي برونسال ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٣٧ .
- ابن حنبل : أحمد بن حنبل .
- ٤٠- المسند ، المكتب الاسلامي ودار صادر ، بيروت ، ؟ .
- الحنبلي : أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي .
- ٤١- مذكرات الذهب في أخبار من ذهب ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ؟ .
- الحنفي : أحمد .
- ٤٢- البسولة والأبطال ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٦٧ .
- ابن الخياط : لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي ابن أسعد السلماني .
- ٤٣- الإحاطة في أخبار غرناطة ، ت . محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ٢ ، ١٩٧٣ .
- ٤٤- أعمال الأعلام فيمن برح قبل الاحتلام من ملوك الاسلام . ق ٢ ، ندرة ليفي برونسال تحت عنوان : " تاريخ أسبانيا الاسلامية " دار المكنون ، بيروت ، ١٩٥٦ .
- * ق ٣ ، فتح . أحمد الحبادي ومختار الكتاني ، نشرت تحت عنوان : " تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط " ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٦٤ .
- ٤٥- رقم الدليل في نظم الدول ، المطبعة العمومية ، تونس ، ١٣١٦ هـ .
- ابن خلدون : عبد الرحمن محمد بن خلدون .
- ٤٦- الخبر وديوان المبتدأ والخبر . . . دار اكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٥٩ .
- ٤٧- مقدمة ابن خلدون ، دار الفكر ، بيروت ، ؟ .
- ابن خلكان : أبو الحباب محمد بن أحمد بن محمد .
- ٤٨- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، فتح . احسان عباس ، دار صادر بيروت ، ١٩٦٨ - ١٩٧٢ .
- الدأية : محمد زحوان .
- ٤٩- أبو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٧٦ .

- ٥٠ — تاريخ النقد الأدبي في الأندلس ، دار الأنوار ، بيروت ،
١٩٦٨ .
الدسوقي : عمر .
- ٥١ — الفتوة عند العرب وأحاديث الفروسيّة والمثل العليا ،
مكتبة نهضة مصر ، القاهرة مط ٣ ، ١٩٥٩ .
الذنبى : الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد .
- ٥٢ — الصبر في خبر من نبر ، ج ٤ ، تح . صلاح الدين المنجد ،
وزارة الإرشاد والأبناء ، الكويت ، ١٩٦٣ .
الرمياي البلنسي : أبو عبد الله محمد بن غالب .
- ٥٣ — الديوان ، تح . احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٠ .
الرّعيني الاشيلي : أبو الحسن علي بن محمد .
- ٥٤ — برنامج شيوخ الرّعيني ، تح . ابراهيم شيوخ ، المطبعة الهاشمية ،
دمشق ، ١٩٦٢ .
ابن الرومي : أبو الحسن علي بن العباس .
- ٥٥ — الديوان ، اختيار وتصنيف كامل الكيلاني ، المكتبة التجارية
الكبرى ، القاهرة ؟ .
ابن الزبير : أبو جعفر أحمد بن ابراهيم .
- ٥٦ — صلة الصلة ، تح . ليفي بروفنسال ، الرباط ، ١٩٣٧ .
الزبيدي : أبو بكر محمد بن الحسن .
- ٥٧ — نيكات النعميين واللخوين ، تح . محمد أبو الفيل ابراهيم ،
نشر محمد أمين الخانجي ، القاهرة ، ١٩٥٤ .
سالم : عبد العزيز .
- ٥٨ — المغرب الكبير ، الدار التونسية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٦ .
السبتي : محمد بن الناصر الأنباري .
- ٥٩ — الاخبار عما كان بثغر سبتة من سنى الآثار ، تح . عبد الوهاب
ابن منصور ، المطبعة الملكية ، الرباط ، ١٩٦٩ .
ابن السراج : الوزير محمد بن محمد السراج الأندلسي .
- ٦٠ — الدليل السندسية في الاخبار التونسية ، تح . محمد الحبيب
المهيلة ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٧٠ .
ابن سعيد الأندلسي : علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد .
- ٦١ — رايات المبرزين وغايات المتميزين ، تح . النعمان عبد المتعال
القاضي ، لجنة احياء التراث الاسلامي ، القاهرة ، ١٩٧٣ .
- ٦٢ — الصغرى اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة ، تح .
ابراهيم الأبياري ، دار المعارف ، القاهرة مط ٢ ، ١٩٦٧ .

- ٦٣— المغرب في حلى المغرب . تح . شوقي نيف ، دار المعارف ،
القاهرة ، ٢ ، ١٩٦٤ .
- سلام : محمد زغلول .
- ٦٤— تاريخ النقد العربي من القرن الخامس الى القرن العاشر
الهجرى ، دار المعارف ، القاهرة ، ٩٠ .
- ابن سهل : أبو اسحق ابراهيم بن سهل الاشيلي .
- ٦٥— الديوان ، تح . احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ،
١٩٦٧ .
- السهيلي : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله .
- ٦٦— الرور الأنف في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية
لابن هشام ، مطبعة الجمالية ، مصر ، ١٩١٤ .
- السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن .
- ٦٧— بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تح . محمد أمين
الخانجي ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٢٦ هـ .
- الشأيب : أحمد .
- ٦٨— أصول النقد الأدبي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط ٥ ،
١٩٥٥ .
- الشتيريني : أبو الحسن علي بن بسام .
- ٦٩— الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ج ١ ق ١ ، جامعة
فؤاد الأول ، كلية الآداب ، القاهرة ، ١٩٣٩ .
- ابن صاحب الصلاة الباجي : عبد الملك بن محمد بن أحمد .
- ٧٠— المن بالامامة على المستنصرين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم
الوارثين ، ج ٢ ، تح . عبد الهادي التازي ، دار الأندلس ،
بيروت ، ١٩٦٤ .
- المحراوي : عبد القادر .
- ٧١— جداول في تاريخ المغرب ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ،
١٩٦١ .
- النببي : أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة النببي .
- ٧٢— بغية الملتصق في تاريخ رجال أهل الأندلس ، دار الكاتيب
العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧ .
- نيف : شوقي .
- ٧٣— البهولة في الشعر العربي ، دار المعارف ، القاهرة ،
١٩٦٧ .

- عاشور : سعيد .
 ٧٤- أوروبا الحضر الوسطى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ،
 ط ٢ ، ١٩٦٢ .
 عبّاس : احسان .
 ٧٥- تاريخ الأدب الأندلسي : عصر سيادة قرنية ، دار الثقافة ،
 بيروت ، ١٩٦٠ .
 ٧٦- تاريخ النقد الأدبي عند العرب من القرن الثاني حتى القرن
 الثامن الهجري ، دار الأمانة ومؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٧١ .
 عبد الرحمن : نورت .
 ٧٧- شعر الصراع مع الروم في نهج التاريخ (العصر العبّاسي حتى
 نهاية القرن الرابع) ، مكتبة الأتقي ، عمان ، ١٩٧٧ .
 ٧٨- الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في نهج النقد الأدبي
 الحديث ، مكتبة الأتقي ، عمان ، ١٩٧٦ .
 ابن عذارى : أبو عبد الله محمد بن عذارى المراكشي .
 ٧٩- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب ،
 ق ٣ ، عني بنشرة امبروسي دويسي مرانده مع مساهمة محمد بن
 تاويت ومحمد الكتاني ، مشهد مولاي الحسن ، تلوان ، ١٩٦٠ .
 ابن عساكر : علي بن الحسن بن شبة الله .
 ٨٠- تهذيب ابن عساكر ، تهذيبه ورتبه الشيخ عبد القادر بن بدران ،
 دمشق ، ١٣٣٠ هـ .
 عفيفي : أبو الحلاء .
 ٨١- الملائكة والصوفية وأهل الفتوة ، دار احياء الكتب العربية ،
 القاهرة ، ١٩٤٥ .
 علام : عبد الله علي .
 ٨٢- الدولة الموحّدية بالمغرب في عهد المؤمن بن علي ، دار
 المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٨ .
 عنان : محمد عبد الله .
 ٨٣- عصر المرابطين والموحّدين في المغرب والأندلس ، لجنة
 التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٤ .
 ٨٤- نهاية الأندلس ، وتاريخ العرب المستعربين ، مطبعة مصر ،
 القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٥٨ .
 الخبريني : أبو العبّاس أحمد بن عبد الله .
 ٨٥- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء من المائة السابقة
 ببجاية ، تـج . عادل نويهج ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ،
 بيروت ، ١٩٦٩ .

الخرنابلي : أبو القاسم محمد بن أحمد .

٨٦ — رفع المحجب المستورة في محاسن المتصورة ، مطبعة السعادة ،
مصر ، ١٣٤٤ . د .

الفاسي : علي بن أبي زرع .

٨٧ — الأنيس المثلث برونو القرطاس في أخبار ملوك المغرب

وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، ١٩٧٢ .

٨٨ — الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ، دار المنصور

للطباعة والوراقة ، الرباط ، ١٩٧٢ .

الفاسي : محمد .

٨٩ — أعر الخلافة الموحّدية أبو العباس الجراوي ، مسابغات جمعية

قدما تلاميذ مدرسة جيسوس ، الرباط ، ١٩٥٢ .

أبو الفداء : عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر .

٩٠ — تفهيم البلدان ، تصحيح زينود رماك كوكين ديسلان ،

باريس ، دار الطباعة السليمانية ، ١٨٤٠ .

ابن عتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم .

٩١ — الشجر والشعراء ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٤ .

القرطاجني : أبو الحسن هازم بن محمد .

٩٢ — منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تصح . محمد الحبيب أبو

الخوة ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، ١٩٦٦ .

ابن القلان : أبر علي حسن بن أبي الحسن الكتامي .

٩٣ — نالم الجمان ، ج ٦ تصح . محمود علي مكّي ، جامعة محمد

الخامس ، الرباط ، ؟ .

القشلي : جمال الدين أبو الحسن علي .

٩٤ — تاريخ الحكماء وهو المسمى (أخبار العلماء بأخبار الحكماء)

مكتبة المشى ومكتبة الخانجي ، بغداد والقاهرة ، ؟ .

ابن القنفذ النسفي ، أبو الحباسي أحمد بن حسين .

٩٥ — الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية تصح . محمد الداذلي ،

رهد الميند انترني ، الدار التونسية ، تونس ، ١٩٦٨ .

ابن القيم الجوزية : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر .

٩٦ — الفروسيّة ، تصح . عزت الخطار الحسيني ، دار الكتب العلمية ،

بيروت ، ؟ .

كتاب الدولة السويّة :

٩٧ — مجموع رسائل موحّدية من انباء كتاب الدولة الموحّية ،

بمصحها ليني برونسسال ، المصلحة الاقتصادية ، رباط الفتاح ،

١٩٤١ .

الكتبي : محمد بن شاکر .

٩٨- فوات الوفيات ، تح . محمد معني الدين عبد الحميد ،

مكتبة النهضة ، مصر ، ١٩٥١ .

ابن كثير : عماد الدين الدين اسماعيل بن عمر .

٩٩- البداية والنهاية ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٩٣٢ .

الكلبي : محمد بن أحمد بن محمد بن جزي .

١٠٠- التسهيل لعلوم التنزيل ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر

١٣٥٥ هـ .

المتني : أبو العلي أحمد بن الحسين .

١٠١- ديوان المتني ، شرح اليازجي ، المطبعة الأدبية ،

بيروت ، ١٣٥٥ هـ .

مجهول :

١٠٢- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، اعتنى بنشرة

وتعريبه د . س . علوش ، المطبعة الاقتصادية ، رياض الفتح

١٩٣٦ .

المراكشي : عباس بن ابراهيم .

١٠٣- الإعلام بمن حل مراكز وأعمات من الأعلام ، المطبعة الجديدة ،

فاس ، ١٩٣٦ .

المراكشي : معني الدين عبد الواحد بن علي المراكشي .

١٠٤- المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تح . محمد سعيد

الحريان ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٦٣ .

المفصل النسي : المفصل بن محمد بن يحيى بن عامر .

١٠٥- المفصلات ، تح . عبد السلام شرون وأحمد محمد شاکر ، دار

المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٤ .

المقرئ التلمساني : شهاب الدين أحمد بن محمد .

١٠٦- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ، تح . مصطفى السقا

وآخرين ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٣ .

١٠٧- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرنا لسان الدين

ابن الخطيب ، تح . احسان عباس ، دار صادر بيروت ، ١٩٦٨ .

المنريزي : تقي الدين أحمد ابن علي .

١٠٨- السلوك لمعرفة دول الملوك ، تح . مصطفى زيادة ، لجنة

التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٢ .

مكثير : أرشيبالد .

١٠٩- الشعر والتجربة ، ترجمة سليم الخضراء الجيوسي ، مراجعة

توفيق صايغ ، دار القنطرة الصربية ، بيروت ، ١٩٦٣ .

- ملّين : محمد الرشيد .
- ١١٠- عصر المنصور الموحّدي أو العناية السياسية والفكرية والدينية في المغرب من ٥٨٠ الى ٥٦٥ هـ ، مطبعة الشمال الافريقي ، الرباط ٢ .
- ابن منصور : عبد الوهاب .
- ١١١- قبائل المغرب ، المطبعة الملكية ، الرباط ١٩٦٨ .
- ابن منظور : جمال الدين محمد .
- ١١٢- لسان العرب ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت ١٩٦٨ .
- المنزني : محمد .
- ١١٣- العلوم والفنون والآداب على عهد الموحّدين ، معهد مولاي الحسن ، تطوان ١٩٥٠ .
- الموحّد : الأمير أبو الربيع سليمان بن عبد الله الموحّد .
- ١١٣- الديوان ، تج . محمد بن تايوت الشنقي وآخرين ، منشورات كلية الآداب جامعة محمد الخامس ، الرباط ٢ .
- الناسري : أبو العباس أحمد بن خالد السلاوي .
- ١١٤- الاستقيا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تج . ولدي المؤلف : جعفر ومحمد ، مطبعة دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤ .
- ١١٥- زهر الأغنان من ديق أبي الزّان ، طبعة حجرية .
- النباهي المالقي : أبو الحسن علي بن عبد الله .
- ١١٦- المراقبة العليا فيمن يستحقّ القضاء والفتيا ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ٢ .
- النجّار : عبد الوهاب .
- ١١٧- قصص الأنبياء مؤسسة الحلبي وشركة ، القاهرة ، ١٩٣٦ .
- الوافدي : أبو محمد عبد الله بن عمر .
- ١١٨- فتوح افريقية ، مكتبة المنار ، تونس ، ١٩٦٦ .

ج - المجلدات :

=====

البستاني : الفريد ،

١- تهذه القادم (مقتضب) ، مجلة المشرق ، بيروت ،

مجلد ٤١ ، سنة ١٩٤٩ .

العبادي : أحمد مختار .

٢- المؤيدون والوحدة الإسلامية ، مجلة التربية الوطنية ،

الرياض ، عدد مارس وأبريل ١٩٦٦ .

غموس : عليو غرسية .

٣- تمنيذة سياسية لابن طفيل لم تشر ، تثيريب أدمي ، نيكل ،

مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، مدريد مجلد ٢ ،

سنة ١٩٥٣ .

موسى : عز الدين عمر .

٤- التحديات الحزبية عند المؤيدون ، مجلة أبحاث ،

الجامعة الأميركية ، بيروت ، مجلد ١٣ ، سنة ١٩٧٠ .

Burkhardt, T.

1- Moorish Cultures in Spain , Trans. by Alisa Jaffa,
London , 1972.

2- Encyclopaedia of Islam, Leyden , 1913.

Foster , J.

3- History of the dominion of the Arabs in Spain , Trans.
from Spanish of Dr. J. A .Condé , London , 1913.

Ibrahim, M.

4- Martial poetry under the Hamdānids of Aleppo,
Ph. D. , London , 1965.

Imamuddin , S. M.

5- Apolitical Hist. of Moslim in Spain , Pakistan,
Sec . Ed., 1969.

Orton. C.W.P.

6- Out lines of Medieval Hist ., Cambridge , 1924.

Painter, S.

7- A. Hist. of the Mid. Ages, New York , 1954.

Read , J.

8- The Moors in Spain and Portugal, London , 1974.

Stephenson, C.

9- Medieval Hist., New York , 1942.

Tout, T. F.

10- The Empire and the Papacy, London, 1924.

الصفحة	المحتوى
أ - ١	مقدمة
	تمهيد : الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية على عهد الموحدين : -
٢	١ - الحياة السياسية
١٢	٢ - الحياة الاجتماعية
٢١	٣ - الحياة الفكرية
	الفصل الأول : -
	طبيعة الصراع في شعر الجهاد : -
٣٥	١ - جهاد في سبيل الله
٥١	٢ - المروية في شعر الجهاد
	الفصل الثاني : -
	شخصية البطل في شعر الجهاد : -
٦٥	أ) مفهوم البطولة
٦٦	ب) دور البطل في الصراع
٧٤	ج) القيم والمثل العليا في شعر الجهاد
	الفصل الثالث : -
	صورة الصليبيين في شعر الجهاد : -
٩٥	أ) عقيدة الصليبيين
١٠١	ب) الجيش الصليبي
١٠٦	ج) تصوير هزائم الصليبيين
١٠٩	د) القائد الصليبي
١١٤	هـ) الصراع الحضاري
١١٩	و) حلفاء الصليبيين
	الفصل الرابع : -
١٢٤	مواكبة الشعر لأحداث الصراع
	الفصل الخامس : -
	تقييم شعر الجهاد : -
١٧٣	أ) دور الشعر في الصراع

الصفحة

(ب) الآراء الفني :-

١٨٩	١ - بناء القصيدة
١٩٣	٢ - الصورة الشعرية
٢٠٢	٣ - الاحتذاء والتقليد
٢٠٩	٤ - أثر مقاييس العصر الأدبية
٢٢٥	الخاتمة

الفهارس :-

٢٢٨	الأعلام
٢٣٨	الفئات والطوائف والجماعات
٢٤٠	الأماكن والبلدان
٢٤٦	المصادر والمراجع

This thesis is a study of the Poetry of Jihad in Almohades era.

It consists of five chapters, an introduction and a conclusion .

In the introduction , there is a general survey of the Political , social and cultural life under Almohades rule.

* The first chapter deals with the Islamic conception of the nature of conflict between Moslems and the Crusaders and the role of poetry in reflecting this conflict. The fight against crusaders is envisaged as " Jihad" motivated by religious belief and orientated to defend the Moslem faith through defending Islamic rule. This religious spirit is explicitly reflected in the poetry of Jihad and manifested itself in different ways.

The Arabic tribes, inhabiting North Africa , played a significant part in defending Islam through "Jihad " . Thus ,Poets did not fail to describe and praise this contribution on the part of these tribes , within the context of " Jihad" and Islamic bonds.

** The second chapter reveals the concept of the " Hero" as described in the Poetry of Jihad. Heroism in this context is based merely on individual extra-ordinary merits and attributes as much on collective efforts. Thus, although a hero starts as an individual , he ends up a model reflecting the general ideals of the Moslem hero.

*** The third chapter throws light on the picture of the Crusaders as conceived in the Jihad poetry under Almohades.

Crusaders are described with much contempt but, nevertheless underestimating their danger and real strength . Poetry gives detailed picture of their utmost brutality in war and in their treatment of Moslems, in order to provoke the Moslem feeling against them and to evoke the spirit of " Jihad" among Moslems.

The poetry of Jihad also portrayed the Crusaders army : its size , the different weapons used thereby its leaders and organisation.

**** Chapter four discusses the role of the poetry of Jihad in depicting the major events of the conflict between Moslems and crusaders. It also examines the validity of this poetry as a source of historical information.

***** Chapter five concludes the main body of the thesis with an evaluation of the poetry of Jihad in this period: both in terms of its functional role and artistic style.

تصويبات

=====

سطر	صفحة	صواب	خطأ
٤	٥	باحثجان	باحجاب
١٠	٨	اشييلة	اشيلة
٣	١١	دول	دولسة
٧	١١	وانتهت	وانتهت
٥	١٣	أن يؤلفوا قلوب أبنائها	أن يؤلفوا أبنائها
٩	٢٣	اقتنأ	اقتنأ
١٦	٥٤	بني هلال	بن هلال
١٠	٥٦	بني هلال	بن هلال
		وقد نسب بعض المؤرخين	وقد نسب بعض المؤرخين الى
٢٣	٥٦	القصيدة الى عبد المؤمن	عبد المؤمن
٦	٧٦	يؤخذون	يأخذون
١٧	١٠٩	الاسلامية	الاسلامية
٦	١٢١	والفرب	والفرب
١٧	١٤٦	قصر مضمودة	قصر معمودة
٢	٢٠١	ودارت رحا الهيجا	ودارت الهيجا
٧	٢٠٩	أقرروا	أمرروا
٩	٢٤٩	الكناني	الكنافي
٧	٢٥١	من غبر	من نجر
٥	٢٥٣	عصر سيادة	عصر سيادة
٢٢	٢٥٣	الملاقيّة	الملاقيّة
٣٢	٢٥٤	الدولة المونيّة	الدولة الموقية